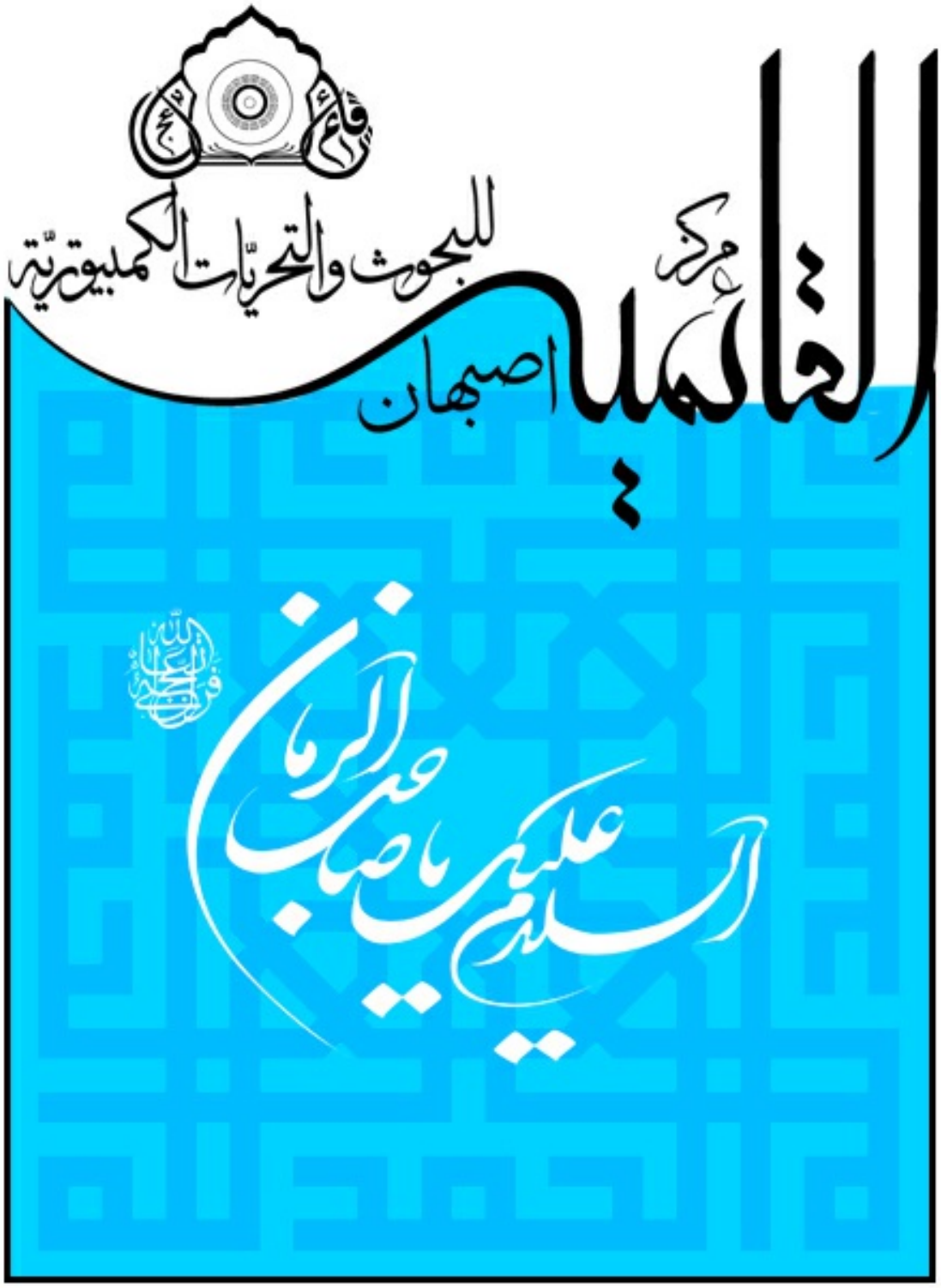

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

محمود الملاح

تشريح شرح
نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بسم الله الرحمن الرحیم

تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

كاتب:

محمود محمد الملاح

نشرت في الطباعة:

مكتبة اهل البيت (عليهم السلام)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 7

هوية الكتاب 7

اشارة 8

المقدمة 12

المبحث الأول: كتاب «نهج البلاغة»، ومؤلفه: 15

اشارة 15

شروح نهج البلاغة وطبعاته: 48

هل يلتزم الشيعة بما في نهج البلاغة مما يُخالف معتقداتهم؟! 52

المبحث الثاني: ترجمة صاحب «شرح نهج البلاغة» ابن أبي الحديد ومذهبه والمآخذ على شرحه 63

اشارة 63

فائدة: 83

اشارة 83

أ - الروح في نقض ما أبرمه ابن أبي الحديد 84

ب - سلاسل الحديد وتقييد أهل التقليد: 84

ج - سلاسل الحديد في الرد على ابن أبي الحديد: 84

د - سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد: 85

ه - الرد على ابن أبي الحديد 85

و - النقد السديد لشرح الخطبة الشقشقية لابن أبي الحديد: 86

انحرافات ابن أبي الحديد في «شرحه»: 87

المبحث الثالث: ترجمة الأستاذ محمود الملاح رحمه الله 93

اشارة 93

منهج الملاح في كتاباته: 97

ومن أبرز ما اتسم به نقد الملاح للفرق الأخرى – خاصة الشيعة – ، أنه: 98

وفي ظني أن من أبرز الأسباب لما وقع فيه الملاح: 100

تعقيب حول مقال محمود الملاح 101

بقلم: الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله: 101

نقد الأستاذ كمال الخطيب 104

صورة غلاف الطبعة الأولى من تشريح شرح نهج البلاغة للملاح 113

تشريح «شرح نهج البلاغة» 114

اشارة 114

مقدمة 115

نبذة من أخبار ابن أبي الحديد شارح النهج ومخدومه ابن العلقمي ... 117

كلمة نهج البلاغة 123

طلائع الغزو! 129

تعليق على صفحة 22 216

تعليق على ص 14 – 15: 218

إرداف التشريح بما يزيد في التوضيح 223

وفي بحث علي ص 11 ما نصه: 254

كتاب الأدب في ظل التشيع): 259

تعليق على ص 48: 267

الثقافة الإسلامية والقومية 268

فهرست المحتويات 271

تعريف مركز 272

تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

هوية الكتاب

سليمان صالح الخراشي، 1430 ه -

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الملاح، محمود محمد

تشريح شرح نهج البلاغة / محمود محمد الملاح؛ سليمان صالح الخراشي. - الرياض، 1430 ه -

256 ص، 17 * 24 سم

ردمك: 5 - 3070 - 00 - 603 - 978

1 - النثر العربي - عصر صدر الاسلام 2 - الخطابة العربية 3 - البلاغة العربية أ، الخراشي، سليمان صالح (محقق) ب، العنوان

ديوي 2، 819

1430 / 4918

رقم الإيداع: 1430/4918

ردمك: 5 - 3070 - 00 - 603 - 978

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1430ه - - 2009م

الاهتمام بتراث أهل البيت

الرياض هاتف 014111222

تلفون: 4111222

E - mail: dar_alaal@hotmail.com

محرر رقمي : سيد محمد علي حسيني

اشارة

تشريح شرح

نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

محمود الملاح

تشريح شرح

نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

ص: 4

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

أما بعد؛ فإن كتاب نهج البلاغة من الكتب الشهيرة التي حازت المحل الرفيع عند الشيعة؛ لاحتوائه – في زعمهم – على خطب علي عليه السلام، وهو من هو عندهم غلوّا وتقديسًا، ولذا فقد بالغوا في الحفاوة ب – «النهج»، حتى قال قائلهم: إن الشيعة على كثرة فرقهم واختلافها متفقون متسالمون على أن ما في نهج البلاغة هو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، اعتمادًا على رواية الشريف ودرايته ووثاقته حتى كاد أن يكون إنكار نسبته إليه عليه السلام عندهم من إنكار الضروريات وجحد البديهيات، اللهم إلا شاذا منهم، وأن جميع الخطب والكتب والوصايا والحكم والآداب حاله كحال ما يُروى عن

النبي صلى الله عليه و آله و سلم (1) وقال إمامهم الخميني في وصاياه: «نحن فخورون أن كتاب نهج البلاغة الذي هو أعظم دستور للحياة المادية والمعنوية بعد القرآن، وأسمى كتاب لتحرير البشر وتعاليمه المعنوية والحكومية، وأرقى نهج للنجاة هو من إمامنا المعصوم» (2).

ولهذا؛ فقد توالت على الكتاب شروحات الشيعة كما سيأتي، إلا أن أشهر شرح له كان من نصيب ابن أبي الحديد حيث نفق سوقه عند الطرفين أهل السنة والشيعة؛ لتذبذبه بين المذهبين كما سيأتي، مما جعله يأتي هؤلاء بوجه، وأولئك بوجه فكان كالشاة العائرة بين الفئتين.

1- مدارك نهج البلاغة؛ للهادي كاشف الغطاء (ص90 - 91)، وانظر:«أصول مذهب الشيعة ...»؛ للدكتور ناصر القفاري (472/1). ولم يقتصر هذا المديح للكتاب على الشيعة، بل شايعهم فيه من تأثر ببدعتهم، قال الصوفي القبوري أحمد الغماري في شرح نهج البلاغة» من أنفس الكتب المتعلقة بعلي وأهل البيت، وقضايا علي مع أعدائه النواصب، مزاياه مما لا يكاد يوجد مجموعا في غيره، ومن أحب أن يكون على بصيرة تامة في هذا الموضوع فعليه،به وليس للاعتزال دخل في هذا الموضوع. أما التشيع فهو الذي يحمل على ذكر عيوب المجرمين الذين يتفق من يسمون أنفسهم أهل السنة على إخفائها؛ إلا القليل منهم ممن يشير إلى القليل منها. وليس كل الكتب مشتملة على الصحيح، إلا كتاب الله تعالى وحده. وهذا صحيح البخاري ومسلم فيه الكثير من الغلط والباطل المحقق!! فعليك بقبول الحق والصواب ورد ما هو باطل بحسب ميزان العلم والعقل، ونحن إذا مدحنا كتاباً فليس معنى ذلك أنه مبرأ من جميع العيوب، حتى كأنه قرآن يتلى لا لا؛ بل معنى ذلك ما في الكتاب من الفوائد المتعلقة بموضوعه التي لا توجد مجموعة أو مرتبة في غيره، أو بتوسع ونحو ذلك فقط. فإذا قرأته فسوف تعلم من هنات معاوية ودائرته ومصائبهم ووقائعهم ما لا تطلع عليه في كتاب آخر. الجواب) المفيد للسائل والمستفيد، ص83

2- الوصية الإلهية»، مبحث نفخر بأئمتنا المعصومين».

وهذا التذبذب منه دعا أحد كتاب السنة إلى تشريح جزء مهم من شرحه، بنقد ما فيه من تجاوزات أو تعرض لثلة من صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وأعني به: الأستاذ محمود الملاح رحمه الله في رسالته تشريح شرح نهج البلاغة التي أقوم بتحقيقها، وبعثها من جديد لعالم المطبوعات؛ لأن طبعتها الأولى (عام 1374ه) قد اندثرت، حتى من المكتبات العامة (1)، ولأنها متعلقة بشرح شهير لا يزال يُعاد طبعه مرارًا (2).

وقد قدمت قبلها ثلاثه مباحث:

1 – التعريف بكتاب «نهج البلاغة»، وتحقيق نسبته لعلي عليه السلام

2 – ترجمة ابن أبي الحديد وأبرز المآخذ على شرحه

3 – ترجمة الأستاذ محمود الملاح، وحديث عن منهجه في التشريح» (3).

منبها إلى أنني أتبع هوامش الأستاذ الملاح الله بقولي (منه).

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، وأن يوفقنا جميعا لصالح القول والعمل،وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه سليمان بن صالح الخراشي

Alkarashil رحمه اللهhotmail.com.

1– لم أجدها سوى في المكتبة الملكية المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

2– من آخر طبعاته: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت عام 1998م.

3– ومن ذلك أنه يسمي ابن أبي الحديد: «ابن أبي الح» وذلك إما اختصارًا أو «سخرية»! كما سيأتي عند بيان منهجه – إن شاء الله فلينتبه لهذا.

المبحث الأول: كتاب «نهج البلاغة»، ومؤلفه:

اشارة

كتاب نهج البلاغة عبارة عن مجموعة أقوال وخطب، جمعها الشـريف الرضـي الشـيعي، المتوفى عام 406 للهجرة، ونسـبها إلى علي عليه السـلام، وقد قسم كلام علي ثلاثة أقسام: الخطب والكتب والحكم، مضـيفًا إليه كلما - اقتضـى الأمر - توضـيحات مختصـرة، وقد احتوى على 241 خطبة، و 79 كتابًا، و 480،حكمة، تتابع الشـراح لاسيما الشيعة على شرحها، والاحتفاء بها، ومن أهم شروحها وأشهرها: شرح ابن أبي الحديد - كما سبق.

وقد بين العلماء والمحققون كذب نسبة الكتاب لعلي، وأثبتوا بطلانها، وهذه أبرز أقوالهم:

1 - قال ابن خلكان وهو من أوائل من شـكك في نسـبة الكتاب عند ترجمته للشـريف المرتضـى: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هل هو جمعه، أم أخيه الرضي؟ (1) وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه جمع ونسبه إليه هو الذي وضعه (2).

1- سيأتي تحقيق هذا - إن شاء الله - عند النقل عن الدكتور صبري إبراهيم.

2- وفيات الأعيان (313/3).

2 – وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ... وأيضًا؛ فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب «نهج البلاغة» كذب علي علي،وعلي عليه السلام له أجل وأعلى قدرًا أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح؛ صدق ولا هي مدح ومن قال: إن كلام عليّ وغيره من البشر فوق كلام المخلوق؛ فقد أخطأ، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم فوق كلامه، وكلاهما مخلوق ...

وأيضًا؛ فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب «نهج البلاغة» وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يُحكى عن عليّ أنه تكلّم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا؛ يوجد في كلام البيان والتبيين للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير عليّ، وصاحب نهج البلاغة يجعله عن علي.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن عليّ من كلامه؛ لكانت موجودة قبل هذا المصنّف منقولة عن عليّ بالأسانيد،وغيرها، فإذا عَرَف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرًا منها، بل أكثرها، لا يُعرف قبل هذا؛ عُلم أن هذا كذب وإلا؛ فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن عليّ، وما إسناده؟ وإلا؛ فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد.

ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها؛ عَلِم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن

عليّ من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها» (1).

3 – وقال المقبلي: أخرج البخاري عن علي عليه السلام؛ أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الخلاف، حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي عليه السلام كذبًا، وصدق ابن سيرين عليه السلام؛ فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم؛ يشهد بكذب كثير مما في «نهج البلاغة»، الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن؛ لم يبلغوا بها، مصنفها، حتى لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره؛ فلم يبلغوا بها الرضي الرافضي، ولو بلغوه لم ينفعهم؛ فإن مذهب الإمامية تكفير من لم يكن على مذهبهم كفرًا صريحًا لا تأويلا» (2).

4 – وقال الشيخ محمد العربي التباني تحت عنوان: «نسبة نهج البلاغة» الحيدرة دعوى باطلة بعشرة أوجه ما نصه: فجزمه بأنه ليس من شك عند من أدباء هذا العصر ولا عند أحد ممن تقدمهم في أن أكثر ما تضمنه من كلام أمير المؤمنين علي؛ دعوى طويلة عريضة تحتاج في تدعيمها إلى إثبات ذلك عن كل واحد من أدباء العصر، وعن كل واحد ممن تقدمهم من الأدباء،وقد نقضها باستدراكه،وترجيه وبالصفدي وغيره من كتاب التراجم، على.

1- منهاج السنة النبوية (55/8 – 56).

2- (العلم الشامخ)، (ص) 452).

أنها لو أثبتها عن جميع الأدباء المتقدمين والمتأخرين باطلة بعشرة أوجه:

الأول: عدم نقد العلماء الذين جاؤوا من بعد الشريف المرتضى إلى عصرنا ل - نهج البلاغة لا يكون حجة على صحة نسبته لحيدرة - رضي الله تعالى عنه عند العقلاء.

الثاني: عدم نقدهم له مفرع عن اطلاعهم كلهم عليه في هذه القرون العديدة، وإقرارهم نسبته لعلي - رضي الله تعالى عنه، واطلاعهم كلهم في هذه القرون العديدة، وإقرارهم له مستحيل عادة، وإن جاز عقلًا.

الثالث: اتفاقهم كلهم على صحة نسبته لحيدرة على فرض اطلاعهم ليس بحجة أيضًا؛ لأنه بلا أسانيد توصل مؤلفه بحيدرة.

الرابع: الخوارج والرافضة والمعتزلة أبعد أهل الإسلام عن الرواية، وأجهلهم بها، وأعداهم لها ولحملتها؛ فالخوارج والرافضة لتضييقهم دين الإسلام وحصره فيهم؛ بتكفير الخوارج لجل الصحابة ماعدا الشيخين وجماعة قليلة والأمة الإسلامية كلها والرافضة للصحابة كلهم ماعدا عليا وأولاده والأمة الإسلامية كلها والمعتزلة لجعلهم العقل أصلا والنقل فرعًا تابعًا مؤكدًا له؛ لذلك يزدرون أهل السنة والجماعة ويلقبونهم بالحشوية.

وعليه؛ فالخامس الشريف المرتضى ليس من أهل الرواية؛ لأنه رافضي إمامي معتزلي بين وفاته ووفاة جده علي بن أبي طالب أربع مئة سنة إلا أربعا.

السادس: على تقدير أنه من أهلها، فبينه وبين حيدرة على أقل تقدير سبع

طبقات من الرواة، وقد حذفهم وقطع كتابه منهم.

وكل ما لم يتصل بحال *** إسناده منقطع الأوصال

فمجرد قوله فيه: من خطبة له عليه السلام، من كلام له عليه السلام؛ لا يدل على مطلق نسبته لحيدرة ولو نسبة ضعيفة عند أهل الرواية، فضلا عن كونها صحيحة.

السابع: لو فرض أن لكل ما يتعلق فيه بسب الصحافة والتعريض بهم سندًا بحيدرة؛ لوجب البحث فيه عن أحوال رجاله واحدًا واحدًا على طريق متصلا فن الرواية.

الثامن: إذا قطع النظر عن هذه الأوجه؛ يكفي في بطلانه أمران ظاهران: النيل من أعراض سادات الصحابة الخلفاء الراشدين تصريحًا وتعريضًا، والسجع المتكلف الظاهر التوليد الذي تنبو عنه فصاحة الصحابة والهاشميين، ولقد كان من واجب إمامه محمد عبده عند المتغالين فيه في كل فن (وخاصة في اللغة) (والكتابة) ألا يخفى عليه هذا السجع المصطنع، الذي يجزم كل من له إلمام باللغة العربية بأنه بعيد من فصاحة الصحابة السليقية، ولأجله؛ جزم الصفدي والأدباء العصريون الذين عبر عنهم الأستاذ الدين بصيغة الإبهام بأنه من وضع الشريف المرتضى في قوله:

«ولكن بعض المعروفين من أدباء عصرنا يميلون إلى أن بعض ما في الكتاب من خطب ورسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضي جامع الكتاب»، وجل الكتاب خطب ورسائل؛ فليست بعضًا كما قال!

التاسع: ليس السب تصريحًا وتلويحًا وتعريضًا، والهمز واللمز من أخلاق عامة المؤمنين، فضلا عن ساداتهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

أجمعين، فضلا عن سادات الصحابة؛ مثل حيدرة - رضي الله تعالى عنه؛ فصدور ما في «نهج البلاغة» من ذلك عنه مستحيل؛ لأنه منابذ لما وصفه الله به مع جميع الصحابة في كتابه العزيز من الأخلاق العالية، وقد ثبت عنه التاريخ القطعي والظني احترامه لجميع الصحابة؛ وخصوصًا الشيخين.

العاشر: «قال الذهبي في ميزان الاعتدال» (1): علي بن الحسين العلوي الحسيني، المتوفى عام 436، الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، ومن طالع كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي عليه السلام، ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر عليه السلام، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل وأيده الحافظ ابن «لسانه» (2) (3)

5 - وقال الأستاذ محمود شاكر رحمه الله: «كتاب نهج البلاغة» هو مجموع أقوال وخطب جمعها الشريف الرضي المولود سنة 359 من الهجرة، والمتوفى سنة 406 من الهجرة أو جمعها أخوه الشريف المرتضى المولود سنة 355 من الهجرة والمتوفى سنة 436 من الهجرة، ونسب ما فيه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي توفي سنة 40 من الهجرة. ومعنى ذلك أن بين جمع.

1- (124/3).

2- «لسان الميزان»، (223/4).

3- «إفادة الأخيار ببراءة «الأبرار» (111/2 - 113).

هذه الأقوال وبين وفاة علي عليه السلام نحو أربعة قرون. وهذه الأقوال لم يروها الرضي أو أخوه المرتضى بإسناد متصل ينتهي إلى علي.

فكيف نثق بهذه الرواية المرسلة بلا إسناد صحيح، مع المتطاولة التي تفصل بين علي أمير المؤمنين وبين جامع هذه الأقوال؟.

وأنا أستطيع أن أؤكد لصديقي الكريم (1) أن النظرة الأولى إلى جملة ما في الكتاب من الكلام تقطع بأن كثرته الكاثرة لم تجر على لسان علي عليه السلام إلا أقل من العشر. فإذا كانت النسخة التي طبعها الشيخ محمد عبده، تقع في نحو 400 صفحة، فلا يكاد يصح منها إلا أقل من أربعين صفحة. وهذا القدر المنسوب إلى علي، يكاد يكون كله في السنوات الأخيرة من حياته، منذ بالخلافة لخمس ليال بقين من ذي الحجة سنة 36 من الهجرة، إلى أن قُتِل عليه السلام السبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة 40 من الهجرة، أي في أقل من أربع سنوات، وهذا أمر لا يكاد يُصدّق أن يكون قيل كله في هذه الفترة القصيرة من الفتنة والاضطراب، وأن يكون الرواة قد استطاعوا أن يجيدوا روايته في هذه الفترة من الفتنة والاضطراب. هذا فضلا عما في أقوال لا يليق صدورها عن رجل مثل عليّ في دينه وعلمه وتقواه.

ودليل آخر، فإن هذا الكتاب نهج البلاغة فيه من غريب ألفاظ اللغة قدر كبير جدًا، وقد أفرد علماء الأمة كتبًا تُسمى كتب الغريب عنيت بتفسير غريب ما في حديث رسول الله رحمه الله، وغريب ما روي عن كبار الصحابة. فمن.

1- أي: الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود انظر عن فكره المنحرف رسالتي:«نظرات شرعية في فكر منحرف»، المجموعة الأولى، (401/1 - 436).

ذلك مثلا كتاب «الغريب» لأبي عبيد القاسم بن سلام (توفي سنة 224 من الهجرة). فإن شرح حديث أمير المؤمنين عمر رضى الله عنهما يقع في نحو مئتي صفحة من المطبوع، ويقع شرح حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام في خمسين من المطبوع، أي أن حديث علي فيه ربع حديث عمر. حديث عمر. فإن صحت نسبة ما في نهج البلاغة إلى علي لكان شرح غريبه من اللغة، يقع في أضعاف أضعاف ما روي عن عمر على الأقل. ومعنى ذلك أن علماء الأمة الذين تتبعوا شواهد اللغة قبل مولد الشريف الرضي أو أخيه المرتضى، لم يقفوا على هذا القدر المفرط الموجود في نهج البلاغة، ولو كان تحت أيديهم هذا القدر، لما أغفلوه البتة. وهناك أدلة أخرى على بطلان نسبة ما في مثل هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين.

و حسبى هنا أن أختم القول في نهج البلاغة بذكر ما قاله الحافظ الذهبي (673 - 748 ه)، حيث ذكر الشريف المرتضى، فقال: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة وله مشاركة قوية في العلوم ومن طالع كتابه «نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين ففيه السب الصراح والحط على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، وفيه من التناقض، ومن الأشياء الركيكة، والعبارات التي من كان له معرفة بنفس القرشيين من الصحابة، وبنفس غيرهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل. وهذا أهون ما يقال في هذا الكتاب.

6 - ومن أجود الدراسات التي حققت أمر نهج البلاغة: رسالة الدكتور صبري إبراهيم عن الكتاب، حيث أثبت بطلان نسبته لعلي عليه السلام، وكشف عن مصادره بما لا مزيد عليه.

قال الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله في تقديمه لهذه الدراسة المميزة (1): إنها قضية ذات كتاب أو كتاب ذو قضية. فكتابنا هذا نهج البلاغة» يعدّ في طليعة أمهات كتب الأدب العربي، ولا تكاد مكتبة أديب حفي بالتراث العربي تخلو من الظفر به أو اقتنائه.

وكنا إلى الأمس القريب في ريبتين اثنتين منه: أولاهما: من هو صانع هذا الكتاب؟ أهو الشريف الرضي، أم هو أخوه المرتضى؟ والأخرى: مدى صحة هذا الحشد الهائل من الخطب والرسائل والحِكَم، أو بعبارة أدق ما مدى توثيق هذا الكم الضخم ونسبته إلى الإمام علي عليه السلام؟ ومن ذا الذي يقضي في هذه المسائل؟ فإن كثيرين من علماء القرن السادس الهجري يزعمون أن معظم هذه النصوص لا يصح إسناده إلى الخليفة الإمام، وإنما هو صناعة قوم من فصحاء الشيعة صنعوه ليزيدوا الناس يقينًا بما عرفوه من فصاحة الإمام،واقتداره مع أن فصاحة وبلاغة وسمو بيانه لا تحتاج إلى دليل أو تفتقر إلى برهان وزعموا أيضًا أن الشريف الرضي أو غيره من الشيعة نظموا أنفسهم في سلك هؤلاء الأقوام.

وقالوا: إنه مما يحيي هذا الشك ويقويه ما اشتمل عليه هذا الكتاب من تعريض بالصحابة في غير ما موضع وإن السجع والصناعة اللفظية تظهر في كثير من جوانبه على خلاف المعهود في نتاج هذا العصر النبوي.

وقالوا: إن فيه من دقة الوصف وغرابة التصوير ما لم يكن معروفًا في آثار 7)

1- (ص5 - 7)

الصدر الأول الإسـلامي، كما أنه يطوي في جنباته كثيرا من المصـطلحات التي لـم يتداولها الناس إلا بعد أن شاعت علوم الحكمة، كالأين والكيف إلى مـا فيه من لغـات علم الكلاـم وأبحـاث الرؤيـة الإلهيـة، والعـدل، وكلام الخالق، وما لـم يكن معهودًا كـذلك من التقسـيمات الرياضية ذات النظام.

وقالوا: إن الكتاب مشـتمل على ادعاء المعرفة بالغيبيات، وهو الأمر الذي يجل قدر الإمام علي بن أبي طالب وإيمانه الصـريح الخالص عن التلبس به أو اصطناعه.

كمـا أن في الكتـاب تكرارًا للمقـاطع بالتطويل تارة وبالإيجاز أخرى، وأن كثيرًا من نصوصه لـم يظهر فيما أثر من كتب الأدب والتاريـخ التي صنعت قبل الشـريف الرضي أو أخيه، وأن به تطويلا يتجاوز حد الغلو في بعض نصوصه، كعهده إلى الأشتر النخعي، دع عنك ما يسري فيه من مظاهر التشيع المذهبي والتعصب الشيعي التي يعلو قدر الإمام عنها.

وأمر آخر يريب: وهو أن جامع هذه النصوص لـم يسـجل في صدر كتابه أو أثنائه شيئًا من مصادر التوثيق والرواية، كما هو المألوف في أمثال هذه الكتب التي يُنظر إليها بعين خاصة.

هذه كلها شبهات، تعلو ومسائل تطفو، تحمل الباحث على كثير من التأمل، وطويل من الدرس شبهات ومسائل كانت تحيك في صدر كل دارس لهذا الكتاب الخالد ويوّد لو أن قد تفرّغ لدراستها من يزيل عنها تلك الأوضار، ليظهر من بينها يقين التحقيق.

لهذا كلّه كانت غبطتي بهذا البحث الذي تولاه باحث أعرف فيه الدقة

والصبر، وأعرف فيه خلّة التأني جلية واضحة هي الغبطة الصادقة.

فقد استطاع الدكتور صبري يحقق نسبة الكتاب إلى الشريف الرضى بما لا يدع مجالا للشك.

ثم تمكن من تحقيق نسبة النصوص في هذا الكتاب بمختلف ضروبها من خطب ورسائل وحكم إلى أصحابها، ومن بينها ما صحت نسبته إلى الإمام علي في جملتها وتفصيلها، أو في تفصيلها فقط دون جملتها. وهذا أمر يحدث للمرة الأولى بين الباحثين في هذا الكتاب بهذا الأسلوب المنهجي الفريد.

وقد أوضحت نتيجة البحث أن نصوصًا خاصة من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم، أو أقوال المسيح عليه السلام، ولاسيما في مجال الحكم، قد نسبت إلى الإمام، وأن مأثورات من أقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومنهم عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان قد عزيت إلى الإمام إلى ما ثبت أنه للإمام الرضا أو الباقر، أو الصادق، أو علي بن الحسين بن علي، أو زين العابدين بن علي بن الحسين، بل تجاوز الأمر هذه العهود إلى عهود متأخرة، كالخليفة المأمون!».

قال الدكتور صبري إبراهيم (1): لقد حظيت مأثورات الإمام علي عليه السلام بالكثير من الجهود؛ سواء من القدماء أو المحدثين، فتوفروا على جمعها وتدوينها، بيد أن جل هذه المحاولات وقفت عند حدود الجمع والشرح، أو بيان معاني بعض المفردات ولم يتعد ما فعلوه ذلك ...

1- (ص 13 - 28).

إذا عرفنـا أن بعض هـذه النصوص قـد جُمعت ودونت بعـد قرون عـدة من وفاة صاحبها وجب علينا أن نقوم بتمحيصـها – تحقيقا وتوثيقا – خاصة إذا، تداولتها أيدٍ كثيرة، وشاب أفكارها وأساليبها بعض التحريف أو التزييف.

فها هو الشريف الرضي (ت 406 ه) يجمع كلام جده الإمام في كتاب (يتضمن محاسن ما نُقل عنه من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة)، ويذكر في مقدمته لكتابه نهج البلاغة أنه (ربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر)، ويعترف أن روايات كلامه تختلف اختلافًا شديـدًا، فربما اتفق الكلام المختار في روايـة فنقل على وجهة ثم وجد بعـد ذلك في روايـة أخرى موضوعًا غير وضـعه الأول، إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة، فتقتضـي الحال أن يعاد اسـتظهارًا للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام، وربما بعد العهد أيضًا بما اختير أولا فأُعيد بعضه سهوًا أو نسيانًا، لا قصدًا واعتمادًا).

إضافة إلى ذلك تعرّض الكتاب لكثير من النقد والتجريح، خاصة وأنه قد مرّت أربعة قرون حتى دوّنت النصوص التي يحتويها.

من هنا نشأت ضـرورة تحقيق الكتاب وتوثيق نصوصه تحقيقا علميًا دقيقًا، يعوّل على اعتماد الروايات التاريخيـة الموثوقة، ودراسة الأساليب اللغوية الواردة.

ثم قـال: قال: نهـج البلاغـة هو الكتاب الـذي يضم مجموعـة ما وصل إلينا من الخطب والمواعظ والوصايا والرسائل والأقوال المأثورة التي تروي للإمام علي عليه السلام

ص: 19

وقد ثار الجدل حول مؤلف هذا الكتاب كما ثار الجدل حول النصوص الواردة فيه ومدى صحة نسبتها إلى الإمام علي:

من مؤلف نهج البلاغة؟

نسبة جمع هذا الكتاب إلى الشريف الرضي هو ما يشيع بين جمهور المتأدبين قديمًا وحديثًا، غير أن هذا الأمر قد دار حوله الجدل، فيرى بعض العلماء أن الذي جمع «نهج البلاغة» ليس أبا الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي الشيعي المعروف بالشريف الرضي (ت406ه -)، وإنما هو أخوة أبو القاسم علي بن الحين المعروف بالشرف المرتضى (ت 436 ه) (1). يقول ابن خلكان (ت 681 ه): وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع في كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هل هو جمعه (يعني الشريف المرتضى) أم جمع أخيه الرضي (2). وجاء الذهبي (ت748 ه) وابن حجر العسقلاني (ت 852 ه) من بعده فجزمًا بأن واضع الكتاب هو الشريف المرتضى، حيث قالا عنه: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة (3). ويكاد لا يختلف عن قول ابن خلكان هذا أقوال ابن الأثير الجزري في مختصر الوفيات (4)، وصلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات(5)، 1)

1- نهج البلاغة: تحقيق وتعليق محمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا (5/1).

2- ابن خلكان وفيات الأعيان (416/3).

3- الذهبي: ميزان الاعتدال (124/3)، وابن حجر العسقلاني: لسان الميزان (223/4).

4- انظر: روضات الجنان (ص386).

5- (2861/1)

والعلامة اليافعي في مرآة الجنان (1)، وابن العماد في شذرات الذهب (2).

ومن المحدثين من تأثر بهذا الرأي، وقال،به مثل جورجي زيدان، حيث قال إن الإمام علي قد جمعت خطبه في كتاب نهج البلاغة، جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة 436 ه) (3).

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع: بحث قام به الأستاذ «امتياز علي عرشي» جعل عنوانه استناد نهج البلاغة» (4). أثبت فيه أن جامع نهج البلاغة هو الشريف الرضي، لا المرتضى: فقد بدأ الباحث بدراسة كتب التراجم التي عاصر مؤلفوها الأخوين: الشريف الرضي والشريف المرتضى وذكروهما في كتبهم، وهي:

1 – يتيمة الدهر، وتتمة يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (ت429 ه).

2 – كتاب الرجال للنجاشي (ت450 ه).

3 – كتاب الفهرست لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت (460ه).

4 – تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463ه).

ويلاحظ الباحث أن الطوسي لم يذكر الشريف الرضي بتاتا، كما لا يذكر.

1- انظر: (55/3).

2- انظر: (257/3).

3- تاريخ آداب اللغة العربية (181/1).

4- انظر: مجلة ثقافة الهند عدد ديسمبر 1957م.

نهج البلاغة في ترجمة الشريف المرتضى ولا يعده من مؤلفاته، وأن الثعالبي والخطيب البغدادي قد ذكرا الأخوين كليهما، لكنهما لم يذكرا شيئًا عن نهج البلاغة. أما النجاشي فذكرهما ومؤلفاتهما، وذهب إلى أن مؤلف نهج البلاغة هو الشريف الرضي (1). ولا يخفى ما لشهادة النجاشي والطوسي من أهمية حتى نستطيع أن نعتمد عليها، ونجعلها قولا فصلًا. غير أن الباحث يذكر شواهد أخرى داخلية وخارجية – كما يقول هو – إيضاحًا للحقيقة وقضاء على جميع الملتبسات والموهمات وهذه هي الشواهد التي (2)،

أوردها في بحثه الدليل الأول: قال المؤلف في خطبة الكتاب: «فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليها السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته إمام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام. وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبوابا، وفصلته فصولا، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نُقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة؛ فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدَّم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك أن أبدأ)

1- النجاشي: كتاب الرجال (ص192، 283).

2- استناد نهج البلاغة: ص 6 – 13)

بتـأليف كتـاب يحتوي على مختـار كلاـم مولانا أمير المؤمنين عليه السـلام في جميع فنونه ومتشـعبات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وآداب (1).

ويظهر من كلامه هذا أن جامع نهج البلاغة جمعه بعد تأليف كتابه«خصائص الأئمة»، ويؤيده ما قال الجامع في شـرحه للخطبة العشـرين «قـد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قـدرها وشـرف جوهرها» (2). ويؤيـده ما ذهب إليه النجاشـي حيث عـدّ كتاب الخصائص من مؤلفات الشريف الرضي (3). وأقوى الدلائل على ذلك العبارات الواردة في الكتاب نفسه، ففي شرح قول أمير المؤمنين: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، قال السيد الرضي أبو الحسن عليه السلام: وهذه الحكمة التي لا قيمة لها ولا كلام يوزن بها» (4).

هذا إلى جانب ما ورد في صـفحات أخرى حيث يقول: «قال الشـريف الرضـي عليه السـلام مما ينص على أن مؤلف الكتاب هو الشـريف الرضي، وفي خاتمة الكتاب أضيفت كلمة «ذو الحسبين» إلى اسم المؤلف ولقبه وكنيته.

فإذا ثبت أن مؤلف الخصائص الشريف الرضي ثبت كذلك أنه مؤلف نهج البلاغة.

الدليل الثاني: ذكر النجاشي وغيره من المؤرخين أن الشريف الرضي له.

1- نهج البلاغة: مقدمة المؤلف (ص 33 - (34).

2- المرجع السابق، (ص63).

3- كتاب الرجال (ص 283).

4- ورد هذا الكلام في النهج ص 482 برواية: «وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ولا توزن بها،حكمة ولا تقرن إليها كلمة».

مؤلف آخر في تفسير القرآن موسوم به «حقائق التنزيل»، وقد أباده الحدثان إلا مجلدًا خامسًا طبع في النجف سنة 1355 ه - 1927م، فلنلاحظ ما جاء في الصفحة 167 من هذا التفسير: «من أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمنها بنهج البلاغة، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع، من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوبناه أبوابًا ثلاثة؛ ليشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصلة».

ولا خفاء في أن العبارة المذكورة لا تشير إلا إلى نهج البلاغة الذي نحن بصدده

(الدليل الثالث): يعد النجاشي وغيره كتاب مجازات الآثار النبوية من مؤلفات الشريف الرضي، ونجد في نسخته المطبوعة ما نصه: «يبين ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له تخففوا تلحقوا»، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه» (1). وفي صفحة أخرى نجد ما نصه: ومثل ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة»، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة» (2).

وربما أنه لا خلاف في أن مؤلف المجازات هو الشريف الرضي.

1- المجازات النبوية (ص22).

2- المرجع السابق (ص 41).

ويجدر بنا أن نذكر أن المؤلف يشير في نهج البلاغة أيضًا إلى كتابه المجازات حيث يقول: وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية (1). ويريد المؤلف من الاستعارة المشار إليها: قول أمير المؤمنين: العين وكاء السه الوارد في كتابه مجازات الآثار النبوية ص 187، وفوق ذلك كله ما نجده بين عباراتهما في هذا المحل من تماثل وتقارب، الأمر الذي لا يدعنا نتخيل أن الكتابين لمؤلفين، لا لمؤلف واحد.

(الدليل الرابع) نجد في بعض نسخ نهج البلاغة أن الشرح يبدأ باسم الرضي، ونجد تارة بعد تارة قوله: «قال الرضي، أو قال الرضي أبو الحسن»، وجميع النسخ خالية من ذكر المرتضى، فلو كان هو المؤلف، فما الداعي لذكر الرضي؟.

(الدليل الخامس) يبلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على أربعين، وأجمع الشراح الذين تلي أسماؤهم على أن الكتاب من تأليف الرضي:

1 - شرح نهج البلاغة للسيد علي بن ناصر العلوي الموسوم بإعلام نهج البلاغة وكما يظهر من مراجعة كشف الحجب كان الشارح من معاصري مؤلف نهج البلاغة، ويقول الشارح في الورقة 19 ب يشرح كلمة (ملطاط): قال السيد الأجل الرضي رضى الله عنهما: يعني بالملطاط السمت الذي أوهم بلزومه». ونجد هذا الشرح نفسه في نهج البلاغة» (2)، الأمر الذي يدل على أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضي لا غير ...

1- نهج البلاغة: (ص 557).

2- نهج البلاغة (ص 87).

2 – شـرح قطب الدين أبي الحسـين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ت (573 ه) – المعروف بمناهج البراعة. ذكره صاحب روضات الجنات (ص 301) وكشف الحجب (ص 365).

3 – شـرح الشـيخ أبي الحسن (أو الحسن أبي القاسم زيـد بن محمد بن علي البيهقي النيسابوري المعروف بفريد «خراسان». وكان الشارح أفقه عصـره وأبدع المتكلمين، وأسـتاذًا لابن شهراشوب المازندراني مؤلف مناقب آل طالب وقد توفى عام 588 ه، وتوجد للشرح نسخة عند الشـيخ محمد صالح بن الشيخ أحمد آل طعان القطيفي البحريني، تدل على أن الشارح قرأ نهج البلاغة سنة 516 ه على حسين بن يعقوب، وقرأ يعقوب على الشـيخ جعفر، وقرأ الشـيخ جعفر على الشـيخ الرضى نفسه واستجازه. فهذا السند الآخر يدل على أن المؤلف هو الشريف الرضى.

4 – شـرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 655 ه) الذي نسب المتن في خطبة الشـرح إلى الشـريف الرضي، وفصل الكلام على حياته، كما ذكر اسم الرضي غير مرة.

5 – شرح ابن ميثم البحراني (ت (679 ه الذي يرى أن نهج البلاغة تأليف الشريف الرضي.

6 – شرح النفائس المؤلف سنة 759ه – ، ولم يُعرف اسم مؤلفه.

7 – شرح كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي، المؤلف سنة 770 ه.

ويبدو أن نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الشريف المرتضى أخي الرضي منشوءة أن الشريف الرضي كان يلقب بالمرتضى أحيانًا، لأن جده إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى بن جعفر، كما أن أخاه المرتضى كان يلقب بذلك، ثم بقي هذا اللقب على هذا، ولقب الأول بالرضى يوم رضوا به نقيبًا على نقباء العلويين؛ ليتميز عن بقية آل المرتضى (1).

وإذا ثبت نسبة نهج البلاغة إلى الشريف الرضى، فما مدى صحة نسبة النصوص الواردة فيه إلى الإمام علي؟

كانت نسبة ما في «نهج البلاغة» إلى الإمام علي مثارًا للشك عند العلماء والباحثين المتقدمين والمتأخرين على مر العصور، كما ثار الجدل حول النصوص ذاتها التي خواها الكتاب. فكثير من علماء القرن السادس الهجري كانوا يزعمون أن معظم ما في نهج البلاغة لا يصح إسناده إلى علي بن أبي،طالب وإنما ألفه قوم من فصحاء الشيعة من بينهم السيد الرضي.

ولعل ابن خلكان أول من أثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبته الكتاب إلى الشريف المرتضى تأليفا (2)، ثم جاء من بعده الصفدي وغيره من كتاب التراجم، فتابعوه على ذلك، وحينئذ قوى الشك وتمكن (3). يقول ابن.

1- ما هو نهج البلاغة؟ (ص 10).

2- وقال الخطيب البغدادي - قبله - في الجامع (2(161): ونظير ما ذكرناه آنفا: أحاديث الملاحم، وما يكون من الحوادث، فإن أكثرها موضوع وجُلها مصنوع، كالكتاب المنسوب إلى دانيال والخُطب المروية عن علي بن أبي طالب.

3- نهج البلاغة: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المقدمة ص (د).

خلكان وقد قيل إنه ليس من كلام علي وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه» (1)، ويقول الذهبي: ومن طالع كتابه (يعني نهج البلاغة) جزم (1)، بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي عليه السلام (2).

وأهم ما نجده من أسباب للشك في نسبة النصوص الواردة في كتاب نهج البلاغة عند القدماء والمحدثين ما يلي:

أولًا: أن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مالا يصح يُسلم صدوره عن مثل الإمام علي كما نراه في ثنايا الكتاب من سباب، معاوية وطلحة والزبير وعمرو بن العاص. يقول ابن احجر العسقلاني:

ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما (3). فنجد في نهج البلاغة موقفين مختلفين: موقفًا يتجلى فيه النبل وكرم الخلق، وموقفًا فيه عصبية شديدة، فبينما نرى في نهج البلاغة هذه الخطبة، وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به نرى فيه أمثال هذه الأقوال: ما يدريك ما علي مما لي؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك، منافق ابن كافر، والله.

1- وفيات الأعيان (416/3).

2- ميزان الاعتدال (124/3).

3- لسان الميزان (223/4).

لقد أسـرك الكفر مرة والإسلام أخرى ...»، وذكر الإمام علي يوما عمرو بن العاص، فقال: «عجبًا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة ...»، وقال لرجل يومًا: يا ابن اللعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها، ولا فرع ...». وإذا رجعنا البصر في أمثال هذه الشتائم، وجب أن نرفع عنها قـدر». الإمام علي، وأن ننزه لسانه الكريم عن أن ينطق بها (1). وأكثر من ذلك أن بعض الخطب؛ كالخطبة المعروفة بالشقشقية تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من التوقير لهم، وتنضـح بحقـد دفين لا يمكن يعشـش في صدر شـرحه الله للإيمان وملأه بالحكمة والبيان، ويكفي في تفنيد ذلك رثاء علي لأبي بكر وهو باك مسترجع (2).كذلك فإن عليا كان إلى جانب أبي بكر في حروب الردة وكان علي من جنوده المخلصـين، حتى لقد وكل إليه قيادة فرقة الأنقاب مع الزبير وابن مسـعود وهي الفرقة التي كانت مهمتها حراسـة الطرق المفتوحـة الموصـلة إلى العاصـمة ضـد غـارات المرتـدين كـذلك فإن عليًا بايع فيما بعـد لعمر بن الخطاب ووقف إلى جانب عمر، وصاهره عمر فتزوج أم كلثوم ابنـة علي من فاطمـة، وعمر هو التالي لأبي بكر، وخليفـة المسـلمين من بعده، فلا يُعقل أن يمتنع عن بيعة أبي بكر، ويُبايع لعمر الـذي هو أدنى منزلـة وقـدرًا من أبي بكر، كـذلك فإن عليا كان ملازمًا للخلفاء الثلاثة السابقين عليه فبايع عثمان كما بايع لصاحبيه من قبل، بل إنه كان أطوع لعثمان من بنائه في الوقت الذي باعده البعيد والقريب، وثارت.

1- د. عمر فروخ نهج البلاغة (ص10).

2- علي الجندي: صور البديع (69/10، وانظر كذلك: د. محمد ظاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام (ص)(322)، وانظر نص الرثاء في العقد الفريد (72/3).

عليه أمصار الدولـة ولامته عائشة أم المؤمنين، ولكن عليا لـم يخذل عثمان ولـم يُعن عليه، بل صدقه إذ كذبه الناس، ودافع عنه إذ تركه معاوية نفسه (1).

ويبدو أن اشـتداد التشـيّع لعلي أعمى شـيعته عن حق السـلف الصالح، فقالوا فيهم ما لا يقبله عقل ولا يؤيده،تاريخ وظنوا أن مكانة علي لا ترتفع إلا بالحط من قيم هؤلاء حطا لا يقبله،منصف، ولا يرضـى به على نفسه، وأغلب هـذا النوع لا يتناول من كلام على الخطبة فالخطبة، وإنما يأتي من هؤلاء دسا في كلام مثبوت الروايـة معروف للقـدماء؛ حتى يجوز على العقول، ويصـعب فيه التمييز، مثل الذي أودع خطبته الشقشـقية من تنقيص للخلفاء الثلاثة وتهجي، كأن يقول عن الصديق له الله: «أما والله لقد تقمصـها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحـدر عني السـيل ولا يرقى إليَّ الطير»، إلى أن يتمثل بقول الأعشـى بعـد قوله عن أبي بكر أيضًا: «فأدلى بها إلى فلان بعده يقصد عمر رضى الله عنهما.

شتان ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جاب

ثم يقول – يقصدهما – : «فيا عجبًا، بينا هو يسـتقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشـطرا،ضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها ويخشن مسـها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصـعبة، إن أشـنق لها خدم وإن أسـلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض»، وكان يقول في رجال الشورى الذين عهد).

1- عبدالحميد بخيت عصر الخلفاء الراشدين: ص 49 – 50)، وانظر تاريخ الطبري (223/3).

إليهم عمر باختيار الخليفة بعده: فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن»، يقصد بالأول سعد بن أبي وقاص، وبالثاني عبدالرحمن بن أبي بكر ويقصد بالصهر عثمان الذي يقول فيه: «إلى أن قام ثالث القوم، نافجًا حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه قتله، وأجهز عليه عمله، وكتب به بطنته، فمثل هذه المعاني لا تتفق وسيرة علي مع الخلفاء، ولا تتلاءم مع ما أثر عنه فيهم من أقوال (1). ويبدو أن الرضي استهواه أن يجمع آثار جده، فجمع كل ما قاله وما عزاه إليه الرواة، دون أن يعنى بتمييز الصحيح من الزائف، وإن كنا نكبر الرضي أن يقوم على هذا العمل الشنيع فيفتري على جده الأكاذيب ما له في نفسه من المكانة السنية، فيأتي بالعقوق في صورة البر (2).

ثانيًا: أن فيه من السجع والتنميق اللفظي وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر علي، ولا عرفه، وإنما ذلك شيء طرأ على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتتن به أدباء العصر العباسي والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه، فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم (3)، وكأن الشريف الرضي وجد مادة صاغ منها كتابه وهي مادة بنيت على السجع، ذلك نفسه ما يدل على كذب نسبتها إلى علي إذ ليس من الطبيعي أن.

1- السباعي بيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي (ص404 - 405).

2- صور البديع (69/1).

3- نهج البلاغة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المقدمة ص (د)، وانظر: صور البديع (ص69).

يسجع علي في خطابته، بينما ينهي الرسول الكريم عن السجع، ويتحاماه أبوبكر وعمر وعثمان في خطابتهم(1) والحق أن الخلفاء لم يسجعوا، ولكنهم اعتمدوا على فنون أخرى من الصقل والتجويد (2).

ثالثًا: أن فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، وإحكام الفكرة وبلوغ النهاية في التدقيق؛ كما تراه في الخفاش والطاووس والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يتلفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه وشعراؤه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية (3).

رابعا: أن فيه بعض الألفاظ الاصطلاحية التي عُرفت في علوم الحكمة من بعد؛ كالأين والكيف ونحوهما، وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل، وفي تقسيمات الفضائل والرذائل مثل قوله: «الاستغفار على ستة، معانٍ، والإيمان على أربع دعائم ... (4)، والكلام على الأضداد والطبائع.) والعدم والحدود والصفات والموصوفات (5)، وورود بعض الألفاظ التي تدست فيما نقله عن المتكلمين وأصحاب المقولات، من نحو قولهم: المحسوسات) و (الكل والبعض) وقولهم: (الصفات الذاتية والجسمانيات) وقولهم: (أما أولا فالحال كذا، ونحو ذلك مما يأباه الفصيح من الألفاظ،.

1- د. شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي (ص62).

2- نفسه الطبعة الأولى (ص (22).

3- نهج البلاغة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المقدمة ص (د)، وانظر: صور البديع (ص69).

4- نهج البلاغة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المقدمة ص (د).

5- العقاد: عبقرية الإمام علي (ص132).

والسـليم من الأساليب وقـد اعتـذر عن ذلك ابن أبي الحديـد نفسه بقوله: أسـتهجنا تبـديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم، فمن كلم قومًا كلمهم باصطلاحهم، ومن دخل ظفار حمّر» (1).

كذلك تميز الروح الصوفي بما كنفه من فلسـفة متجليا، وأسـلوب علم الكلام بما وضع له من مصـطلحات،باديًا مما لم يعرف عنهما إلا في العصـر العباسـي، حيث تقدمت هذه العلوم فوضـعت أصولها، وفرعت فروعها، وهذا يظهر في بعض خطبه ظهورًا بارزا، كما في خطبة بدء الخلق(2). ويتصل بـذلك ما فيه من التناقض والأشـياء الركيكـة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشـيين الصـحابة، وبنفس غيرهم من بعدهم من المتأخرين، جزم الكتاب أكثره باطل (3)، وما فيه من خطب طوال يظهر عليها الصنع، ويتخللها آراء إسكندرانية لم يكن العرب قد عرفوها بعد في أيام الإمام علي (4).

ويبدو أن من هذا القبيل ما نراه مثبتا في الكتاب من إسـناد كل فضل وكل علم إلى علي بن أبي طالب، إما مباشـرة وإما بواسـطة ذريته، فعلم المعتزلـة من أن واصل بن عطاء – رأس المعتزلـة – تلقى العلم عن أبي هاشم عبـدالله بن محمـد الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي، وأبو حنيفة أخذ العلم عن جعفر الصادق، ومالك بن أنس قرأ على ربيعة الرأي،.

1- ابن أبي:الحديد شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (121)، وانظر خاتمة الشرح (574/4).

2- تاريخ الأدب العربي (ص 405).

3- لسان الميزان (223/4).

4- د. عمر فروخ تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون (ص 127).

وقرأ ربيعة على عكرمة، وعكرمة على عبدالله بن عباس، وعبدالله قرأ على علي، وبهذه الطريقة يُنسب فقه الشافعي إلى الإمام علي، لأنه تلميذ مالك، بل فقه عمر بن الخطاب يرجع إلى علي، لأنه كان يرجع إليه فيما أشكل من المسائل، وكان يقول: لولا علي لهلك عمر وتفسير القرآن أخذ أكثره عن عبدالله بن عباس، وهو أخذه عن علي، فقد قيل لابن عباس: أين علمك من، علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط، والتصوّف منسوب إليه، وقد نسبه إليه الشبلي والجنيد والسري وأبو يزيد البسطامي، وينسبون الخرقة التي هي شعارهم إليه، وأبو الأسود شعارهم إليه، وأبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو أخذه عن علي فقد أملى عليه: الكلام كله ثلاثة أشياء، اسم وفعل و حرف»، وعلمه تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة وتقسيم الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم وعلى الجملة؛ فليس هناك من علم إلا وأصله علي بن أبي طالب، كأن العقول كلها أجدبت وأصيبت بالعقم، إلا علي بن أبي طالب وذريته وعلي عليه السلام من ذلك براء (1).

خامسًا: أن في عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي، ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسالة ورأى نور النبوة (2). كما رووا له من المعجزات والعلم بالمغيبات الشيء الكثير، وقالوا إنه كان يعلم كل شيء سيكون، ووضعوا على لسانه ما جاء في نهج البلاغة: اسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي.

1- أحمد أمين فجر الإسلام (ص323 - 324)، وانظر شرح ابن الحديد للنهج (17/1).

2- نهج البلاغة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المقدمة ص (ه).

بيـده لا تسألونني عن شـيء فيما بينكم وبين الساعـة، ولا عن فئـة تهـدي مائة، وتضل مائة إلا أنبئكم بناعقها وقائدها،وسائقها ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يُقتل من أهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ...»، ورووا له أنه أخبر بقتل الحسين وأخبر بكربلاء، وأخبر بالحجاج، وأخبر بالخوارج ومصيرهم، وبني أمية وملكهم، وأخبر ببني بويه وأيام دولتهم، وأخبر عبدالله بن عباس بانتقال الأمر إلى أولاده فإنه لما ولد لعبدالله بن عبـاس ابنه علي؛ أخرجه أبوه إلى علي بن أبي طـالب فأخـذه وتفـل في فمه وحنكه بتمرة، قـد لاكهـا، ودفعه إليه، وقـال: خـذ إليـك – أبا الأملاك». هذه الأخبار وأمثالها انتشـرت بين الشيعة حتى ليكادون يذكرون أنه أخبر بما كان وما، سيكون إلى يوم الدين كل هذا إذا ضممناه إلى أن أكثر شـيعة علي كانوا في العراق، وكانوا من عناصـر متنوعـة والعراق من قديم منبع الديانات المختلفة والمذاهب الغريبة، وقد سادت فيهم من قبل تعاليم ماني ومزدك وابن ديصان، ومنهم نصارى ويهود سمعوا المذاهب المختلفة في حلول الله بعض الناس، كل هذه الأمور جعلت منهم من يؤله عليا (1).

سادسا: أن في خُطبه مقاطع طويلة وقصيرة تروى على وجهين مختلفين، يتفقان في المعنى، ولكن يختلفان في اللفظ (2).

سابعا: أن الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضي

1- فجر الإسلام (ص317) وانظر عبقرية الإمام علي (ص 131).
2- د. عمر فروخ نهج البلاغة (ص10).

تخلو من كثير مما في نهج البلاغة (1).

ثامنا: أن الكلام في النهج يطول إلى حد لم يُؤلف في هذا الوقت، وذلك (2).كما في عهد الأشتر النخعي. والمعروف عن علي التوسط، إن لم يكن الإيجاز، فقد ذكر صاحب النهج عهده إلى الأشتر في خمس عشر ورقة!! وهذه كمية لم تعرف ولا شيء منها عن علي في عهد من العهود حتى إلى من لم يكونوا كالأشتر محل ثقته منه في معرفتهم للأمور، وخبرتهم بالأيام، واعتقاده ذلك فيهم وهذا محمد بن أبي بكر الذي يقول فيه للأشتر حين استقدمه ليوليه مصر مكانه وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها،خوارج، وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء»، لم يزد في عهده إليه حين ولاه مع حاجته إلى المزيد على عشرة سطور، كما رواه الطبري، وعلى ورقة ونصفها كما هو ثابت ببعض زيادات في النهج، فكيف يكون عهده إلى الأشتر الذي يعتقد فيه ما يعتقد، مما ليس معه في حاجة إلى إيصاء، بالغا من الطول المبلغ الذي ذكرنا وما بالنا إذا أضفنا إلى ذلك أن الطبري حين تكلم على تولية الأشتر، لم يذكر من علي له عهدًا، فإن عليا لم يك منه للأشتر سوى قوله: «ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإني لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعذ بالله على ما أهمك الشدة حين يغني عنك إلا فا خلط الشدة باللين وارفق أبلغ واعتزم الشدة الشدة، ثم بعث معه بكتابه إلى أهل مصر وهو كتاب موجز ذكره الطبري)

1- نهج البلاغة: تحقيق محمد أحمد عاشور - المقدمة (7/1).

2- المرجع السابق (7/1)

أيضًا، ولعل قائلًا:يقول: إن الطبري ربما استطال العهد فترك إثباته، ولكن ذلك لا يتفق مع عادته في إثبات الطوال فقد أثبت عهد طاهر بن الحسين لابنه عبدالله حين ولاه المأمون الرقة،ومصر، وهو باسق الطول، ولعلنا لا نخرج إذا قلنا: إن عهد الأشتر صنع على احتذاء هذا العهد، ولكن غير جازمين في ذلك أن الذي صاغه الشريف الرضى، إذ يجوز أن يكون قد صاغه غيره من الشيعة قبل وأثبته هو على أنه لعلي، وإنما قلنا ذلك عن العهدين لأنهما فوق تقارب الأسلوب فيهما، جاءت معانيهما واحدة متسقة، وروح العصر الذي كان فيه المأمون، حيث تنوعت قواعد السياسة العربية، ودخلها ما لم يكن فيها مما كان للأمم المتحضرة القديمة، وبخاصة الفرس (1).

ويدخل في ذلك كثرة الخطب وتعذر الحفظ والضبط في أمثالها (1)، خاصة وأن الشريف الرضى قد فرغ من جمعه بعد مقتل علي بزهاء أربعة قرون (2)،بالإضافة إلى تعذر وجود وسائل الكتابة، وإعواز القرطاس (3).

تاسعًا: أن ما في الكتاب من خطب كثيرة ورسائل متعددة قد اختلقه الشريف الرضي لاغراض مذهبية شيعية (4)، وأن التشيع ربما قد زين له قبول.

1- ما هو نهج البلاغة (ص 31).

2- عبقرية الإمام علي (ص140).

3- المقتطف: ج 3 من المجلد 43 ربيع الأول 1331ه - - مارس 1913م.

4- د. عبدالحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه (ص92).

هـذا النتاج الوفير، وتـدوينه دون تمحيص، وقـد سـره أن يُنسب لجـده الإمام هذا الميراث الضـخم من عيون الآثار والحكمة مع أنه لو نظر لتردد، ولكشف أن بعضًا مما أُضيف إلى أمير المؤمنين لا يشرفه أن يُنسب إليه، ولا يزيد في قدره أن يكون من قوله (1).

عاشـرا: أن الشـريف الرضـي لـم يذكر في صدر كتابه المصادر التي رجع إليها، أو الشيوخ الذين نقل عنهم (2). هذا مجمل ما يحيط بنهج البلاغة من شبهات» (3).

أخيرًا، قال الدكتور صبري إبراهيم (4) وإذا كان بعض هؤلاء ممن.

1- الخطابة في صدر الإسلام (ص) (330).

2- نهج البلاغة: تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - المقدمة (8/1).

3- يُنظر أيضًا - لبيان بطلان نسـبة كتاب «نهـج البلاغة» لعلي آل البيت النبوي»؛ لعبد الكريم آل غضـية (ص230)، و«الخمير المفتوت: معجم المصـنفات الواردة في إدام القوت»؛ لطـارق العمودي (ص135)، و«أيام مع حسـين لمحمد الدسوقي، (ص 97، 119)، و«الإمام الألمعي مقبل الوادعي؛» لأحمد العديني (ص 284)، ودراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور، (ص273) وتاريخ آداب اللغة العربية؛ لجورجي زيـدان (598/1 - 599)، وتعليـق الشـيخ محمـود الإسـتانبولي على العـوصم من القواصم لابـن العربي (ص274 - 276)، والحقيقة الصـحيفة السـجادية»؛ للدكتور ناصر القفاري، ص 34 - 39)، وكتب حذر منها العلماء»؛ للشـيخ مشـهور سلمان، (2/ 250 - 257)، و«فجر الإسلام»؛ لأحمد أمين (ص 148 - 149) و(أبجد العلوم؛ لصديق حسن خان، (67/3)، والخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة؛ للدكتور زيد العيص، (ص 164) وتاريخ الأدب العربي؛ لأحمد الزيات، (ص 208 - 209).

4- (ص 67).

ينتسبون إلى مذهب الشيعة قد وصل به الأمر إلى الكذب على الله تعالى والخوض في آياته، أفلا نتصور بعد هذا أن يكون البعض قد خاض أيضًا في خطب علي، فضم إليها ما ليس له؟ ولماذا لا نجد مثل هذه الخطب إلا كتب الشيعة والمتأخرين منهم، ولا نجد لها ذكرًا في كتب السنة؟ ولماذا لم نعثر على كثير من هذه الخطب في بطون الكتب الأدبية المعروفة؟ ومن العجب أن نرى كل هذا الكم من خطب علي وأقواله، بينما لا نرى مثل هذا يحدث لأحد من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان مثلا!).

قلت: ومما يُضاف للدلالة على بطلان نسبة نهج البلاغة لعلي ماورد فيه من عبارات عقدية مُحدَثة لم تُعرف إلا متأخرًا عن أهل الكلام والاعتزال. قال الشيخ صالح الفوزان في رده على أحد الأدباء(1): «ومن المطاعن على كتاب نهج البلاغة مما لم يذكره الدكتور: ما فيه من الاعتزال في الصفات؛ لأن الرافضة اعتمدوا على كتب المعتزلة في العقليات، فوافقوهم في القدر وسلب الصفات، وكان المرتضى واضع كتاب «نهج «البلاغة أو المشارك في وضعه – كما أسلفنا – معتزليا، بل قال عنه ابن حزم: إنه من كبار المعتزلة الدعاة؛ كما نقله عنه الذهبي في الميزان». ومن هذا المشرب الكدِر حُشي نهج البلاغة.

وإليك نماذج من ذلك:

ففي الجزء الأول (ص8) يقول: وكمال الإخلاص له: نفي الصفات.

1- «البيان لأخطاء بعض الكتاب»، (69/1 - 85).

عنه؛ لشـهادة كل صـفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير ومن الصفة، فمن وصف الله سبحانه؛ فقد قرنه، ومن قرنه؛ فقد ثناه، ثناه؛ فقـد جزاه، ومن جزأه؛ فقد جهله ومن جهله؛ فقد أشار إليه، ومن أشار إليه؛ فقد حدَّه، ومَن حدّه؛ فقد عده، ومن قال: فيم؟ فقد ضـمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه».

وفي الجزء الثاني (ص 145 – 147) – يقول: ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء» ...

إلى أن قال:

«وليس في الأشـياء بوالـج، ولا عنها،بخارج، يُخبر لا بلسان ولهوات، ويسـمع، لا بخروق وأدوات، يقول ولا يتلفظ، يقول لمن أراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثَّلَه، ولم يكن من قبل ذلك، ولو كان قديما؛ كان إلها ثانيا».

إلى أن قال:

هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته».

انتهى ما أردنا نقله من هذا الهذيان الذي ينزه الله عنه، مما يطابق الله اعتقاد الجهمية والمعتزلة.

فيا عباد الله يا أصحاب العقول يا أهل الإيمان هل ترون – بربكم – أن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب – رضي الله عنه وأرضاه – تكلّم بهذا

الكلام في حق الله؟! اللهم لا وألف لا»

شروح نهج البلاغة وطبعاته:

شروح نهج البلاغة وطبعاته (1):

وأما شراح النهج فكثيرون منهم:

1 – أبو الحسن البيهقي (ت 588 ه)، الذي سمي شرحه «معارج نهج البلاغة».

2 – فخرالدين الرازي، إلا أنه لم يتمم،شرحه، كما صرح بذلك جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء.

3 – القطب الراوندي (ت 573 ه)، وسمى شرحه منهاج البراعة».

4 – القاضي عبدالجبار، وهو شرح مردد بين ثلاثة، لا يعلم من أي واحد منهم، إلا أنهم قريبون من عصر الطوسي.

5 – الحسن بن علي بن أحمد الماهاباوي شيخ الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست.

6 – أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي الكيدري، وسمى شرحه الإصباح»، فرغ من تأليفه سنة 576 ه.

7 – ابن أبي الحديد المعتزلي الذي وضع شرحًا للنهج، واختصره الفقيه سلطان محمود بن غلام علي الطبسي.

1– من رسالة الدكتور صبري إبراهيم (ص 61 – 64). وانظر: جامع الشروح والحواشي؛ للحبشي، (2371/3 – 2380).

8 – كمال الدين بن ميثم البحراني (ت (679ه –)، الذي وضع شرحًا كبيرًا وشرحًا متوسطا وشرحًا صغيرًا.

9 – كمال الدين بن عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي (ت 770ه).

10 – جلال الدين الحسين بن الخواجة شرف الدين عبد الحق الأردبيلي.

11 – بن شكر الله الكاشاني وضعه بالفارسية، وسماه «تنبيه الله فتح الغافلين وتذكرة العارفين»

12 – علي بن الحسن الزوارئي أستاذ المولى فتح الله المذكور.

13 – حسين بن شهاب الدين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن الجميذر العاملي الكركي (ت 1077 ه).

14 – علي بن الناصر، الذي وضع شرحًا سماه «أعلام نهج البلاغة».

15 – نظام الدين الجيلاني، الذي وضع شرحًا سماه «أنوار الفصاحة».

16 – السيد ماجه البحراني، الذي وضع شرحًا لم يتمه.

17 – رضى الدين علي بن طاووس ره.

18 – جمال السالكين عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي، المعروف بحسن الخط.

19 – عزالدين الآملي، كما ورد في الرياض

20 – السيد نعمة الله الجزائري.

ص: 42

21 – الأمير زا علاء الدين،كلستانه الذي وضع شرحًا سماه "بهجة الحدائق، وهو مختصر وله شرح آخر كبير يقرب من ثلاثين ألف بيت، إلا أنه ما جاوز من الخطبة الشقشقية إلا النزر اليسير.

22 – عبدالله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني، وشرحه يقرب من أربعين ألف بيت.

23 – الأمير زا إبراهيم الخوئي.

24 – الشيخ محمد عبده.

25 – حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي ألفه سنة 1303 ه.

26 – ميراز محمد باقر النواب اللاهجي.

27 – محمد التقي بن الأمير مؤمن القزويني (ت 1270ه).

28 – جواد بن محرم علي الظارمي (ت 1325ه)

29 – حسن بن المطهر بن محمد بن الحسين الجرموزي اليماني (ت 1110ه) وهو المذكور في كتاب نسمة البحر.

30 – محمد الرفيع بن فرج الجيلاني (ت 1160ه).

31 – ذاكر الحسين اختر الهندي الدهلوي الذي سمّى شرحه نيرنلت فصاحت).

32 – محمد صالح بن محمد باقر الروغني، من أبناء المائة الحادية عشرة.

33 – محمد بن حبيب الدين أحمد الحسني الحسيني، الذي فرغ من شرحه عام 881 ه.

34 – يحيى بن حمزة العلوي، إمام الزيدية (ت 749ه –) الذي وضع شرحًا مقتصرًا على حل الغريب.

35 – جهانكيز خان قشقائي.

36 – التفتازاني المولى سعد الدين.

37 – أحمد بن محمد الوبري من أعلام القرن الخامس.

38 – فخرالـدين عبـدالله بن المؤيـد بالله الذي وضع تلخيصا لشـرح ابن أبي الحديد سـماه «العقد النضـيد المسـتخرج من شـرح ابن أبي الحديد».

39 – وهناك شـروح أخرى؛ منها: بلاغ المنهـج» – «منهاج الولايـة»، (وهو شـرح وزع خطب النهـج على ثلاثـة أقسام: الأول في التوحيد وأصول الـدين، والثاني في المواعظ والعبادات والثالث في الأخلاق)، وشـرح مختصـر جامع للجمل المفيـدة من شـروح النهـج القديمـة، موجود في الخزانة الرضوية بمشهد طوس – وشرح مزجي موجود في الخزانة الحسينية بمشهد العزى، النجف (1) ...

1– ما هو نهج البلاغة ص 8 – 10 وشرح النهج لابن ميثم – المقدمة ص (و).

أما طبعات كتاب «نهج البلاغة»، فقد طُبع في مصر وغيرها طبعات عدة، من أهمها:

(1) نهج البلاغة: شرح محمد عبده تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة التجارية – مصر – بدون تاريخ.

(2) نهج البلاغة: طبعة عبد العزيز سيد الأهل، مكتبة الأندلس – بيروت – 1374ه – / 1954م.

(3) نهج البلاغة: طبعة محي الدين الخياط بيروت – بدون تاريخ.

(4) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحراني المطبعة الحيدرية – طهران – 1378 ه.

(5) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى الحلبي – مصر – 1383 ه – 1963م.

(6) نهج البلاغة طبعة د. صبحي الصالح دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1387ه – 1967م.

(7) نهج البلاغة: تحقيق وتعليق محمد أحمد عاشور – محمد إبراهيم.

هل يلتزم الشيعة بما في نهج البلاغة مما يُخالف معتقداتهم؟!

علمنا – سابقا – مدى اهتمام واحتفاء الشيعة بكتاب: نهج البلاغة»، والسبب كما هو واضح أنهم يرون فيه ما يخدم معتقدهم في قضية أحقية علي عليه السلام الله بالخلافة قبل الخلفاء الراشدين وقضية الطعن بالصحابة عليه السلام، كما في

الخطبة الشقشقية، وسيأتي الحديث عنها – إن شاء الله – ، ولكن يُثار هنا تساؤل؛ وهو عن مدى التزام الشيعة بهذا الكتاب ماداموا قد أثبتوه ووثقوه؟ وهذا مما يلزمهم حتما، أما أخذ ما يخدمهم منه بالتشهي، وترك ما يتعارض مع معتقداتهم؛ فهذا تناقض شابهوا فيه من وبخهم الله بقوله: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)؟

ولهذا؛ فقد قام بعض الباحثين الفضلاء (1) بإلزام الشيعة ببعض ما في نهج البلاغة مما يُخالف معتقداتهم الباطلة سواءً في الإمامة، أو العصمة، أو الصحابة، ومن ذلك:

1 – يعتقد الشيعة أن هناك نصًا إلهيًا على إمامة علي عليه السلام، ومع في نهج البلاغة قوله حينما دعوه إلى البيعة بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما: «دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول ... – إلى أن قال ... إلى أن قال – وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه،أمركم، وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا» (2).

وقال – أيضًا – مخاطبًا طلحة والزبير: والله ما كانت لي في: الخلافة.

1– الشيخ صالح الدرويش في كتابه تأملات في كتاب نهج البلاغة»، ومنه استفدت هذا المبحث، والأستاذ عبدالرحمن الجميعان في رسالته قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة، والأستاذ علاء الدين البصير في رسالته «أسطورة الخطبة الشقشقية» وفيهما مزيد على ماذكره الشيخ صالح.

2– نهج البلاغة، (ص 178 – 179)، شرح محمد عبده.

رغبة، ولا في الولاية،إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها (1).

وقال في وصف بيعته بالخلافة وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علي. الهيم على حياضها يوم وردها» (2). فهذا الوصف منه يدل على أنه كان يتمنعها حتى لم يجد بدا من قبول بيعتهم له، ولو كان هناك نص إلهي هل يفعل هذا؟

2 – كان علي – عليه السلام – كما في «النهج» مطيعا لأبي بكر رضى الله عنهما، ممتثلاً لأوامره؛ فقد حدث أن وفدا من الكفار جاءوا إلى المدينة المنورة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة، فأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين: فأمر الصديق بحراسة المدينة، وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحرائر، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم (3).

– نجد في «النهج» ثناء علي عليه السلام على أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهما و تعبيره عن حبه لهم؛ ففيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما لما استشار عليا عليه السلام عند انطلاقه لقتال فارس وقد جمعوا للقتال أجابه: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة وهو دين الله تعالى الذي أظهره، وجنده.

1- المرجع السابق، ص (497).

2- المرجع السابق، ص (430).

3- شرح نهج البلاغة (4/(228) ط تبريز وانظر الشيعة وآل البيت؛ إحسان إلهي ظهير (ص 71).

الذي أعده وأمده حتى بلغ، مابلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على موعد من الله تعالى حيث قال عز اسـمه (وَعَدَ اللهُ الّذِينَ ءَامَنُوا) وتلى الآية، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالأمر في الإسلام مكان النظام من الخرز، فإن انقطع النظام تفرق الخرز، ورُب متفرق لم يجتمع، والعرب اليوم وإن كـانوا قليلاـ فهم كثيرون،بالإسـلام عزيزون بالاجتمـاع، فكن قطبًـا، واسـتدر الرحى بالعرب وأصـلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شـخصت من هـذه الأرض انقضت عليك من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه،استرحتم، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك وطمعهم فيك، فأما مـاذكرت من مسـير القوم إلى قتال المسـلمين؛ فإن الله (سـبحانه و تعالى) وهو أكره لمسـيرهم منك، وهو أقـدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عـددهم فإنا لـم نكن نقاتل فيما مضـى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصـر والمعونة» (1). انتهى فتدبر – منصـفا. هذا الثناء والحب والخوف على عمر من علي رضى الله عنهما، وأين هذا ممن يكفر عمر رضى الله عنهما ويسبه؟!

وأيضًا؛ ففي النهج لما اسـتشار عمر بن الخطاب عليا – رضي الله عنهما – في الخروج إلى غزوة الروم، قال: وقد توكل الله لهذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر العورة والـذي نصـرهم وهم قليل لا ينتصـرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حي لا يموت، إنك متى تسـر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب لاتكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع.

1- نهج البلاغة، (ص 257 – 258)، شرح محمد عبده.

يرجعون إليه فابعث إليهم رجلًا، مجربًا واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله؛ فذاك ما تحب وإن كانت الأخرى، كنت ردءًا للناس ومثابة للمسلمين» (1).

وفيه: أن عليا عليه السلام بعث كتابًا إلى معاوية رضى الله عنهما، فيه: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله،رضى، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه؛ فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى» (2).

فهنا يستدل رضى الله عنهما على صحة خلافته وانعقاد بيعته بصحة بيعة من سبقه، وهذا يعني بوضوح أنه كان يعتقد شرعية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

وفى النهج – أيضًا – قوله: «لله بلاء فلان (3)، لقد قوّم الأود (4)، وداوى.

1- المرجع السابق، (ص 246 - 247).

2- المرجع السابق، (ص 446).

3- قال ابن أبي الحديد في شرحه (3/12): أي: لله ما صنع فلان، والمكنى عنه عمر ابن الخطاب»، وقال: «وقد وجدت النسخة التي بخط الرضى أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر، وقال: «سألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي فقال لي: هو عمر بن الخطاب فقلت له أيثني عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال: نعم، وقال في (4/2): إذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب وأنه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، فهذا غاية مايكون المدح.

4- أي: العوج.

العمد (1)،وأقام السـنة، وخلف البدعة وذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها واتقى شـرها أدى لله طاعة واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشـعبة لا يهتـدي إليها الضال ولا يستيقن المهتدي (2). وقـد حـذف الرضـي صاحب النهج لفظ (أبي بكر أو عمر)! وأثبت بدله (فلان)!!، ولهذا الإبهام المتعمد اختلف الشراح؛ فقال بعضهم: هو أبو بكر، وقال آخرون: هو عمر.

وقـد احتار الشـيعة في هذا النص، لأنه في نهج البلاغة، وما في النهج عندهم قطعي الثبوت، كما سـبق فحملوا هذا الكلام على التقية!! وأنه إنما أراد استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام» (3)!!

أي أنه رضى الله عنهما – في زعمهم – أظهر خلاف ما يُبطن!

ونحن نقول: حاشاه من هذا النفاق، وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

وجاء في النهج: قوله لعثمان رضى الله عنهما له: «والله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئا،تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سـبقناك إلى شـيئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشـيء،فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما صحبنا، وما ابن قحافة ولا ابن.)

1- أي: العلة.

2- المرجع السابق، ص 430).

3- شرح نهج البلاغة؛ لميثم البحراني (98/4)

الخطاب بأولى لعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره مالم ينا لا» (1).

فتأمل هذا المدح والثناء على عثمان، وقارنه بصنيع الشيعة. وقوله: وما ابن قحافة ولا ابن الخطاب بأولى لعمل الحق منك؛ شهادة منه بأن أبا بكر وعمر كانا على الحق وعملا به ...

وورد في في النهج خطبة لعلي رضى الله عنهما تدور حول مدح أصحاب النبي، قال فيها: «لقد رأيت أصحاب صلى الله عليه و آله و سلم فما أرى أحدًا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبراً، وقد باتوا سُجدًا،وقيامًا، يراوحون بين جباههم ويقبضون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم؛ حتى ابتلت جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف؛ خوفًا من العقاب ورجاء للثواب (2).

وقال – أيضًا – في مدحهم: أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأو القرآن،فأحكموه وهيجوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف،أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفًا، وصفا، بعض هلك، وبعضُ نجا لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون بالموتى، مر العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، دبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني.

1- نهج البلاغة، (ص 291)، شرح محمد عبده.
2- نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح، (ص 143).

الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم» (1).

4 – نجد في «نهج البلاغة» منع علي رضى الله عنهما لأصحابه عن السب والشتم والتكفير والتفسيق حتى لمقاتليه في حرب صفين، ففي خطبة بعنوان (ومن عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم في

صفين):«إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم؛ حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به» (2).

وقال: «وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا،واحد ودعوتنا في الإسلام،واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا والأمر،واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء» (3).

5 – وردت عنه رضى الله عنهما نصوص يذم فيها الذين ادعوا التشيع له، وخالفوا أوامره منها قوله: «لو ددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم؛ فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين، صمٌ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو إبصار» (4) ...

1- نهج البلاغة، (ص (229)، شرح محمد عبده.

2- المرجع السابق، (ص398).

3- المرجع السابق، (ص543).

4- المرجع السابق، (ص189).

وقوله: «اللهم إني مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئمونى؛ فأبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًا مني ...» (1).

وقوله يـا أشـباه الرجـال ولاـ رجـال! حلوم الأطفـال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لـم أركـم ولـم أعرفكـم معرفـة – والله – جرَّت نـدما، وأعقبت سـقما، قاتلكـم الله، لقـد ملأتم قلي قيحا، وشـحنتم صدري غيظا، وجرعتمونى نغب التّهمَام أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصـيان والخذلان» (2).

6 – نجد في «النهج» أن عليا رضـى الله عنهما ينهى عن الغلو الذي وقع فيه الشيعة، ولا زالوا ففيه وقال علي رضى الله عنهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سـلم، مخاطبًـا إياه: لولا: أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع؛ لأنفـدنا عليك ماء الشؤون» (3). من الشؤونة؛ وهي منابع الدمع من الرأس.

وفيه أن عليّا الله قال: «من ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره» (4).

وفيه قوله: وسـيهلك في صـنفان محب مفرط يـذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ النمط الأوسط، فالزموه، والزموا السواد الأعظم» (5) ...

1- المرجع السابق (ص72).

2- المرجع السابق، ص77).

3- المرجع السابق، (ص 436).

4- نهج البلاغة شرح أبي الحديد، (342/18).

5- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، (ص 237).

7 – نجد في نهج البلاغة ما يخالف اعتقاد الشيعة في عصمة الأئمة؛ ذلك: قول علي رضى الله عنهما: «لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس إعظام النفس بأنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي»(1).

ونجده يوصي ابنه الحسن عليه السلام بقوله: « ... فإن أشكل عليك من ذلك فاحمله على جهالتك به، فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك، ويضل فيه بصرك؛ ثم تبصره بعد ذلك»(2).

فهو عليه السلام لا ينفي عن نفسه الخطأ، فكيف يقال بعصمته؟!

وكان عليه السلام يناجي ربه بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت - أي: وعدت – من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني. خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ وسقطات الألفاظ، وسهوات الجنان، وهفوات اللسان» (3).

8 – نجد في نهج البلاغة قول علي عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله الذي.

1- المرجع السابق،(ص237).

2- المرجع السابق، (578/2).

3- نهج البلاغة شرح أبي الحديد، (176/6).

ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش، فلو أن أحدا يجد إلى البقاء سُلّمَا أو لدفع الموت سبيلا؛ لكان ذلك سليمان بن داود (1). وفي هذا نقض لقول الشيعة: إن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم!

قلت: فهل سيعتد الشيعة – بعد هذا – بكتاب «نهج البلاغة»؟!(2)!

1- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، (ص326).

2- ونفس الأمر يُقال في اعتمادهم على كتاب الإمامة والسياسة» المكذوب على ابن قتيبة كما سيأتي إن شاء الله، فإن الشيعة لو طالعوا المبحث الأول منه؛ سيجدونه: «فضل أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما! فهل سيقول الشيعة – بعد هذا كما قال محقق الكتاب الشيعي علي شيري (8/1): ومهما يكن من أمر أي أمر التشكيك في الكتاب؛ فقد بقي كتاب الإمامة والسياسة محافظا على قيمته كأحد أبرز المصادر!

المبحث الثاني: ترجمة صاحب «شرح نهج البلاغة» ابن أبي الحديد ومذهبه والمآخذ على شرحه

اشارة

ترجمته (1):

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (2): «الشاعر العراقي، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلدا ولد بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسمائة، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفتي، وكان حظيا عند

الوزير ابن العلقمي؛ لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة التشيع ...». توفي في عام 656 ه).

1- له ترجمة إضافة إلى ما سيأتي النقل عنه في: وفيات الأعيان»، (158/2)، وفوات الوفيات»؛ (259/2 - 262)، و(الوافي بالوفيات»؛ (76/18 - 80)، وذيل مرآة الزمان، (62/1))، (و «الأعلام»؛ (289/3)، ومعتزلة البصرة وبغداد»؛ للدكتور رشيد الخيون، (ص 331 - 350)، وتاريخ المعتزلة؛ للدكتور فالح الربيعي، (ص 139 - 141)، ومنهج المعتزلة في كتابة التاريخ ...»؛ للأستاذ محمد ابن صقر الدوسري، (ص 127 - 128). وقد ترجم له الشيعة في مصنفاتهم؛ كما في روضات الجنات؛ (19/5 - 26)، والأنوار الساطعة»؛ (ص 88 - 89).

2- (199/13)

وقال الخونساري: «هو عز الـدين عبد الحميد بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني» صاحب شـرح نهج البلاغة، المشـهور ... كان مولده في غرة ذي الحجة 586، من تصانيفه شـرح نهج البلاغة عشـرين مجلدا، صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ولما فرغ من تصنيف أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي، فبعث له مائة ألف دينار، وخلعة سنية، وفرسًا (1).

وقال أبو الثناء الألوسي: وعندنا أن ابن أبي الحديد في بعض تلوناته وكان يتلون تلون الحرباء - كان من هذه الفرقة) (2). - أي الشيعة الغلاة.

مذهبه:

قال ابن كثير عنه كما سـبق - : الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي و ووصفه الشيخ محمود شكري الألوسي - كما سيأتي - بأنه من غلاة الشيعة، والزركلي بأنه من أعيان المعتزلة، والشيخ صالح الفوزان ب - أنه شيعي(3) وقال صاحب رسالة الصلة بين الاعتزال والتشيع» (4): «معتزلي، ومن الشـيعة؛ كما يدل عليه شـعره في قصائده السـبع العلويات»، وقال صاحب رسالة منهج المعتزلة في كتابة التاريخ ...» (5): من دعاة الاعتزال والرفض ...» ...

1- روضات الجنات»، (20/5 - 21)، وانظر: «الكنى والألقاب، للقمي الشيعي، (185/1)، و«الذريعة»؛ لآغا بزرك الطهراني (158/41).

2- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة» (ص54).

3- البيان لأخطاء بعض الكتاب، (84/1).

4- الأستاذ محمد بن حامد الجدعاني، ورسالته لم تُطبع،بعد، والنقل من (37/2).

5- الأستاذ محمد بن صقر الدوسري ورسالته لم تُطبع،بعد، والنقل من (ص404).

وقال الصفدي في ترجمته (1): عز الـدين ابن أبي الحديـد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد المدائني، المعتزلي»، ونقل من شعره:

وحقك لو أدخلتني النار قلت *** للذين بها قد كنت ممن يحبه

وأفنيت عمري في دقيق علومه *** وما بغيتي إلا رضاه وقربه

هبوني مسيئًا أوتغ الحلم جهله *** وأبقه دون البرية ذنبه

أما يقتضي شرع التكرم عفوه *** أيحسن أن ينسي هواه وحبه

أما رد زيغ ابن الخطيب وشكه *** وتمويهه في الدين إذ جل خطبه

أما كان ينوي الحق فيما يقوله *** ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه

قال الصفدي: وقلت أنا ردًا عليه في وزنه ورويه:

علمنا بهذا القول أنك آخذ *** بقول اعتزال جل في الدين خطبه

فتزعم أن الله في الحشر ما يرى *** وذاك اعتقاد سوف يرديك غبه

وتنفي صفات الله وهي قديمة *** وقد أثبتتها عن إلهك كتبه

وتعتقد القرآن خلقًا ومحدنا *** وذلك داء عز في الناس طبه

وتُثبت للعبد الضعيف مشيئة *** يكون بها ما لم يقدره ربه

وأشياء من هذي الفضائح جمة *** فأيكما داعي الضلال وحزبه».

1- «الوافي بالوفيات»، (76/18).

قلتُ: والصحيح – والله أعلم – أنه «معتزلي» المذهب؛ كما يُصرح – و سيأتي إن شاء الله – ، مع الوثة شيعية، ومداهنة لابن العلقمي وأمثاله من الروافض.

قال الأستاذ فهد السحيمي في مقدمة رسالته التي حقق بها كتاب الشيخ محمد أمين السويدي لله: «الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد الذي رد به على الرافضي يوسف الأوالي، صاحب كتاب:

سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد»:

«إن الشروح لكتاب نهج البلاغة كثيرة جدًا حتى قيل إنها تزيد على الخمسين شرحًا ما بين مبسوط ومختصر، ولكن أطول هذه الشروح هو شرح ابن أبي الحديد لهذا الكتاب (1). وقد شرع في تأليف هذا الشرح سنة (644) وانتهى منه سنة (649)، وكان السبب في تأليفه رغبة الوزير ابن العلقمي في شرح نهج البلاغة شرحا وافيا (3) فشرحه ابن أبي الحديد كما أراد ابن العلقمي شرحا وافيًا، فلما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه أبي المعالي موفق الدين إلى ابن العلقمي؛ فبعث إليه بمائة ألف دينار، وخلعة سنيّة و فرس، فقال ابن أبي الحديد فيه شعرا:

بال العلقمي ورّت زنادي *** فكم ثوب أنيق نلت منهم

أدام الله دولتهم وأنحى *** وقامت بين أهل الفضل سوقي

(1) مقدمة شرح نهج البلاغة لمحمد أبو الفضل إبراهيم.

(2) انظر: مقدمة شرحه (3/1 – 4).

(3) انظر روضات الجنان للخوانساري (20/5 – 21).

ونلتُ فما هي عتيق *** على أعدائهم بالخنفقيق (1) (2)

فما هى العلاقة بين هذين الرجلين ابن أبي الحديد وابن العلقمي؟

أجاب عن هذا التساؤل ابن كثير له عندما ترجم لابن أبي الحديد في كتابه البداية والنهاية إذ قال في ترجمته له:

« ... وكان حظيًا عند الوزير ابن العلقمي؛ لما بينهما من المناسبة والقرابة والمشابهة في التشيع ...»(3).

والذي يهمنا في هذه المناسبة: هو المشابهة في التشيع، فما هو حقيقة هذا الأمر بالنسبة للرجلين، ولماذا رد متأخر و الرافضة الإمامية في كتبهم على ابن أبي الحديد مع وجود هذه المشابهة التي ذكرها ابن كثير آنفًا؟ إن هذا الأمر لا يتجلى إلا بذكر العقيدة التي كان عليها الرجلان، فنبدأ بابن العلقمي أولا فنذكر ما ذكره العالمان الجليلان الذهبي في السير، وابن كثير في البداية والنهاية:

ذكر الذهبي في السير عند ترجمته لابن العلقمي أنه هو:

«الوزير الكبير المدبر المبير، مؤيد الدين محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي البغدادي الرافضي ... وزير المستعصم، وكانت دولته أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض، فعارضه،السنة وأكبت فتنمر، ورأى أن.

1- الخنفقيق: الداهية.

2- المقدمة لمحمد أبي الفضل إبراهيم (11/1).

3- البداية والنهاية (586/13).

هولاكو على قصد العراق، فكاتبه وجسّره وقوى عزمه على قصد العراق ليتخذ عنده يدا، وليتمكن من أغراضه، وحفر للأمة قليبًا، فأوقع فيه قريبًا وذاق الهوان ... فمات غبنًا، وفي الآخرة أشد خزيًا وأشد تنكيلا.

وبُذل السيف في بغداد (39) نهارًا حتى جرت سيول الدماء، وبقيت البلدة كأمس الذاهب، فإنا لله وإنا إليه راجعون وعاش ابن العلقمي بعد الكائنة ثلاثة أشهر وهلك» (1).

وقال ابن كثير في ترجمته:

«وكان رافضيًا خبيثًا رديء الطوية على الإسلام وأهله ... ثم مالأ على الإسلام وأهله، الكفار هولاكو خان حتى فعل بالإسلام ما فعل، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار الذين مالأهم، وزال عنه ستر الله وذاق الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ...، وله من العمر (63) سنة، ودفن في قبور الروافض» (2).

إذًا؛ فهذا معتقد ابن العلقمي، فهو رافضي خبيث مالأ الكفار على المسلمين، وهذا هو منهج الروافض في كل عصر تكون لهم شوكة فيه.

هذا هو ابن العلقمي فما هو الشبه بينه وبين ابن أبي الحديد؟ قال ابن كثير عنه هو: ... الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي. (3) ...

1- سير أعلام النبلاء (361/23 - 362).

2- البداية لابن كثير (222/13).

3- المرجع السابق (213/13).

وعنـدما نتأمل في قصائده السـبع التي قالها في علي بن أبي طالب نرى أحقية ما قاله ابن كثير فيه، فالقصائد السـبع فيها من الغلو ما لا يرضاه الله ولا رسوله فقد غلا فيها غلوّا يصعب وصفه، وسيذكر بعضه السويدي (1).

ولكن هنا سؤال مهم: هل ابن أبي الحديد شيعي رافضي، أم أنه شيعي تفضيلي؟.

يقول الذهبي في السير:

فإن العز معتزلي أجارنا الله»(2).

وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد:

أحب الاعتزال وناصريه *** فأهل العدل والتوحيد أهلي

ذوي الألباب والنظر الدقيق *** ونعم فريقهم أبدًا فريقي (3)

فالرجل معتزلي (4)، والمعتزلة ينقسمون في مسألة التفضيل بين الخلفاء الراشدين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يجعلون ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

والقسم الثاني: يقولون بأفضلية علي بن أبي طالب له على أبي بكر.)

1- من ص (464 - 470)

2- السير (275/23).

3- مقدمة نهج البلاغة (11/1).

4- كما في شرحه (17/1، (74).

وعمر وعثمان – رضي الله عن الجميع – وهؤلاء هم البغداديون.

القسم الثالث: التوقف في تفضيله على أبي بكر وعمر، أما في عثمان فلا (1) وابن أبي الحديد من أهل القسم الثاني القائلين بتفضيل علي على الثلاثة من قبله عليه السلام. وفي ذلك يقول:

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام» (2).

نستنتج مما تقدم أن الرجل معتزلي تفضيلي وليس برافضي إمامي، ويدل نستنتج على ذلك ما يلي:

1 – قوله في شرح نهج البلاغة:

«اتفق شيوخنا كافة المتقدمون منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة وأنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالإجماع، وبغير الإجماع، كونه طريقا إلى الإمامة، وأن تولية الصديق من العدول عن الأفضل إلى الفاضل» (3).

2 – أورد في شرحه: المطاعن التي ذكرها الرافضة – فيما زعموا على أبي بكر وعمر وعثمان وذكر الردود التي رد بها القاضي عبدالجبار، وهي).

1- شرح نهج البلاغة (7/1).
2- المرجع السابق (9/1).
3- (157،7/1).

ردود قوية ملزمة للرافضة. وقد شارك هو أيضًا في بعض من هذه الردود(1).

يتبين مما تقدم أن ابن أبي الحديد معتزلي تفضيلي، ولا يُفهم عندما نبرئ)

ص: 64

1- انظر: ((11/3 - 69) و (12 / 195 - 289) و (154/17 - 225). وقال الدكتور رشيد الخيون في رسالته «معتزلة البصرة وبغداد» (ص 337 - 338): ويؤكد ابن أبي الحديد عدم انتمائه للتشيع بفريقيه: الإمامي والزيدي بقوله: وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالا فضلية،والأحقية وهو الحق والصواب، ولكن الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها وارتكبو بها مركبًا صعبًا». (شرح النهج: 307/9)، وقال ناقدا تفسير الشيعة للوصية وهي من أساسات التشيع، بقوله: (وأما الوراثة فالإمامية يحملونها على ميراث المال والخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم) (المرجع السابق: (1 / 140، كذلك ورد عدم انتمائه للتشيع بقوله: «أما الإمامية من الشيعة فتجري هذه الألفاظ على ظواهرها وتذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على أمير المؤمنين، وأنه غُصب حقه، وأما أصحابنا رحمهم الله، فلهم أن يقولوا: إنه لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل والأحق، وعُدل عنه إلى من يساويه في فضل ولا يوازيه في جهاد وعلم ولا يماثله في سؤدد وشرف، ساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان من وُسم بالخلافة قبله عدلا تقيا، وكانت بيعته صحيحه المرجع السابق: (156/1 - 157، لم يكن ابن أبي الحديد شيعيا بالمفهوم الفرقي والحزبي، وإن قال علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار، وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول (المرجع السابق: (297/2). وحول ذلك قال ابن أبي الحديد فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإمامية، قيل: ليس الأمر كذلك، بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين؛ لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة المرجع السابق وفي مكان آخر يفاضل ابن أبي الحديد بين العصمة عند الشيعة الإمامية والعصمة عند أصحابه المعتزلة، قال في الأولى: واطردت الإمامية هذا القول في الأئمة، فجعلت حكمهم في ذلك حكم الأنبياء في وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها، وقال في الثانية بحدود ما يقبله المنطق المعتزلي القائل بنفي القدر: إن العصمة عند المعتزلة الطف يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختيارا المرجع السابق: (8/7)

ساحـة ابن أبي الحديـد من الرفض الثناء عليه والتبجيل له. فالرجل معتزلي ولنتـذكر كلمة الذهبي السابقة عنه عندما قال: «فإن العز معتزلي أجارنا الله»؛ لأن المعتزلـة فرقـة مبتدعـة لها أصولها وقواعـدها التي خالفت بها أهل السـنة والجماعة، فكما يجب على معاشـر أهل السـنة والجماعـة الحذر من الرافضة يجب عليهم الحذر أيضًا تجاه المعتزلة لأن القوم يشتركون في كثير من الأصول بينهم، فالرافضة جل قواعدهم من تأصيلات المعتزلة والمعتزلة تشترك مع الرافضة في تكفير عدد كبير من الصحابة، يقول ابن أبي الحديد في الشرح:

وأما أصـحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشة وطلحة الله فإنهم، تابوا ولولا التوبة لحكم لهم بالنار؛ لإصرارهم على البغي وأما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم والأتباع جميعًا»(1).

وكفى بهذه الزلة قبحًا للمعتزلة!!

ثم نجد أن ابن أبي الحديد قد جره تشـيعه هذا إلى الترحم على علماء الرافضة؛ كالمفيد والمرتضي وابن الراوندي وغيرهم(2)، وفي المقابل لا يترحم على الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان مع قوله بصحة خلافتهم!.

1- شرح نهج البلاغة (9/1).

2- (62/1، 76) و(54/3) و(4/4).

بعدما تقدم؛ يتبين لنا معنى كلمة ابن كثير عندما قال في الرجلين: ابن أبي الحديد وابن العلقمي: لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة في التشيع ...».

فالرجلان يتفقان في الغلو في علي عليه السلام، وفي تكفير عدد كبير من الصحابة رضى الله عنهما. انتهى كلام الأستاذ فهد ا السحيمي (1).

قلت: قال السويدي في رده السابق على الألوسي الرافضي عندما استشهد بابن أبي الحديد: «وما نقله عن الشارح؛ أي ابن أبي الحديد، شارح نهج البلاغة، مع كونه لا سند له غير مقبول؛ لأنه ليس من أهل السنة بل هو غير متدين بدين؛ لأنه تارة يكون معتزليًا، وتارة يكون رافضيا، كما لا يخفى على من نظر قصائده المشهورة التي نظمها في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه بالغ فيها في مدح علي وإزراء الخلفاء المتقدمين، بل فيها أبيات تدل على كفره، وإذا كان كذلك فكيف يُقبل قوله؟ ولنذكر بعض الأبيات من قصائده ونذكر بعض ما فيها من المفاسد فنقول: قال فيها:

حنانيك فاز العرب منك بسؤدد *** فماً ماس موسى في رداء من العلا

تقاصر عنه الفرس والروم والنوب *** ولا آب ذكرًا بعد ذكرك أيوب (2)

فإنه في البيت الأول: فضل عليا على الناس أجمعين.

وفى البيت الثاني: فضله على موسى، وأيوب ومعلوم أنه لا يبلغ درجة.

1- من مقدمة تحقيقه لكتاب الصارم» الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد» (ص 52 - 75 بتصرف يسير).
2- قصائد السبع العلويات، (26 - 27).

الأنبياء فضلا عن أن يكون أفضل منهم. ثم إنه لم يكفه ذلك حتى وصفه بأوصاف الربوبية فقال شعرا:

لذاتك تقديس لرمسك طهرة *** تقيلت أفعال الربوبية التي

وقد قيل في عيسى نظيرك مثله *** لوجهك تعظيم لمجدك ترحيب

عذرت بها من شك إنك مربوب *** فخُسر لمن عادى علاك وتتبيب (1)

فقوله في البيت الثاني: (تقيلت)؛ بمعنى أشبهت يقال: تقيل فلان أباه إذا أشبهه (2).

وقوله في البيت الثالث: (نظيرك) بمعنى أنه: نظيره في صفة خاصة، وهي: ادعاء الربوبية فيه وليس المراد أنه نظيره في الفضل؛ لما تقدم في البيتين من تفضيله على الناس أجمعين، وعلى الأنبياء والمرسلين، ولقوله:

عليك سلام الله يا خير من مشى *** ويا خير من يُغشى لدفع ملمة

وباعلة الدنيا ومن بدء خلقها له *** به بازل عبر المهامه خرعوب (3)

فيأمن مرعوب ويتلف قرضوب (4) *** وسيتلو البدو في الحشر تعقيب(5).

1- المرجع السابق، (28 - 29).

2- انظر: لسان العرب لابن منظور (11 (580 مادة (قيل).

3- البازل ماكان له تسع سنين من الإبل والمهامه: المفازة البعيدة. وخرعوب: الطويلة العظيمة من الإبل.

4- القرضوب: السيف.

5- السبع العلويات (29).

فجعله علة لبدوء الدنيا ولعودها يوم القيامة، وهذا لم يثبت له، ثم قال في قصيدة أخرى:

فتى لم يعرق فيه تيم بن مرة *** ولا كان معزولا غداة براءة

ولا كان في بعث ابن زيد مؤمرًا *** ولا كان يوم الغار يهفو جنانه

ولا عبد اللات الخبيثة أعصرًا *** ولا عن صلاة أم فيها مؤخرًا

عليه فأضحى لابن زيد مؤمرًا *** جدارًا ولا يوم العريش تسترا (1)

ففي هذه الأبيات تصريح بمثالب أبي بكر رضى الله عنهما، وهو نص في رفض ابن أبي الحديد.

وقال في قصيدة أخرى:

علام أسرار الغيوب ومن له *** خلق الزمان ودارت الأفلاك (2)

فقد جعله عالمًا للغيب، بل لسره، مع أن ذلك لا يكون إلا لبعض الرسل، كما قال تعالى: (عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُول (3) ثم قال:

ما عذر من دانت لديه ملا *** يتعاظم الأفعال لاهوتيها

ئك ألا تدين لغيره أملاك *** للأمر قبل وقوعه دراك (4).

1- المرجع السابق، (46).

2- المرجع السابق، (52).

3- المرجع السابق، (46).

4- المرجع السابق، (53).

فقد وصفه بأوصاف الباري سبحانه، ثم قال:

وقد قلت للأعداء إذ جعلوا له *** ضدًا أيجعل كالحضيض سكاك (1)

والسكاك أعلى الهواء (2). وفي هذا تعريض بأهل السنة في تقديمهم أبا بكر عليه، وإثبات لرفضه، ثم قال:(3)

حاشا لنور الحق يعدل فضله *** ظلم الضلال كما يرى الأفاك (3)

ففي هذا أيضًا رد على أهل السنة وحكم بإفكهم وكذبهم. وقال في قصيدة أخرى:

فافزع إلى مدح الوصي *** ففيه تطهير الدنس (4)

ففي قول (الوصي) تصريح برفضه، كما لا يخفى، كما في قوله بعد ذلك:

عفت رسوم العسكر *** الجملي قدما فاندرس

وثنت أعنتها إلى حرب *** ابن حرب(5) فارتكس

رفع المصاحف يستجير *** من الحمام ويبتئس

خاف الحسام العندمي و *** حاذر الرم - الرمح الورس!

1- المرجع السابق، (54).

2- القاموس المحيط؛ للفيروز أبادي (1217) مادة سكك.

3- السبع العلويات، (55).

4- المرجع السابق، (60).

5- يقصد معاوية رضى الله عنهما!

فانصاع ذا عين *** مسهدة وقلب مختلس (1)

وقال في قصيدة أخرى:

هو البنا المكنون والجوهر الذي *** وذو المعجزات الواضحات أقلها

ووارث علم المصطفى وشقيقه *** تجسد من نور من القدس زاهر

الظهور على مستودعات السرائر *** أخًا ونظيرًا في العلا والأواصر (2)

فقد جعله في البيت الأول: أنه مخلوق من نور الله.

وفي البيت الثالث: نظير النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وكل ذلك يدل على غلوه في رفضه ثم قال:

إلا إنما الإسلام لولا حسامه *** ألا إنما التوحيد لولا علومه

ألا إنما الأقدار طوع يمينه *** لعفطة (3) عنز أو قلامة حافر

كعرضة ضليل ونهبة كافر *** فبورك من وتر مطاع وقادر (4)

فانظر إلى هذا الغلو الذي لا يرضى الله به ولا رسوله، وهو منافٍ لما ذهب إليه الرافضة من إثبات الجبن،له وتغلب أبي بكر وعمر عليه؛ كما لا يخفى. ثم قال:)

1- المرجع السابق، (61 - 62).

2- المرجع السابق، (69 - 70)

3- العفيط: نثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار الصحاح للجوهري (1143/3) مادة عفط.

4- السبع السبع العلويات (71 - 72)

صفاتك أسماء وذاتك جوهر *** يجل عن الأعراض والأين والمتى

بريء المعالي من صفات الجواهر *** ويكبر عن تشبيهه بالعناصر (1)

وفي ذلك تشبيه له في الباري، حيث نزهه عن الأعراض وعن المكان والزمان (2)، مع أن الله تعالى: لا يشبهه شيء. قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (3).

ثم قال:

إذا طاف قوم بالمشاعر والصفا *** وإن ذخر الأقوام نسك عبادة

وإن صام ناس في الهواجر حسبة *** وأعلم أني إن أطعت غوايتي

فقبرك ركني طائفا ومشاعري *** فحبك أوفى عدتي وذخائري

فمدحك أسنى من صيام الهواجر *** فحبك أنسي في بطون الحفاير (4)

فانظر كيف جعل زيارة قبره أعظم من الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، مع أن زيارته لو خلت عما يستعمله الرافضة فيها من البدع والإشراك.

1- قصائد السبع العلويات (76).

2- هذه الألفاظ إذا وردت في حق الله فهي ألفاظ مبتدعة لم ترد عن السلف، ومذهبهم فيها عدم إطلاقها لا نفيًا ولا إثباتاً بل لابد من الاستفسار عند إطلاقها، فإن كان المعنى الذي قصده القائل صحيحًا موافقا للشرع قبل وإلا فلا. انظر درء التعارض لابن تيمية (229 - 233)، ومنهاج السنة (145/2، وبيان تلبيس الجهمية (397/1).

3- سورة الشورى الآية رقم (11).

4- السبع العلويات، (78 - 79).

مندوبة (1)، فكيف يكون المندوب أعظم من الفرض الذي هو ركن من أركان الدين؟!

وجعل مدحه أسنى من الصوم الذي اختص الله به، وتولى جزاءه بنفسه.

وجعل حبه يؤنسه في قبره، وإن حصلت له الغواية مع أنه إذا غوى لا ينفعه حبه كما هو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة في أمور الشرع، وفي جميع ذلك تصريح بغلوه في رفضه.

ثم قال:

إذا كنت للنيران في الحشر قاسمًا *** أطعت الهوى والغي غير محاذري (2)

وفي ذلك من الرفض القبيح الذي تقدم إبطاله.

ثم قال في قصيدة أخرى:

فيك ابن عمران الكليم وبعده *** بل فيك جبريل وميكال وإسرا

بل فيك نور الله جل جلاله *** عيسى يقفيه وأحمد يتبع

فيل والملأ المقدس أجمع *** لذوي البصائر يستشف فيلمع (3)

فانظر إلى هذه المجازفات التي لا يمكن صدورها من مسلم فضلًا أن عن يكون سنيًا ...

1- إذا كانت بدون شد،رحل، أما إذا كانت بشد الرحال فلا تجوز؛ لقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا - أي مسجد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، والمسجد الأقصى». أخرجه البخاري في صحيحه (1189).

2- المرجع السابق، (79).

3- المرجع السابق، (91 - 92).

وأقبح من ذلك ما قاله بعد ذلك:

هذا ضمير العالم الموجود عن *** هذي الأمانة لا يقوم بحملها

تأبى الجبال الشم عن تقليدها *** هذا هو النور الذي عذباته

وشهاب موسى حيث أظلم ليله *** أأقول فيك سميدع كلا ولا

بل أنت في يوم القيامة حاكم *** عدم وسر وجوده المستودع

خلقاء هابطة وأطلس أرفع *** وتضج تيهاء وتشفق برقع

كانت بغرة آدم تتطلع *** رفعت له لألاؤه تتشعشع (1)

حاشا لمثلك أن يُقال سميدع(2) *** في العالمين وشافع ومُشفّع (3)

فانظر كيف جعله بمنزلة الله في يوم القيامة، فإن الحاكم في العالمين يوم القيامة: هو الله تعالى، وهذا نهاية الغلو.

ومثل ذلك قوله:

وإليه في يوم المعاد حسابنا *** وهو الملاذ لنا غدًا والمفزع (4)

ثم قال:

هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه *** سيضر معتقدا له أو ينفع (5).

1- المرجع السابق (96 - 97).
2- السميدع السيد الموطأ الأكناف.
3- المرجع السابق، (99 - 100).
4- المرجع السابق، (102).
5- المرجع السابق.

وإذا تبين أن هذه عقيدته، فكيف يُقبل قوله في حق أهل السنة؟!.

وفي قصائده أبيات كثيرة نحو ذلك، فإنما ذكرنا بعضًا منها؛ ليتبين أن الرجل رافضي كما بين أمره في هذه القصائد وفي شرح نهج البلاغة بين أمره أنه، معتزلي وكلاهما أعداؤنا؛ فتبين أن عد المؤلف له من أهل السنة باطل، فلا ينتهض كلامه حجة علينا. انتهى كلام الشيخ السويدي رحمه الله (1).

قلتُ: وقال الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله في كتابه «المسك الأذفر (2) - حاكيًا مناظرته مع أحد علماء الشيعة - : «وإنّي كنت أعجب من الشيخ يوسف الأوالي من علماء الإمامية حيث رد على ابن أبي الحديد وجعله من أهل السنة وما كنت أظن أن الشيعة يقولون بمقالته؛ حتى سمعت هذا الكلام في هذا اليوم وهو عندي من الغرابة بمكان.

فقال: إن المعتزلة عندنا من أهل السنة ومرادنا بأهل السنة القائلون بخلافة الخلفاء الثلاثة وعبدالحميد بن أبي الحديد شارح «نهج البلاغة» قائل بذلك، وقد برهن على صحة خلافتهم في شرحه بما لا مزيد عليه، ولذلك رد عليه الأوالي.

فقلت: هذا اصطلاح لكم لا يُعتد به، فإنه خلاف الحقيقة، كما لو الحديد ذهبًا، ومثل ذلك رمز لا اصطلاح؛ كما اصطلح أحد أن يسمي اصطلح علماء الصناعة على أمور لا يعرفها غيرهم، هي في الحقيقة رموز ...

1- «الصارم الحديد ...»، (2/463 - 470).

2- (ص 278 - 283).

وابن أبي الحديد معتزلي ومن غلاة الشيعة كما يدل عليه شعره في قصائده السبع العلويات – ثم أورد الألوسي النماذج التي ذكرها السويدي من شعر ابن أبي الحديد ثم قال: فكيف يُقال إنه من أهل السنة، أو المعتزلة من أهل السنة ما أظن من يقول بذلك إلا جاهل بمقالات النحل.

فقال: ابن أبي الحديد شاعر والشاعر إذا قال شعرًا لا يُعوّل عليه، ففي التنزيل: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُنَ) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ).

فقلت: ليس شعره فقط ناطقا بذلك، بل إن تصانيفه صرّحت بأعظم مما في شعره هذا شرحه على نهج البلاغة فيه من الغلو بالأمير ما ليس عليه، مزيد وكذلك غيره من مؤلفاته وهو وإن كان يتلوّن تلون الحرباء من غلاة الشيعة كما لا يخفى على من سبر كلامه بمسبار الإنصاف، نعم إنه كان قائلا بخلافة الخلفاء الثلاثة كما يُفهم من كثير من عباراته، وذلك غير كافٍ كونه من أهل السُّنَّة، لاسيما وقد طعن في كثير من الصحابة الكرام؛ كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وطلحة والزبير، وعائشة أمّ المؤمنين، وأضرابهم ممن خاض الفتنة، مع أنهم عند أهل السنة كلهم من العدول،الأخيار، والصديقين الأبرار، فكيف يكون مع ذلك من أهل السنة؟».

والحاصل؛ أن ابن أبي الحديد: «معتزلي يقول بتفضيل علي على الثلاثة رضي الله عنهم أجمعين، مع غلو فيه، ومصانعة لرافضة عصره.

ص: 75

فائدة:

اشارة

مع ظلمًا هـذه التنازلات والتسامـح في أمر العقيدة من ابن أبي،الحديد فإنه لم ينل وُدّ الرافضة، ولن يرضوا عنه، وإن كفّر كثيرًا من الصـحابة، وغلا في حب علي، ما لم يتبرأ تبرؤًا تامًا من الخلفاء الراشـدين الثلاثـة من قبله؛ لأنه: لا ولاء عندهم لعلي إلا بالبراءة منهم فلهذا عدوه من أهل السـنة وزورًا، وانبرى بعض علمائهم بالرد عليه في مؤلفات مسـتقلة، يدل على شـناعة بعضـها مضمون عنوانه، إذ ألف الرافضي يوسف الأوالي – كما سبق - كتابًا أسماه «سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد»، ورد عليه أيضًا علي البحراني في كتابه «منار الهدى».

ولذا قال شـيخهم عبدالزهراء (!) الحسيني (1): «يعـد ابن أبي الحديـد، من خصوم الشـيعة وأشد مناوئيهم رغم ما يظهر من حبه لعلي عليه السلام، وإظهار تفضيله.

ورأيت بخط كاشف الغطاء على ظهر المجلـد الأول من الشـرح من الطبعـة ذات المجلـدين المطبوعـة على الحجر في إيران الموجودة في مكتبته العامة الشـهيرة في النجف الأشـرف ما معناه: نعم المؤلف لولا عناد المؤلف»، فتأمل هذه العبارة من هذا المُطلع المتتبع لتعرف أن هؤلاء الذين نسبوا ابن أبي الحديد إلى التشيع على جانب من الخطأ عظيم.

وسمعت كاظم الحسين الخطيب ينقل عن الشيخ محمد طه نجف قدس

1- في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده»؛ (ص 217) وما بعدها) – بتصرف يسير.

سره أنه قال: «لو أوقف خصوم أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الله ما استطاعوا أن يعتذروا عن أنفسهم كما اعتذر عنهم ابن أبي الحديد»!

لذلك كثر الرد عليه من أعلام الإمامية، وإليك أسماء بعض الكتب المفردة في الرد عليه مضافًا إلى من تعرضوا لرده حسب ما تقتضيه المقامات من أبواب كتبهم:

أ - الروح في نقض ما أبرمه ابن أبي الحديد

أ – الروح في نقض ما أبرمه ابن أبي الحديد لجمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر (شقيق السيد علي بن طاووس) وكان من فقهاء أهل البيت له أكثر من ثمانين مصنفًا منها: (نقض الرسالة العثمانية) و(الملاذ في الفقه) و(العدة في أصول الفقه وشواهد (القرآن) و(عين العب

ب - سلاسل الحديد وتقييد أهل التقليد:

لهاشم بن سليمان البحراني التوبلي المتوفى (1107) انتخبه من شرح ابن أبي الحديد ورد عليه، ذُكر في (لؤلؤة (البحرين) ص 54، وفي (أنوار البدرين) ص 138، وفي (الذريعة) ج 21 ص 210، وقد سمى هذا الكتاب باسم رسالة للسيد ماجد البحراني المتوفى 21 شهر رمضان (1028) اسمها (سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد)، والظاهر من اسم هذه الأخيرة أن موضوعها في الانتصار للأخباريين.

ج - سلاسل الحديد في الرد على ابن أبي الحديد:

للشيخ يوسف الكوفي الأوالي ذكره أبو الثناء الآلوسي في الفيض الوارد

في مرثية خالد ص 30، وأظن أنه الآتي، ولكن الشيخ يوسف البحراني لا يُعرف بالكوفي.

د - سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد:

للشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق الناضرة المتوفى سنة (1186 ه) وصفه مؤلفه في آخر (لؤلؤة (البحرين) بقوله: (ذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتابًا مستقلا، ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء وما يناسب ذلك ويدخل تحته، وبينت ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب،وقاصد خرج منه،مجلد ومن المجلد الثاني ما يقرب من الثلث وعاق الاشتغال بكتاب «الحدائق» عن إتمامه). اه

وقال الشيخ آغا بزرك: رأيته في كتب السيد خليفة، واشتراه الميرزا محمد الطهراني لمكتبته (مكتبة الطهراني بسامراء) وقد أوقفت بعد وفاته» (1).

ه - الرد على ابن أبي الحديد

للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني المتوفى عام (1340 ه) صاحب كتاب أنوار البدرين، (ذكره في (الأنوار) ص 372 قال: لنا حواش كثيرة على شرح ابن أبي الحديد للنهج المرتضوي ورد عليه).

وقد لخص شرح ابن أبي الحديد فخر الدين عبدالله المؤيد بالله، وأسماه «العقد النضيد المستخرج من شرح ابن أبي الحديد»، توجد منه نسخة مؤرخة

1- الذريعة 210/12

بسنة (1080 ه)، كما اختصره السلطان محمود الطبسي، وانتخب منه الشيخ محمد بن قنبر علي الكاظمي كتابًا سماه التقاط الدرر المنتخب فرغ منه سنة. (1283 ه)، قال شيخنا الطهراني: والنسخة بخطه في خزانة كتب سيدنا الحسن صدر الدين الكاظمي اه.

ونقله إلى الفارسية المولى شمس بن محمد بن مراد سنة (1013 ه)،كما ترجمه بالفارسية الحاج نصرالله بن فتح الله الدزفولي، وزاد عليه.

و - النقد السديد لشرح الخطبة الشقشقية لابن أبي الحديد:

للشيخ محسن كريم نزيل (الخضر) اقتصر فيه على رد بعض أقوال ابن أبي الحديد في شرح الشقشقية، وقد طبع الجزء الأول منه في النجف في سنة (1383 ه) وهو عازم على إخراج الجزء الثاني.

ورأيت عند الشيخ طالب حيدر كراريس قرأ علينا منها فصولا جيدة يرد فيها على ابن أبي الحديد في اعتذاره عن خصوم أمير المؤمنين عليه السلام.

- ثم قال عبد الزهراء (!) مُعرّضًا بكتاب محمود الملاح - : «وقبل أعوام ظهر كتاب (تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) لمحمود الملاح، وهو كتاب مليء بالطعن على الإمام علي وشيعته وجحود فضائله ومناقبه، ونكران البديهيات من الأمور، والمسلمات من القضايا ...

وقد رد عليه الأستاذ رياض حمزة شير علي بكراسة أسماها «الملاح التائه» بأسلوب تهكمي مدعوم بالحقائق الناصعة والحجج الرصينة، وقد طبع هذا الرد، مرتين كما ألف الأديب الشاعر عبدالحسين الشيخ موسى السماوي في

رده (مبضع الجراح في تشريح الملاح)، وقد طبع ونشر يومذاك».

انحرافات ابن أبي الحديد في «شرحه»:

نظرًا لاعتزالية ابن أبي الحديد وميله للشيعة؛ فإنه قد تابع الفريقين في انحرافاتهما، مما انطبع على شرحه – خاصة في باب الصحابة رضى الله عنهما (1)، ولو بالإشارة دون التوسع. فمن ذلك – إضافة إلى ماذكر سابقا من نقد له – :

1 – تصريحه بمذهبه البدعي الاعتزالي» في مقدمة شرحه(2)، وفي ثناياه (3). ومعلوم مخالفة أصول هذا المذهب لماكان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، والسلف الصالح (4)

2 – قوله في شرح «وكمال توحيده الإخلاص له»: «المراد بالإخلاص له هاهنا هو نفي الجسمية والعرَضية ولوازمهما عنه ... إلخ» الكلاميات التي استقاها من شيوخه المعتزلة (5).

---

1 – ولذا قال عنه محب الدين الخطيب رحمه الله: «عاش عدوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؛ بما شحن به شرحه الخبيث لكتاب نهج البلاغة من الأكاذيب التي شوهت تاريخ الإسلام الخطوط العريضة) (ص (32). وقال الأستاذ محمد بن صقر الدوسري: من الغريب حقا أن يسعى ابن أبي الحديد إلى جمع كل ما قيل من مساوئ؛ ليلصقها بنفر من خيرة الصحابة ...». (منهج المعتزلة في كتابة التاريخ، (ص 237).

2- . (29/1)

3- انظر على سبيل المثال: (176/2) و (5/ 885).

4- تُنظر لبيان هذا والرد عليه رسالة المعتزلة وأصولهم الخمسة؛ للدكتور عواد، المعتق، ورسالة الجهمية والمعتزلة»؛ للدكتور ناصر العقل.

5- شرح نهج البلاغة، (79/1).

3 – قوله: «وأما قوله: وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه. فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب إليه المعتزلة ...» (1).

4 – نفيه لصفة العلو؛ متابعة لمذهبه الاعتزالي (2).

5 – قوله في شرح التوحيد» أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه»: «هذان الركنان هما ركنا علم الكلام وهما شعار أصحابنا المعتزلة»، ثم كذبه – تبعًا لكذب صاحب النهج – : وجملة الأمر؛ أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين (3)!

6 – غلوه في علي عليه السلام، بقوله فيه: «_والحاصل؛ أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ...» (4)!

7 – قوله القبيح: وأما أصحاب الجمل؛ فهم عند أصحابنا هالكون، ماعدا عائشة وطلحة والزبير؛ فإنهم،تابوا ولولا التوبة لحكم لهم بالنار ...»(5)!

8 – طعنه في الصحابي الجليل: المغيرة بن شعبة رضى الله عنهما، بقوله (6): أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين.

1– المرجع السابق.

2– المرجع السابق، (112/4 – 113).

3– المرجع السابق، (5/ 885 – 886).

4– المرجع السابق، (882/5).

5– المرجع السابق (30/1).

6– شرح نهج البلاغة، (746/5).

يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ... وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح!

9 – طعنه في من اختلف مع علي من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكذبه عليه بقوله (1): «فأما براءته عليه السلام من المغيرة وعمرو بن العاص: ومعاوية، فهو عندنا معلوم جارٍ مجرى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولاهم أصحابنا، ولا يُثنون عليهم، وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود».

10 – تماديه في طعن معاوية رضى الله عنهما في مواضع متعددة من شرحه؛ منها: قوله – شارحًا عبارة «نهج البلاغة» – : أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مُنْدَحِقُ البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه، قال – أخزاه الله وكاذب هذا الخبر (2): وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عَنَى زيادًا، وكثير منهم يقول: إنه عنى الحجاج، وقال قوم: إنه عَنَى المغيرة بن شعبة والأشبه عندي أنه عَنى معاوية ... إلخ ما قال»! وقوله (3): ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا، يُرمى بالزندقة، وقوله (4): وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه: إنه كان مُلحدًا لا يعتقد النبوة»!

11 – افتراؤه على جرير بن عبدالله البجلي و عبدالله بن الزبير – رضى الله عنهما – .

1– المرجع السابق، (764/5.

2– المرجع السابق، (776/1).

3– المرجع السابق (273/1)

4– المرجع السابق، (176/2). وانظر أيضًا: (528/3).

أنهم يبغضون عليا عليه السلام! قال: وكان الأشعث بن قيس الكندي، وجرير بن عبدالله البجلي،يُبغضانه وهدم علي عليه السلام دار جرير (1)!، وقال (2): «وكان!، عبدالله بن الزبير يُبغض عليا عليه السلام، وينتقصه وينال من عرضه».

12 – طعنه في أبي هريرة وغيره رضى الله عنهما، بقوله (3): (وذكر شيخنا أبو جعفر (4) الإسكافي – وكان من المتحققين بموالاة علي عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتفضيل عاما شائعا في البغداديين من أصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر أشدهم في ذلك قولا وأخلصهم فيه اعتقادًا – أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلا ـ يُرغبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير!! وقال (5): «قال أبو جعفر وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية.

قلتُ: عجبا لك عندما وافقت شيخك، وصدقت أكاذيبه، وأنت قد تبينت بعضها؟ كما في قولك – نقلا عنه (6): (وأما مروان ابنه فأخبث عقيدة،.

1– المرجع السابق، (790/1).

2– المرجع السابق، (781/1).

3– المرجع السابق، (782/1).

4– هو جعفر محمد بن عبدالله الإسكافي من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم، وهو بغدادي أصله من سمرقند، توفي سنة 240.

5– المرجع السابق، (785/1).

6– المرجع السابق، (788/1).

وأعظم إلحادًا وكفرًا، وهو الذي خطب يوم وصل إليه رأس الحين إلى المدينة، وهو يومئذ أميرها وقد حمل الرأس على يديه، فقال:

يا حبذا بردك في اليدين *** وحُمرة تجري على الخدين

كأنما بتْ بمَحْشَدينِ

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي، وقال: يا محمد، يوم بيوم بدر. وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثل به يزيد بن معاوية وهو شعر ابن الزَّبَعْرَى يوم وصل الرأس إليه والخبر مشهور.

قلت: هكذا قال شيخنا أبو جعفر، والصحيح أن مروان لم يكن أمير المدينة يومئذٍ بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يُحمل إليه الرأس»!

13 - طعنه في عمرو بن العاص رضى الله عنهما، بقوله (1) - نقلا عن شيخه - : ومازال عمرو بن العاص،مُلحدًا، وما تردد قط في الإلحاد والزندقة»! وقوله (2): «فإن قلت: فما الذي يقوله أصحابك المعتزلة في عمرو بن العاص؟ قلت: إنهم يحكمون على كل من شهد صفين، بما يُحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل ومذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم (3). ثم بين أن توبته رضى الله عنهما لا تنفعه!!

1- المرجع السابق، (321/1).

2- المرجع السابق، (484/2 - 485).

3- أي أنه مخلدٌ في النار!

قلتُ: هذه أبرز المؤاخذات على شـرح ابن أبي الحديد - باختصار - ، وهي تعود - كما ترى - إلى سوء مذهبه الاعتزالي - الشـيعي»، الذي أوقعه وأركسه فيها (1) ...

ص: 85

1- ومن حكمة الله أن هذا المذهب البدعي لا منتهى لبدعته؛ لأنه يُحكم العقل» في ثوابت الدين مما يجعل أصحابه يتخالفون، ولا يقفون عند حد معين؛ بسـبب تفاوت عقولهم. ولهذا نجد أن ابن أبي الحديد قد اسـتاء من صاحبه المعتزلي الآخر «النظام»؛ عندما تجاوز الحد - في نظر ابن أبي الحديـد وعقله - إلى الطعن في علي عليه السـلام نفسه!؛ كمـا في شـرحه (348/2) ومـا بعـدها. فحُق لنا أن نقول لابن أبي الحديد: لا تجزعن من سيرة أنت سرتها *** فأول راض سُنةٌ من يسيرها ولو سلكت وصاحبك السنة لما أسأت أو استأت.

المبحث الثالث: ترجمة الأستاذ محمود الملاح رحمه الله

اشارة

ترجمة الأستاذ محمود الملاح رحمه الله (1)

هو محمود بن عبدالله بن يونس الملاح، ولد في الموصل سنة 1891م، ونسبته إلى سوق الملاحين في مسقط رأسه، وهو سوق قديم يباع فيه الملح وسائر،الحاجات وقد نشأ في ربوع الموصل، ودرس العلوم الدينية والأدبية على علمائها، وفي مقدمتهم عبدالله النعمة وعثمان الديوه جي الموصل، ونال الإجازة العلمية في سنة 1912م فوظف مداوما في قلم تحرير الولاية، ولم تلبث الحرب العظمى أن اضطرم أوارها فجند، لكنه استمر على مزاولة وظيفته في الولاية إلى عقد الهدنة وانسحاب الأتراك وتسليم المدينة إلى القوات الإنكليزية.

كانت الموصل في ذلك العهد بلدة منعزلة راكدة الثقافة لا تكاد تستشف بصيصًا من أنوار المدينة الحديثة، وكانت الثقافة التركية تعم المحافل الرسمية وتستهوي الطبقة الراقية، أما الثقافة العربية فكانت ضيقة الأفق

1- نقلا عن: أعلام الأدب في العراق الحديث»؛ لمير بصري، (ص147 - 166). والملاح ترجمة في: «الأعلام»، (177/7)، و(معجم المؤلفين العراقيين»؛ لكوركيس،عواد (283/3 - 284)، و«معجم المؤلفين والكتاب العراقيين»؛ للدكتور صباح المرزوك، (333/7)، و «موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين»؛ لحميد المطبعي، (ص 240)، وله ترجمة مطولة مع ذكر ماقيل عنه أو ألف في مقدمة ديوانه؛ للأستاذ أحمد النعيمي (5/1 - 42).

محصورة في نطاق المحافل الدينية. وقد استطاع فتانا مع ذلك أن يحصل

على طائفة من الكتب الصادرة في القطرين المصري والسوري، وأن يتتبع سيرة دعاة الإصلاح (1)؛ أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا، ويغذي روحه النهمة بآرائهم وتصانيفهم، وأعلن الدستور في السلطة العثمانية على إثر انقلاب سنة 1908، وانتشرت المبادئ الإصلاحية واللامركزية في ربوع الشام، وانتقلت منها إلى العراق، فكان أديبنا الشاب في طليعة الشباب الموصلي الناهض الذي آمن بهذه المبادئ وأشرب حب الثقافة العربية الجديدة على بعد الشقة وعسر الاتصال. وقد قام بتدريس التاريخ والجغرافية بصورة فخرية في مدرسة محمود رؤوف الغلامي واشترك مع فريق من الشعراء منهم داود سليمان الملاح وفاضل الصيدلي في نظم أناشيد عربية للأطفال، تولى الغلامي طبعها في كتيب ...

1- ليسوا كذلك! وهذا يعرفه من حاكم أقوالهم وأعمالهم وآثارهم إلى الشرع، أما من اغتر بالهالة التي وُضعت حولهم؛ فلا حيلة فيه. ويُنظر لبيان حقيقة فكر الأفغاني: رسالة دعوة الأفغاني في ميزان الإسلام؛ للأستاذ مصطفى غزال ولبيان حقيقة فكر محمد عبدة رسالة منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي، ورسالة محمد عبده وآراؤه في العقيدة ...»؛ للأستاذ حافظ الجعبري. ولبيان حقيقة فكر الكواكبي: رسالتي نظرات شرعية في فكر منحرف - المجموعة الثانية. أما رشيد رضا عليه السلام، فقد بدأ متأثرًا بشيخه محمد عبده، إلى أن تخلص من كثير من تأثيره عليه بعد، مماته وقرب من الدعوة السلفية وعلمائها مع أثارة من بقايا مدرسة شيخه العقلانية. وتفصيل هذا تجده في مقدمتي لرسالة تعقبات الشيخ ابن سحمان على تعليقات رشيد رضا على كتب أئمة الدعوة».

وفي سنة 1919م شـد الرحال إلى سورية واسـتقر في حلب أمدًا على عهد حكومتها العربية، ووظف في مجلس إدارة الولاية ومدير التحرير آنـذاك إبراهيم هنانو، الـذي عُرف بمواقفه الوطنيـة، ولما شـدد الفرنسـيون سـيطرتهم على البلاد السورية وقضوا على حكومتها العربية ضاق محمود الملاح ذرعًا بوظيفته؛ فعاد إلى الموصل سـنة 1922م، ولـم يلبث أن قدم بغداد سـنة 1924م وألقى بهـا عصا الترحال، وقام في أول الأمر بإعطاء دروس خاصـة اللغة العربية ثم عُين رئيسًا لكتاب مجلس النواب عند إنشائه في سـنة 1925م، لكنه قضى في هذه الوظيفة أيامًا معدودة، وعُين بعد ذلك مدرسًا في بعض المدارس الأهلية، فمدرسًا في المدرسة الثانوية الرسمية (1925 – 28). وعُين بعد سنتين معلمًا للغة العربية في المدرسة العسـكرية (1931 – (33)، وأصـدر جريدة أدبية باسم «التجدد» (24) تموز (1930م) فلم يكتب لهـا التعمير طويلا، وانتخب نائبا عن الموصل في كانون الأول 1937م، فلم يطل عهد نيابته سوى أمد قصير إلى حل المجلس في شباط 1939م.

لازم محمود الملاح في أثناء إقامته ببغداد أدباءها وفضـلاءها وغشـي مجالس الزهاوي والرصافي، والكرملي، وعبد العزيز الثعالبي، وفهمي المـدرس وطه الراوي وعبداللطيف،ثنيان وياسـين الهاشـمي، ومولود مخلص، وعباس العزاوي وأضـرابهم، وشارك في المناسـبات الوطنية والأدبيـة بشـعره ونثره. وله مباحث في اللغـة وقواعـدها والتاريخ العربي والإسـلامي، واجتمع له ديوان ضـخم تفرقت قصائده في الصـحف والمجلات.

وللملاح مطارحات شعرية ومداعبات إخوانية كثيرة مع أصدقائه، وفي

مقـدمتهم عبـاس العزاوي ومحي الـدين أبو الخطـاب المحـامي، وقـد سـجل طرفًـا منها المرحوم إبراهيم الواعظ في كتابه الجامع الروض الأزهر».

قال الأسـتاذ مير بصـري: حدثني محمود الملاح أنهم كانوا ثلاثة يدرسون على الشـيخ عبدالله النعمة هو وضياء يونس وشيت خطاب، وقد اتصلت بينهم المودة فصاروا لا ينقطعون بعضهم عن بعض نهارًا ومساءً. ولم يتزوج الملاح، ولم ينجب ضياء يونس ولدًا، أما شيت خطاب فتزوج وأنجب ولـدين سـمّى أولهمـا بـاسم محمود الملاـح، وهو محمود شـيت خطـاب صاحب المؤلفات العسـكرية واللواء في الجيش العراقي، والوزير في العهـد الجمهوري. وسـمّى ثانيهما باسم ضـياء،يونس فكان ضـياء شـيت خطاب، الـذي أصـبح رئيسًا لـديوان التدوين القانوني ونائب رئيس محكمة التمييز، ورئيسها بعد ذلك.

توفى محمود الملاح في بغداد ليلة الأربعاء: 1389/1/1 ه، الموافق: 19 آذار 1969م، ودفن في الموصل.

مؤلفاته: الوحدة الإسـلامية بين الأخذ والرد (1951)، عبدالباقي العمري (1953) تاريخنا القومي بين السـلب والإيجاب (1956)، دقائق وحقائق في مقدمـة ابن خلـدون (1955) نظرة ثانيـة في مقدمـة ابن خلدون (1956)، تحـذير المسـلمين من المتلاعبين بالدين تعليقات وحواشـي على كتاب ابن سـينا (1953)، حقيقـة إخوان الصـفا (1954)، تشـريح شـرح نهج البلاغة (1954)، النحلـة الأحمدية، البابية والبهائية (1955)، المجيز على الوجيز (1956)، الآراء الصريحة لبناء قومية صحيحة (1956) الرزية في القصيدة الأزرية (1952)، حجة الخالصي (1952).

منهج الملاح في كتاباته:

كتب الأستاذ خالد البديوي في رسالته«أعلام التصحيح والاعتدال» (1)

نقدا لمنهج الأستاذ محمود الملاح في كتاباته عن الفرق المنحرفة، أنتقي منه الآتي، ثم أضيف عليه ما ظهر لي من قراءتي لكتبه، قال الأستاذ خالد: عاصر الملاح فترة عصيبة في تاريخ المسلمين، فقد شهدت هذه الفترة خروج حركات هدامة؛ كالقاديانية والبهائية ونحوها، كما غزا العالم كثير من التيارات المنحرفة كالشيوعية واللادينية والعلمانية وغيرها، وأعظم من هذا، فقد تصدر كثير من المفكرين الذين شككوا في صلاحية الإسلام لهذا العصر، فأخذوا يدعون إلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية، وقد تألم لهذه الحالة كثير من أبناء الأمة، فأخذ كل واحد يتلمس الخلل ويسعى في توصيف،العلاج، وهو ما يبرر خروج كثير من التيارات المختلفة في نظرتها لماهية الخلل وطريق العلاج.

صرّح الملاح بأن هدفه النضال في عدة جبهات دفاعا عن الإسلام الذي تكالب عليه أعداؤه، يقول: ليس دفاعي محصورًا في بقعة معينة ... بل دفاع عام عن مصلحة الإسلام في أي بقعة (2).

1- (ص 466 - 447).

2- المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة 292/2). يُضاف: قوله (المرجع السابق 121/1): «هدفي الأوحد هو الإصلاح على قدر الطاقة التي من الله بها اللطيف الخبير، وإعداد جيل صالح، وتنوير الطريق للأجيال الآتية»، وقوله للشيعة عن سبب كتابته - (160/1): «والله لولا حيفكم ولجاجكم ما أجريت في هذا الموضوع قلما؛ لما فيه من تجديد ثياب العار والشنار».

ومن أبرز ما اتسم به نقد الملاح للفرق الأخرى – خاصة الشيعة – ، أنه:

1 – يختار ما يسميه منهج التعبئة والبت والبتر معهم (1) فهو يرى أن الأجدى بأهل السنة أن يسلكوا منهج التعبئة ضد الشيعة وغيرهم من الفرق (2)، بحيث ينتقد الملاح أي لون من ألوان اللين مع الخصم، أو الإقرار بشيء من الأدلة التي عندهم، بل يتبنى إسقاطهم جملةً وتفصيلا. ويذكر أن مثله الأعلى في هذا المقام هو ابن حزم – رحمه الله – تعالى – فهو يصفه بأنه «مجدد بحق وأنه «أول من أخذ بالحزم في الرد على المبطلين» (3).

ويبالغ في منهج التعبئة؛ حتى إنه طعن في عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بأنه كان «حجرًا رخوًا في صرح الدولة الأموية» (4)! لأن العدل – في نظره – لا ينفع مع المصرين على عقائدهم!

كما أنه يصف صاحب كتاب التحفة الاثنا عشرية ولي الدين الدهلوي بأنه من «المتميعين» الذين يصفهم بأنهم أصحاب «نزعة عجائزية هرمة»(5)! وينعتهم ب – «ملتمسي البركات» (6)! ويعني بهم الذين يلطفون عباراتهم مع أتباع الفرق الأخرى، ويذكرون أدلتهم ويحاولون إقناعهم باللين وبأسلوب هين.

1– الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة 333/2).

2– تاريخنا القومي (ضمن مجموع السنة 334/1).

3– الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة 74/2).

4– وإن كان الملاح يقول بأن رأيه هذا لا يخرجه من كونه أعجوبة من أعاجيب بني الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة 94/2 – 95).

5– الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة 74/2 – 75).

6– المرجع السابق (65، 74/2).

2 – الإكثار من الألفاظ اللاذعة الاستفزازية:

حيث يُكثر الملاح من الألفاظ اللاذعة عندما يخاطب من يخالفه، كما يستعمل الأسلوب الاستفزازي بصورة كبيرة جدًا، ولعل كونه كاتبًا صحفيًا قد أثر عليه كثيرًا».

قلتُ: ويُضاف إلى ماذكره الأستاذ خالد

3 – جرأة الملاح في النقد (1)، واسترساله، واسترساله مع بعض الروايات التاريخية غير الثابتة؛ مما أوقعه في المساس – بعبارة غليظة – ببعض الصحابة، ممن حصل بينهم الخلاف بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما، فضلا عن غيرهم ممن هو أدنى منهم منزلة فليته نزه قلمه عن هذا، ولم ينسق مع الأباطيل التي انساق معها خصومه الشيعة والتزم بما نصحهم به في هذه المسألة كما سيأتي في رسالته – (2). وقد أنكر هذا الصنيع من الملاح بعض أهل السنة، ممن رأوه تجاوز الحد، كما سيأتي في مقالي: الشيخ إسماعيل الأنصاري، و كمال الخطيب – رحمهما الله ...

1– وقد اعترف بهذه الجرأة في مجموع السنة» (331/1): «تعجبت من جرأة الكوثري هذه؛ لأنني كنت أظنني منفردًا بالجرأة. بل بلغت به جرأته إلى أن يقول (338/1): «إن تجاربي جعلتني لا أعبأ بالرواة كما أعبأ بالمتون» ويقول (74/2): «كانا – أي ابن حزم وابن تيمية – يُقيدان أبحاثهما بقيود مصطلحات حديثية، لا أعبأ وأنا باحث بكثير منها؛ لأني أنظر في المتن قبل لأن أنظر في السند»!

2– والملاح لا يخفاه ماورد في حق الصحابة الا الله من مدح إلهي ونبوي؛ لأن مقدم رسالته الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد: الشيخ طه العاني الله قد ساق كثيرا منها في مقدمته؛ كما في مجموع السنة) (310/2 – 318) بل نشر الملاح رسالة الأستاذ محب الدين الخطيب الله الشهيرة في مدح الصحابة والا الله: «الجيل المثالي، في مجموع السنة: 3/1 – 16).

وفي ظني أن من أبرز الأسباب لما وقع فيه الملاح:

1 – كونه من المثقفين لا ـ العلماء (1)، وهم أكثر جرأة واعتـدادًا من غيرهم؛ مما يؤدي إلى عدم وقوفهم مع حدود الشـرع في المسائل التي يخوضون فيها.

2 – تأثره بمدرسة جمال الدين الأفغاني (2) – كما سـبق – ، ومعلوم أن هذه المدرسة وريثة فرقة «المعتزلة البائدة (3)، التي تميز أساطينها بالجرأة على صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و اعتدادًا بعقولهم المتضخمة كما سيأتي إن شاء الله.

1– يرى البعض أنه مثقف«قومى»، لا «إسـلامي»؛ كما في رسالـة«أعلام التصـحيح والاعتدال»، (ص333)، ولكني لم أجـد في كتاباته ما يؤكد هذا بوضوح، بل وجدته يدفع هذه التهمة عن نفسه، بقوله (كما في مجموع السنة: 10/2): نعم أنا تعصب للقومية الإسلامية الصحيحة وتاريخها السالم ...»، وقوله في نقد «القومي الشاعر البزم (243/2): «لكني ما ظننت أن القومية تبلغ في بعض الناس من السماكة أن تُنكر فضائل بعض المتقدمين؛ لأنهم موالي» ... ولا ننسى أن الملاح له رسالة بعنوان «الوحدة الإسلامية». (303/2 – 469).

2– وللملاح قصـيدة يمـدح فيها الأفغاني؛ كما في ديوانه (261/1 – 263)، يقول في مطلعها: جمال الـدين كان فريد عصـر *** به اعترف المصادق والمعادي

3– تُنظر: رسالة «الاتجاهات العقلانية الحديثة»؛ للدكتور ناصـر العقل. ورسالة «المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجدد)؛ للشـيخ فؤاد الشلهوب.

تعقيب حول مقال محمود الملاح

تعقيب حول مقال محمود الملاح (1)

بقلم: الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله:

«جاء في مقال محمود الملاح عن تاريخ مكة للأزرقي المنشور في عدد مجلة الحج الغراء الصادر في 1386/3/16 ه ما نصه: «وفيه – عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رحمه الله – نزل قوله تعالى: (وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِى أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ عَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)، هذا نص ما جاء في ذلك المقال، ولكون خطأ نرى من الواجب التنبيه عليه؛ حفاظًا على كتاب الله تعالى وعلى مكانة ذلك الصحابي الجليل عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما فنقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل:

إن القول بنزول قوله تعالى: (وَالَّذِى قَالَ لِوَلِدَيْهِ أَنَّ لَكُمَا) الآية: في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما يبطله ثلاثة أمور:

1 – تكذيب عائشة أم المؤمنين شقيقة عبدالرحمن ذلك. الوارد من رواية يوسف بن ماهك، ومحمد بن زياد وابن ميناء وعبدالله الماييني.

أما رواية يوسف بن ماهك فعند البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل

1– مجلة الحج، ربيع الأول، 1386 ه.

حـدثنا أبو عوانة عن أبي بشـر عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز اسـتعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شـيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ك إن هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعداننني، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شـيئًا من،القرآن إلا أن الله أنزل عذري، وأما رواية محمد بن زياد؛ فعند عبد بن حميد وابن أبي خيثمة والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححها وابن،مردويه، أخرجوا كلهم من حديث محمد بن زياد أن عائشة رضى الله عنهما قالت حين بلغها قول مروان: كذب،مروان كذب،مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسـميته، وأما رواية ابن ميناء؛ فرواها عبدالرزاق وابن مردويه عنه أنه سمع عائشة رضى الله عنهما تُنكر أن تكون الآية - أي والذي قال لوالديه أف لكما – نزلت في عبـدالرحمن بن أبي بكر، وقالت: إنما نزلت في فلان بن فلان، سـمت رجلا وأما روايـة عبدالله فعند ابن أبي حاتم وابن مردويه أخرجاه من حـديثه أن عائشـة قالت: يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت والله ما فيه،نزلت نزلت في فلان ابن فلان. ففي هـذه الروايات عن عائشـة رضـى الله عنهما تصـريح ببطلان نزول هـذه الآية في أخيها عبد الرحمن، وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بصدد كلامه على رواية يوسف بن ماهك المتقدمة: نفي عائشة أن تكون – أي هذه الآية – نزلت في عبدالرحمن وآل بيته أصح إسنادًا وأولى بالقبول ا. ه – ، وعلى ما ذكره اعتمد الحافظ السيوطي في كتابه الباب المنقول في أسباب النزول».

1 – الثاني مما يبطل نزول هذه الآية في عبدالرحمن بن أبي بكر: تأخر

إسلامه عن نزولها؛ كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، قال: من زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، وجزم ابن كثير بأن الآية عامة في كل من قال ما ذُكر فيها، واستدل على ذلك بالإخبار عن «الذي» بقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ).

3 – الثالث مما يبطل نزول هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: سياق الآية نفسها، فإن المراد بالذي في قوله تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفٍ لَكُمَآ) الجنس؛ بدليل وقوع الخبر عنه مجموعا كما في كشاف الزمخشري، ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم) يدل على فساد القول بنزول الآية في عبدالرحمن بن أبي بكر؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما من أفاضل المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب وبهذا استدل الزجاج على بطلان القول بنزولها في عبدالرحمن، وتبعه أبو حيان في (البحر المحيط) والشوكاني في (فتح القدير) وغيرهما.

وبهذا كله يتبين بطلان ما ذكره محمود الملاح في مقاله المشار إليه، وبراءة عبدالرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما مما رماه به بدليل الآية نفسها، والروايات الواردة عن أخته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما، والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل».

نقد الأستاذ كمال الخطيب

لبعض ما ورد في؟«تشريح شرح نهج البلاغة»(1)

نهج البلاغة: كتاب جمعه الشريف الرضي على أنه خطب سيدنا على عليه السلام، ومأثوراته، فهو بهذا الاعتبار تراث أدبي عباسي يمتد بجذوره إلى عهد الإسلام الأول، فله في الأدب منزلة تسمى باسمها، ولننشر بظلها، غير أنه بموضوعاته موصول بتاريخ سيدنا علي عليه السلام ما امتد إليه من نحلة ووجهة سياسية ودعوة طائفية، وبهذا الاعتبار كانت له منزلة دينية وسياسية.

وقد رأى عز الدين بن أبي الحديد أن يشرحه؛ لينشر في تضاعيف الشرح ما ولده الزمن من دين وسياسة؛ ليتمم صنيع الشريف الرضي، وكان شارح النهج مع أخيه القاضي القاسم بن أبي الحديد من رجال الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الذي خان الخليفة المعتصم وأسلم بغداد إلى «هولاكو»، فكان وزيره أيضًا، وإن شارح النهج كما قاله الأستاذ الملاح ص 85: لعب على ثلاثة حبال: التسنن والتشيع والاعتزال فهو في الأصول معتزلي، وفي البحث شيعي يداهن ابن العلقمي، وما أراه إلا منفورًا عنه من الاثنا عشرية إلا للصيد، والغافل إذا قرأ شرح النهج لابن أبي الحديد يراه شيعيا لطيفا، ولا يدري أن هذا اللطيف هو الذي يجر إلى الكثيف.

1- مجلة التمدن الإسلامي، ربيع الآخر، 1374 ه.

والغالب أن «المعتزلة» الذين فيهم شائبة تشيع» هم (زيدية) لا إمامية، أي هم معتزلة بحكم تمذهبهم لزيد وقد تتلمذ لواصل بن عطاء إمام المعتزلة، أو أنهم كانوا معتزلة ثم دانوا بالتزيد ... فلا يخدعك لفظ «الاعتزال» إذا رأيت في جنبه تشيعًا، ثم إن المعتزلة لم يشغلوا أنفسهم بتمحيص التاريخ؛ وصاحب الكشاف (الزمخشري) على براعته في الأدب لم يبرأ من أخبار العجائز».

وهذه نقطة مهمة نبه إليها الأستاذ الملاح تنبيه العالم المنصف بصراحته العلمية إذ قال: ص 14: لم تسبق لي مطالعة النهج؛ وكنت مغرورا باسم المعتزلة ككثير غيري من الباحثين، ... فقد اهتديت فيما بدا لي أن المعتزلة المتأخرين لم يثبتوا على منهاج المتقدمين لأنهم بايعوا وشاروا وداهنوا وداروا ...

ومنهم من ابتعد عن أبواب السلاطين، ولكنه لما اشتغل بغير فنه دل على وهنه، كالزمخشري (جار العقل!) فإنه في اللغة والبيان رفيع، ولكنه في نقل الأخبار بغير امتحان واختبار رقيع.

لذلك يجب أن نقرأ كتب أمثال هؤلاء في مثل هذا الموضوع بحذر ...».

يصم

والأستاذ الملاح بحاثة صريح يصف نفسه بمثل ما غيره كما رأيت، وينصف ناقده حيثما وجد لذلك سبيلا، وهو في رسالة التشريح هذه قد قطف من النهج وشرحه فقرات ناقشها مناقشة العقيدة والتاريخ، ولهذا عنون رسالته هذه برقم 1 على أنها: ثورة فكرية تاريخية قومية، وختمها بفصل تحت عنوان الثقافة الإسلامية والقومية، وأخذ على دعاة القومية سلوكهم، مما

ص: 98

تولاه من حصن المفتريات التاريخية باسم العقيدة ومذهب الإمامية، وبين ذلك عنونَ فصلا مسهبًا بعنوان: إرداف التشريح بما يزيد في التوضيح» سار فيه سيرته بقطف فقرات من كتاب أثر التشيع في الأدب العربي – بقلم محمد سيد «كيلاني ناقشه الأستاذ الملاح فيها مناقشة العلم والأدب والتجرد والنزاهة، حتى إذا استفاد منه نظرًا صرح بذلك على سجيته بغير تكلف، كما ترى ذلك في قوله ص 88:

«ومما أجاد فيه المؤلف بحث القصيدة الميمية ومطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته *** والحل يعرفه والبيت والحرم

التي زعموا أن الفرزدق قالها في مدح بعض الأئمة – زين العابدين – ، فقد أعطى البحث حقه وزاد على ما كنت أعرف».

وإن نقدات الأستاذ الملاح أشبه بإشعاعة النجم، فإنها تجمع في نقطة وتتجه إلى جهات بعيدة ترمى إليها الأشعة وربما نشر في أسطر عصارة كتب وخلاصة علم ونظرة تاريخ وهو يأتي من ذلك بما يأتيه به عفو الخاطر مع المناسبة التي يتناولها، كقوله ص 18 في مسند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما: مسند أحمد لم يعده العلماء في الصحاح، وهو يحتاج إلى غربلة واسعة، وربما أراد الله غربلته قبل وفاته فلم يتيسر له وهو مشغول بنكباته؛ وفي مسنده كثير من الروايات المائعة التي صارت فلسفة لبعض المائعين وعلم أنه أضيف إليه ما أضيف» ... (1)

1- سيأتي الرد على هذا الكلام – إن شاء الله.

إن الأستاذ الملاح قد رأى في العراق طائفة كشفت قناع التقية»، ولم تقف عند حدود التشيع بنظرة حزبية تاريخية وإنما تريدها خطة ولو امتدت إلى تفويض دعائم التاريخ والإسلام وتاريخه، وأيسر ما في نظرها تتهم أن الصحابة – رضوان الله عليهم – ؛ لتعيش على حدث هذا التاريخ، فتبني بناءها على أنقاضه، ولذلك أصبح أمام مشاكل الطائفية بأوهامها ومطامعها، ومن هنا وقف مواقفها ص 16: إن في تاريخنا عقدتين من أصعب العقد، لا تشبههما عقدة الوصية المزعومة بالنص على إمامة علي، ولا عقدة السقيفة باتهام الشيعة أبا بكر وعمر رضى الله عنهما في حلهما مشكلة اجتماع الأنصار وطلبهم الخلافة؛ لأن هاتين العقدتين حلهما الزمن بانتهاء آجال من خامت حولهم هذه المشاكل، فضلا عن تفصيل القول فيهما على اختلاف وجهات النظرات المذهبية والتاريخية وإنما العقدتان هما:

الأولى:عقدة عثمان رضى الله عنه في الشطر الثاني من خلافته، ومهما قيل في عثمان، فقد نال عقابه على الله عنه. والعقدة الثانية: ما نجم عن العقدة نجم عن الأولى، وهو موقف علي وطلحة والزبير ومن ورائهما قريبتهما أم المؤمنين ذات المقام المكين رضوان الله عليهم – ؛ لأن المؤرخين حاروا في أمرها ناظرين إلى هذا السؤال: كيف اجتمع الرضا (من) الرسول عنهم حتى وفاته صلى الله عليه و آله و سلم، والبشارة (لهم بالجنة مع إخوانهم تتمة العشرة المبشرة) والخوض في دماء المسلمين بما وقع من الأحداث والفتن»

إن وقفة الأستاذ الملاح حيال عرضه هاتين العقدتين لم تكن بالصيغة التي رأيت – (مع ملاحظتك أيها القارئ الكريم أن ما بين القوسين من إضافتي

وشـرحي لمجمل)قوله إنها لـم تكن وقفـة العلـم والتجرد والحياد، وإنما هي وقفـة من أحاط بركام التاريـخ في هذه البحوث التي وقف عليها حياته، فناله منها تصـديق وإنكار، ورضا وغـم، حتى انتهى من ذلك إلى ظلم عثمان رضـى الله عنه،بعقابه واتهمه وهو المظلوم باستشـهاده، ولـم ير من سنة الأدب مع الصحابة أن يترضى عنه، وعمن ذكر من إخوانه، ومع ذلك لـم يلبث الأستاذ الملاح أن أفاء إلى نفسه، فقال ص 12 معتذرا: وكان للعلماء رأي سديد في طي هذه الصـحيفة، والمرور بها مرور الكرام؛ لأنها في حكم المتشابهات؟ ولكن ماذا نصـنع والنواعب تنعب في كل فرصة مواتية، (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُون مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ).

إن تاريخ الصحابة ليس دينا (1) وإنما هو تاريـخ، والتاريـخ موطن العبر، وإنما الذي وصل أحداثهم بالدين أنهم رواته وحماته، وكان الدين من بعدهم عنه،المذاهب وتسـتظل بظله السـياسة، حتى المجرمة والطائفية، وإن للصحابة من الدين منزلة الإمامة، وقد حمى الله بهم دينه، وبلغ في الأرض الرسالـة، وإن لهم بالسابقة امتحان الصادقين، غير أنهم بعد ذلك بشـر، تجمعهم مبادئ وتفرقهم نظرات واجتهادات ترجع إلى شخصـية كل منهم، فهذا علي عليه السـلام بنشأته وصـلابة خلقه وغزارة علمه يمثل القضاء الذي وسده إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ناشنا، حين وجهه إلى اليمن، وهذا معاوية في موطن شرفه وميراثه الأموي الهاشمي القرشي رجل زعامة، وهو يعد.

1- بل هو دين؛ لأن الله ورسوله صـلى الله عليه و آله و سـلم أمرا بحبهم والترضـي عنهم، والكف عما شـجر بينهم؛ إلا لمصلحة الرد على أهل الأهواء.

بمواهبه وأدوار حياته رجل حكومة وسياسة فإذا كنا نعرف في عصرنا للرجال المخلصين حزبًا يضمهم بموقف الحماس والإيمان والتضحية، ولاسيما في عهد زعامة جامعة، فلقد عرفنا لهم لاختلاف الشخصية – ولاسيما بعد وفاة زعيمهم – وجهات نظر مختلفة وكثيرا ما أدت بينهم إلى فرقتهم على رغم اليقين القاطع بإخلاصهم جميعًا، فإذا تفرقوا أو أخطأ أحدهم أو كلهم لم يُحرموا من شرف الإخلاص ومنزلة المخلصين وأهل السابقة وليس في سفك الدماء بعد ذلك غير النتيجة الطبيعية لهذا الاختلاف، وليس الدم الأحمر دائمًا دم جريمة، بل ربما كان دليل فرط الإخلاص والحماس والحمية ومثل هؤلاء في المنزلة السابقة يغفر الناس لهم أخطاءهم هذه، وإنصافا ووفاءً، فكيف بفضله ومنه سبحانه، ونحن نقرأ مما صرح به تعالى في مقام المنة على رسوله قوله: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) (ليغفر لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَرَ)،كما نرى على هذه الشاكلة: فنظر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمنظار إلهي حين قال في أهل بدر مقالة الرضا عنهم، أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «اطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (1).

إن كلا من علي ومعاوية رضى الله عنهما كان يرى نفسه الأكفأ للقيام بأعباء الخلافة (2)، والأصلح للأمة في قيادتها وحماية رسالتها، ومع ذلك فقد له

1- أخرجه البخاري (3007)، ومسلم (2494).

2- لم يكن معاوية يُخالف عليا و رضى الله عنهما؛ لأجل هذا بل كان يُقر له بالخلافة، ولكن ينازعه في مسألة الاقتصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق»، (59/ (132) بسند – رجاله ثقات عن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا،والله إني لأعلم أن عليا أفضل مني، وأنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، و إنما أطلب بدم،عثمان فائتوه فقولوا له فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم له

وقعت بينهما فتنة طواها التاريخ بقرونه، فإن تكن نظرًا للعبرة، فلها في كل دعوة وحزب أشـباه فهي موطن عبر، وإن تكن للتمذهب والعصبية الطائفية، وتفرقة الأمة في حاضرها ومستقبلها بتبشير ودعاية وافتراءات، فهي تجديد للمأساة التاريخية، وإفساد للحاضر والمستقبل، وهنا هنا المشـكلة التي نراها حية تشـعر ويراها الأسـتاذ الجليل الملاح فيضرب معها لينقذ الحقيقة المسلمة النيرة، وينصف الصحابة – رضوان الله وسلامه عليهم جميعا ويوقظ أمة، فإذا به يقف عند العقدة ويصيبه من تعقدها شظية ...»!

وكذلك مر الأسـتاذ الملاح بحديث الخوارج ص 17 فردّ على اتهامهم بالمروق من الـدين قائلا لابن أبي الحديـد في رده: فما حجتك على هؤلاء المساكين الذين طلبوا الحق فأخطأوه!

إن كلمـة الخوارج قد جمعت كل من خرج على الخليفة، وقد تعاقبت الأزمان والخلفاء وتتابع الخوارج وإن تنوعت البواعث، فإن كان فيهم المثالي» الذي ينطبق عليه دفاع الأستاذ الملاح، فإن فيهم المجرم التاريخي، ومنهم من يتعقب آثاره بتحقيقاته ونقداته وبرسائله ومقالاته

وأشد من هذا فى المأخذ أنه يجري في أسلوبه على طريقة من المجاراة والمشاكلة، فإذا باللفظ ينتهي به إلى غير ما يقصد، كما ترى ذلك في في ص 26، حين ردّ من الخطب المعزوة لسيدنا علي عليه السلام ما رد بنقد أدبي صحيح

قوي، كشف عن اللغة والأسـلوب وجه التزوير، حتى إذا انتهى إلى المعنى ردّ على جهله منها وهي: كمال الإخلاص نفي الصـفات عن الله تعالى فقال: أمن الإخلاص أن تجرد من أخلصت له من ملابسه فتتركه عاريا يضع يـديه على سوأتيه»، فهـذه الصورة منتزعة من خلق البشـر بتجريدهم سوءتهم، وهي بذلك تعتبر الصـفات من الذات كالملابس، مع أن البحث بأصـله في ذات الله وصفاته، وإن إخلاص التوحيد له سبحانه وبحث القـدم هو الذي أثار في العهد العباسـي مثل هذه البحوث التي عزي منها إلى سـيدنا علي ما عزي، بلغة غير لغته، ونظرة غير نظرته، ونظر زمانه، فوجه نقد الأستاذ الملاح صحيح، وإن سوأة القول هو القبيح، وهو من التفريط في جنب الله، ومثل ذلك ليس ما يقصده الأستاذ الملاح لولا أنه جرى مع اللفظ؛ فامتد به إلى غير ما يقصد من المعنى.

وإن الأستاذ الملاح بتتبعه لما تضرب به موجات الدعاية والطباعة وما يقتضيه النظر المعجل قد يفوته أحيانًا مجال التحقيق، فيكتفي بقدر ما علم كما ترى ذلك ص 35 حين مر بذكر الخطب النبوية فقال: لو كان للنبي صـلى الله عليه و آله و سلم خطب، مجموعة وما إخال ذلك»، هذا مع أن خُطبة صـلى الله عليه و آله و سـلم مروية، وهي من أحاديثه، وفي مطاوي سـيرته موفورة وأذكر للأسـتاذ القاضـي الشاعر الشـيخ يوسف النبهاني (1) مجموعـة تضم جملـة من الخطب النبوية، وكذلك أذكر خطبة أوردها فشـكك بها بنظر الدراية قائلا: وما إخالها، ومن المعلوم أنه.

1- الصوفي الشهير انظر لمعرفة عقيدته وكلام العلماء عنه: رسالتي: ست منظومات في الرد على الصوفي النبهاني.

لا يكفي ذلك في النقـد والسـرد للنصوص، ولاسـيما من الأحاديث النبويـة، ولئن اتهم معنى، فكم دس الوضاعون المتعصـبون لمذاهبهم كلمات أو فقرات، أو انتزعوا كلمات وفقرات هي وحدها موطن التزوير» في الخيانة والنقد والرواية ...

هـذه ملاحظـاتي أنشـرها بين يـدي القراء الكرام في الرسالـة ومواضـيعها الجليلـة، وبحوثها التي تضم بنقـداتها وفقراتها طاقـة الزهر بألوانها الجميلـة، كما أنشـرها بين يـدي الأسـتاذ الجليل الملاح تقـديرًا لبحوثه وتتبعا لآثاره فيما ينبغي الاهتمام به وفي ذلك بعض التقدير والوفاء، فجزاه الله أكرم الجزاء في الدنيا والآخرة. المحامي: محمد كمال الخطيب».

ص: 105

محمود الملاح

تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد

ثورة فكرية تاريخية قومية 1

1374 - 1954

مطبعة أسعد - بغداد

السعر 100 قلم

صورة غلاف الطبعة الأولى من تشريح شرح نهج البلاغة للملاح

ص: 106

تشريح «شرح نهج البلاغة»

اشارة

للأستاذ: محمود الملاح رحمه الله

اعتنى بنشره سليمان بن صالح الخراشي

ص: 107

مقدمة

إنا نشعر أن هناك مؤامرة محشوة بفن الكيد والدس!

من ذلك الفن: تجديد طبع الكتاب المسموم الموسوم بشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد!

لقد تأكد لدينا هذا الخطر منذ جهر القائل بقوله:

عصر التقية قد تقضى وانقضى ...

وما تجرأ القائل على هذا القول الحامي ... إلا بعد وثوقه بالحامي والمحامي ...!

وهذا إنذار بأن الغيب يتأبط شرًا من فن تقليدي مغلف) كنا في غفلة منه أو متفائلين.

ومن شُعب عب ذلك الفن المبطن ... ما تبطنه الكتاب المذكور من فنون وفتون!

نقول بمرارة علقمية: إن خيانة ابن العلقمي تفوح رائحتها ... وقدرها منصوبة على أثافي لها وميض ...!

إن تلك القدر لا تتنفس في وطن ابن العلقمي فقط. فقط ... بل لها منافذ في أوطان أخرى عربية وغير عربية ...

ص: 108

إن تعليقـاتي على الجزء الأول ما هي إلا لماظـة في جنب مائـدة ضـخمة مختلفـة الألوان ... إلا أني أتوقع أن تعصف هـذه اللماظـة بتلك المائدة الحافلة بألوان الحرباء ... بل الحية ذات الألوان السبعة!

(من الرقش في أنيابها السم ناقع)!

والله المستعان

بغداد 21 ربيع الأول 1374 ه

20 تشرين الثاني 1954م

محمود الملاح

ص: 109

نبذة من أخبار ابن أبي الحديد شارح النهج ومخدومه ابن العلقمي ...

جاء في كتاب يتضمن (حوادث المائة السابعة) (1) طبعه المرحوم الحاج نعمان الأعظمي الكتبي في بغداد - جوادث سنة 656 ما يلي:

«ورحل السلطان هولاكو من بغداد في جمادي الأولى عائدًا إلى بلاده وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر شحنة بها، وإلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ...»ص 331 (2)

وفي ص 332 (3) فلما عاد الوزير والجماعة من خدمة السلطان قرروا

1- لا يستغني مثقف عن مطالعة هذا الكتاب؛ للمقارنة بين حال بغداد في المائة السابعة وحالها في المائة الرابعة عشر، سوى أن الكتاب يشتمل على خطأ كثير نبهت على بعضه في مقالات سابقة، ومنه ما هو محفوظ عندي. (منه). قلت: أشرف على طبعه الدكتور مصطفى جواد عام 1932م، ونسبه لابن الفُوَطي المتوفى سنة (723 ه)، ثم تبين له خطأ هذه النسبة؛ فنبه على هذا في تعقباته على كتاب مؤرخ العراق ابن الفُوَطي» للشبيبي، وفي مقدمته لكتاب تلخيص مجمع «الآداب» لابن الفُوَطي. ولذا فقد أعاد الدكتوران: بشار عواد وعماد عبدالسلام رؤوف طباعة الكتاب حديثًا (عام 1997م عن دار الغرب) بعنوان كتاب الحوادث؛ لمؤلف من القرن الثامن الهجري وانظر مقدمتهما للمزيد عن الكتاب وما قيل عنه وعن مؤلفه.

2- كتاب الحوادث، (ص 361).

3- المرجع السابق، (ص 361 - 362).

حال البلاد ... فعينوا – طبقة من المنتسبين في ألقابهم إلى الدين عز الدين بن أبي الحديد ... منهم:فلم تطل أيامه ...»

وفي ص333 (1) «فتوفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في مستهل جمادى الآخرة ودفن في مشهد موسى بن جعفر ... فأمر السلطان أن يكون ابنه عزالدين أبو الفضل وزيرًا بعده».

وفي ص 334 (2) ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعارًا كثيرة، منها ما قاله محمد بن عبيدالله الكوفي:

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك *** ولوعة في مجال الصدر تعترك

يا صاحبي! ما احتيالي بعد بعده: *** أشر علي فإن الرأي مشترك

ولما شاهد تربة الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء وأبرزت العظام والرؤوس، كتب على بعض الحيطان (3):

إن ترد عبرة فتلك بنو *** العباس حلت عليهم الآفات

استبيح الحريم إذ قتل *** الأحياء منهم وأُحرق الأموات

ومما قاله أيضًا (4):

يا عصبة الإسلام نوحو واندبوا *** أسفًا على ما حل بالمستعصم.

1- المرجع السابق، (ص (362).

2- المرجع السابق، (ص 363).

3- المرجع السابق، (ص 364).

4- المرجع السابق.

دست الوزارة كان قبل زمانه *** لابن الفرات فصار لابن العلقمي إن الشاعر قارن بين ابن العلقمي وابن الفرات لغرض بـديعي، وإلا فإن ابن الفرات وبينه وبين ابن العلقمي ثلاثـة قرون لـم يكن أقـل مرارة من العلقم! فقـد كـان متهمًـا بالقرمطـة هو وابنه (المحسن)، وبموالاة ابن أبي العزاقر الباطني من فصيلة الحلاج المشهور، واقرأ أخبارهم في الجزء الخامس من كتاب (تجارب الأمم ص 122 (1).

وفي ص 336 (2):

توفي الوزير مؤيدالـدين محمـد بن العلقمي في جمـادى الآـخرة ببغـداد وعمره ثلاث وسـتون سـنة. كان عالمًا أديبا فاضـلا يحب العلماء ويسدي إليهم المعروف إذا كانوا من طبقة ابن أبي الحديد – شارح النهج – طبعا!.

وفي حاشية الكتاب (3) إلا أن خيانته لمخدومه تدل عل سوء أصـله» الضـمير عائد إلى ابن العلقمي ومخدومه المستعصم آخر خلفاء بني العباس بعده، وتوفي علم الدين أحمد أخوه،بعده والقاضي القاسم بن أبي الحديد).

1- انظر تجارب الأمم، (1/ 137 – 139) ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن، حيث كان وزيرا للخليفة العباسي المكتفي، ثم المقتدر؛ إلى أن جرت له نكبة، قُتل فيها ولده المحسّن، ثم قتل هو سنة (312 ه). انظر:سير أعلام النبلاء،(14 / 474 – 479)

2- كتاب الحوادث، (ص 364 – 365).

3- المرجع السابق، (ص 365).

المدائني في جمادى الآخرة؛ فرثاه أخوه عزالدين عبدالحميد - شارح النهج - بقوله (1):

أأبا المعالي! هل سمعت تأوهي؟ *** فلقد عهدتك في الحياة سميعا!

إلى أن قال:

ووفيت للمولى الوزير فلم تعش *** من بعده شهرًا ولا أسبوعا!

(وبقيتُ بعدكما) فلو كان الردى *** بيدي لفارقنا الحياة جميعا

فعاش عزالدين - صاحبنا! - بعد أخيه أربعة عشر يوما ص 336.

فهل رأيت أعجب من الـدنيا وخسـتها وخسة الخائنين المنهكين فيها؟. وفي ص 340 (2) في ذي الحجة - سـنة 657 - توفي عزالدين أبو الفضل بن الوزير العلقمي - وقـد مر ذكره ولي الوزارة بعد وفاة أبيه ... دخل الديوان يومًا فقيل لعلي بهادر شـحنة بغداد إن فرس الوزير على الباب وعليها كنبوش ابريسم، فقام وشاهدها وعجب ... فقيل له: هذه قاعدة الوزراء في زمن الخليفة!؟ فبال قائمًا عليها وأمر بإخراج الفرس!.

هـذا بعـد ذلك الامتياز الـذي حصل عليه ابن العلقمي بحيث إن داره كانت حرما آمنا للائـذين بها أبان الواقعة! فمات هو على الأثر! ومات أخوه على الأثر! ومات ابنه على الأثر! بعد إهانات لا تتحملها العبيد ... فسحقا ثم سحقا! ...

1- المرجع السابق، ص 365 - 366).

2- المرجع السابق، (ص 370).

أما نصير الدين الطوسي (1) الذي رافق الحملة من البلاد الإيرانية، فلم يكن شريكا مباشرًا في خيانة الخليفة بل كانت خيانته من طراز آخر! وعُمر بعد الكارثة صارفًا همته إلى بناء الرصد لتوطيد حكم الدولة الغازية! ولما توفي دفن في مشهد موسى بن جعفر أيضًا مجاورا لابن العلقمي! (2).

وكان من لطف الله بالبلاد الإسلامية المنكوبة بخائنَيها أن الحكومة المغولية على عتوها ... فوضت أمر البلاد تفويضًا عامًا إلى سياسي فاضل وأديب كامل، هو الوزير الأعظم (عطا ملك الجويني) (3) الذي لم يسبقه مثيل.

1- ويسميه ابن القيم: نصير الشرك والكفر، وقال عنه: وزير هولاكو، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل:جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وأنه لا داخل العالم ولا خارجه وليس فوق العرش إله يُعبد،ألبتة واتخذ للملاحدة،مدارس ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك فقال: هي قرآن الخواص وذاك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحرا يعبد الأصنام ... (إغاثة اللهفان: 267/2). قلت: هلك عام ... (672 ه)، وانظر لمعرفة دوره هو وابن العلقمي في سقوط بغداد وخيانته: كيف دخل التتر بلاد المسلمين»؛ للدكتور سليمان العودة، (ص 71075)، و«المغول في التاريخ للأستاذ فؤاد الصياد، ص (272 - 278)، وخيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة؛ للدكتور عماد حسين، (ص 99 - 105).

2- كتاب الحوادث، (ص 371).

3- المرجع السابق، (ص 369).

إلا نظام الملك وزير السلاجقة، فقد تدارك هذا الدين بعد أن كان على شفا بالحكم البويهي ... أما عطا ملك فتدارك الدين والدنيا. ويشبهما من المتأخرين داود باشا (1) على ما يلوح لنا ... يليه مدحت باشا الوالي العثماني (2)، سوى أن الزمان ضنين بالنوابغ.!.

ص: 115

1- كان أحد المماليك البارزين، ثم تمرد على والي بغداد سعيد باشا؛ فأصبح واليا لبغداد خلفًا عنه عام (1232 ه). انظر أخباره في كتاب «داود باشا والي بغداد»؛ للدكتور عبدالعزيز نوار. وله ترجمة في الأعلام، (2/ 331)، و(دوحة الوزراء)، (ص 275 وما بعدها).

2- كان واليا على الدانوب، ثم على بغداد، ثم وصل إلى منصب الصدر الأعظم، وأصدر الدستور العثماني عام 1293 ه، ثم اختلف مع السلطان عبدالحميد فعزله، ثم تعين واليا للشام، وكانت نهايته النفي إلى الطائف؛ بسبب اتهامه بالمشاركة في قتل السلطان العثماني عبد العزيز. توفي مقتولاً عام (11301ه -). (الأعلام»، (195/7)، وانظر عن صفة قتله: «الارتسامات اللطاف»؛ لشكيب أرسلان؛ (ص 379 - 380). قلت: وقد ذكر الأستاذ أحمد الشوابكة في رسالته حركة الجامعة الإسلامية»، (ص 35 - 39) شيئا من الانحرافات الخطيرة التي وقع فيها بعد أن أثنى على إدارته الناجحة؛ منها: تبني أساليب الثقافة والمدنية الغربية، إعلان الدستور ... القائم على مفاهيم أوروبا»، حصر سلطة السلطان العثماني في الجوانب الروحية، إضافة الصليب على العلم العثماني»!، «تدريس اللغات القومية»، تعيين ولاة من الأقليات في ولايات كان الأغلبية من سكانها مسلمين» ... وغيرها من الانحرافات ومما يثير الشبهة حوله: التجاؤه إلى القنصليات الغربية؛ طلبًا للحماية، ويُنظر للزيادة مدحت باشا أبو الدستور العثماني؛ لقدري قلعجي.

كلمة نهج البلاغة

إن نسبة نهج البلاغة إلى علي بن أبي طالب هو الله موضوع مفروغ منه عند الباحثين المستبصرين وإن زلة المرحوم الشيخ محمد عبده كانت على قدر صاحبها ... في التنويه به وتيسيره للقراء بتكلف التعليق عليه وطبعه طبعا يوازي طبع المصاحف (1).

وقد أشرت في آخر كتابي (حقيقة إخوان الصفاء) (2) إلى ما بين النهج ونهج هؤلاء من صلة بشهادة صاحب الفردوس الأعلى العلامة كاشف الغطاء الذي كشف لنا الغطاء.

لقد خُدع الأستاذ الإمام بالنهج كما خُدع المرحوم أحمد زكي باشا (شيخ العروبة) برسائل إخوان الصفاء (3) التي هي بمنزلة المسايل لذلك

1- إن الذي ساق هذه الزلة إلى الشيخ رحمه الله أنه كان منفيًا في بيروت فاتخذ من نهج البلاغة ما يقتل به فراغه. (منه). قال الشيخ محمد سرور زين العابدين عن الرافضة: «وقد استغلوا شرح محمد عبده لنهج البلاغة أبشع استغلال مع أن الشيخ لم يكن مهتمًا بالغايات والأهداف التي كان يتطلع إليها الرافضة، دراسات في السيرة النبوية»، (ص 273).

2- (ص 95) وكتاب إخوان الصفا» طبع عام 1954م.

3- انظر: «موسوعات العلوم العربية وبحث على رسائل إخوان الصفاء»؛ لأحمد زكي باشا.

(الينبوع) المصنوع وكلاهما من معمل العصر البويهي ككثير غيرهما ... (1)

لقد كان الأول بحكم مهنته القلمية يفتش عن القوالب الرصينة (2). وكان الثاني يفتش عن الفلسفة الاجتماعية وكلاهما حديث عهد بالبعث، كالجائع الذي ظفر بشيء من الطعام فأقبل عليه غير سائل عن حقيقة صانعه! ولا عما دس فيه صانعه!.

اضطررت وأنا أكتب إلى مراجعة نهج البلاغة (أثر الشيخ) وأنا بعيد العهد به، فوجدت كاتب مقدمة (3) طبعه يقول:

«هذا كتاب نهج البلاغة وأنا حفي به منذ طراءة السن ... فلقد كنت أجد والدي كثير القراءة فيه، وكنت أجد الأكبر يقضي معه طويل الساعات يردد عباراته ... وكان لهما من عظيم التأثير على نفسي ما جعلني أقفوا أثرهما ...».

فهو يعترف أنه كان شابًا غير مجرب وأنه كان ينطبع في ذهنه ما ينطبع في ذهن مثله! وهذا الوهم الذي مر به كالوهم الذي مر بي في مثل سنه ...

1- كان البويهون في بلادهم على مذهب زيد (رح)، وزيد لم يفارق الجماعة وإن خرج على سلطانها فلما وردوا العراق تلاعب بهم (المتربصون) مستغلين حيلهم بأصول الدين ... فظهرت أنماط (مفرقة) كالذي نشهده اليوم وفي عهدنا من يحن إلى ذلك العهد، والله أعلم بما في المهد!. (منه).

2- ينبغي أن نعلم أنه ليس كل قالب رصين يحوي لبابا!. (منه).

3- الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله.

قال في ص: ج:

«فقد سبق إلى التشكك في الكتاب ... قاضي القضاة ... ابن خلكان المولود في مدينة أربل في سنة 608 والمتوفى بمدينة دمشق سنة 681 من الهجرة ...

ثم جاء من بعده الصفدي وغيره من كتاب التراجم (1)، فتابعوه على ذلك، وحينئذ قوي الشك وتمكن»

وإذا شكك المتقدمون كان المحدثون أحق بالشك منهم!.

وبعد أن عرض كاتب المقدمة الوجوه التي قدمها المتعرضون الطاعنون في النسبة شرع في ردها بما لا وزن له في علم الميراث.

وهاك ما قاله في ص: د وأهم ما يجد باحثو الآداب العربية في هذا العصر من أسباب يدعمون بها القول بأن الكتاب من صنع جامعه ... (2) نوجزه لك في الأسباب الأربعة الآتية:

الأول: أن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله ما لا يصح أن.

1- كثير من الدارسين يضمون الجيم في جمع ترجمة» كما يضمون الراء في جمع «تجربة»، وربما سمعنا هذا الخطأ من دار الإذاعة ... ومنهم «المتحكمون» في نقد الكتب ومن شرط الناقد أن يكون أوسع باعًا من المنقود حتى يكون لنقده ثمن!؟. (منه).

2- ليس من المعقول أن يكون جميع ما في الكتاب من صنع جامعه، ولكن من المعقول أن ما لم يكن من صنع جامعه يجوز أن يكون من صنع آخرين تقدموا أو تأخروا ... فإن كثرة التلفيق جعلتنا نشك في ما لا ينبغي أن نشك أنه في من لهجة الإمام!. (منه).

يسلم صدوره عن مثل الإمام علي ...

وكان من جوابه عن هذا قوله في ص: ه «والظاهر أن فتنة الخلافة التي ابتلي بها المسلمون والرسول مسجى على سريره كانت تستوجب هذه السرعة التي خاض غمارها رجلا الإسلام وشيخاه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما والإمام علي حينذاك مشغول بتعزية زوجه فاطمة عما أصابها، فحدث من سوء التفاهم ما لا بد منه في هذا الموقف وصبر علي عليه السلام حتى دارت الأيام وأفضت الخلافة إليه، وحينئذ لم يجد من يصح أن يؤثره على نفسه، و وقف معاوية رضى الله عنه من الإمام موقفه المشهور، فكانت بينهما مناضلات ...».

وهذا الجواب جزئي بالنسبة إلى الاعتراض الأول، والنزاع ليس في ما تضمنه الجواب بل في ما تضمنه الاعتراض إذ في النهج تحامل على الشيخين وتعريض بعثمان تعريضًا ممجوجا كما سيأتي تفصيله (1)

أما الأجوبة الثلاثة فلم نوردها لظهور،ضعفها، ولذلك طوينا الأسئلة الثلاثة الباعثة لها، وجل غرضنا الاختصار ومن شاء فليراجع الأصل.

ويغلب على الظن أن نهج البلاغة تقبله المتسننون عن طريق الزيدية المحافظة على الحدود في الجملة ... ولو جاءهم من طريق المجاوزين للحدود لم يطمئنوا إليه؛ لتجرئهم على الكذب بلا قيد ولا شرط!

وانظر ما قاله صاحب العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء؟

1- ليت الملاح - عفى الله عنه - استفاد من نقده هذا لأنه هو أيضًا عرّض بعثمان! رضى الله عنه كما سيأتي فيا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليم؟

والمشايخ) (1) وهو زيـدي متحرر فتـح باب التحرر لمن جاء بعده؛ كمحمد بن عبدالوهاب والشوكاني والسـيد صديق خان والسـيد أحمد الباريلي (2) في القارة الهندية، تلاهم الأفغاني والشيخ محمد عبده والكواكبي (3) ... ومن إيران الشهيد السيد أحمد الكسروي (4).

قال رضوان الله عليه في ص 364: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي رضى الله عنه،كذبًا، وصدق ابن سيرين (رح) فإن كل قلب سليم وعقل غير.

1- صالح المقبلي رحمه الله. قال عنه الشـيخ المعلمي رحمه الله في الأنوار الكاشـفة»، (ص279): والمقبلي نشأ في بيئة اعتزالية المعتقد هادوية الفقه شـيعية تشـيعا مختلفا، يغلظ في أناس ويخف في آخرين. فحاول التحرر فنجح تقريبا في الفقه، وقارب التوسط في التشـيع. أما الاعتزال فلم يكـد يتخلص إلا من تكفير أهل السـنة مطلقا. وقال الصـنعاني في كتابه ذيل الأبحاث المسددة وحل عباراتها المعقدة»، (ص 117) تعقيبا على كلام للمقبلي في نفي الرؤيـة: ولا ريب أنه قرأ علم الاعتزال على شـيخه أول مرة حتى قرت قواعده في قلب خال فتمكنت ثم هـداه الله إلى النظر لكنه بقي على شـريف ذهنه من ذلـك غبـار ودخـان يطفو على ذهنه في بعض الأحيـان. وإلاـ فهو أحسن الناظرين إنصافـا، وأقلهم اعتسافـا، ولولاـ ذلك الـدخان لقال مثل قوله في سائر صـفات الرحمن: (إنه يؤمن بها ولا يتكيف حقيقتها، كما قال قريبا في بحث المحبة».

2- المتوفى عـام 1340 ه، مؤسـس طائفـة البريلويـة ذات العقائـد الشـركية والخرافيـة والمعادية لأهل السـنة. انظر لمعرفة حقيقتها: كتاب البريلوية – عقائد وتاريخ؛ للشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله فمن العجب أن يحشره الملاح هنا.

3- سبق أن الملاح متأثر بمدرسة الأفغاني وعبده العقلية»، والكواكبي يوافقهم في بعض الأفكار.

4- قتلته جماعة المدعو نواب صـفوي، الذي يعده بعض الدعاة – للأسف – من العاملين للإسـلام! انظر للمزيد عن الكسروي وتحوله من التشيع وسبب قتله: رسالة «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة؛ للدكتور ناصر القفاري، (2 / 218 – 226).

زائغ عن الطريق المستقيم، ولب تدرب في مقاصد سالكي الطريق القويم، يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله (1)، بمجرد الهوى ... وليتهم أوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، ولكن لم يبلغوا بها مصنفها! حتى لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره فلم يبلغوا بها الرضي ... ولو بلغوه لم ينفعهم، فإن مذهب الإمامية تكفير من لم يكن على مذهبهم ... وإن كان من أهل البيت كزيد!! انظر كتابنا (الوحدة الإسلامية).

:أقول فحسب النهج ما نقلناه عن الإمام المقبلي! وحسب شارحه ابن: أبي الحديد أنه من زملاء (أبي رغال) الإسلام ...

1- ربما سمعنا من دار الإذاعة العراقية عشرًا من القرآن الكريم يتلوه «عشر من نهج البلاغة وذلك في بعض المناسبات ... أما التواشيح المائعة التي هي من رواسب الإسماعيلية ... فيكثر إنشادها قبل القرآن أو بعده لالتماس البركة ... كأن بركة القرآن غير كافية!!. (منه).

طلائع الغزو!

لاحت طلائع الغزو ... يقودها اثنان من أبناء (الزين) من فصيلة صاحب (مجلة العرفان) (1)! وثالث من أبناء (الشرف) من فصيلة صاحب (جريدة الساعة) (2) المعروف السمت و (السمة) ... (محققان) ضعيفان و (طباع) متاجر ... هو صاحب دار الفكر في بيروت التي أصبحت (بابل) القرن العشرين ومعدن البلاء المبين و حبيب إسرائيل قريب!.

إنّا لا نحرّج واسعًا ... ولكنا لا نستطيع إخفاء تشاؤمنا من كتاب يذكرنا بسقوط عاصمة الرشيد بين أيدي المغول، إثر الفراغ من تأليفه باسم الوزير الخائن ...! فكأنه كان إرهاصًا لذلك السقوط الشنيع!.

ما ثمرة المسلمين؟ أو ما ثمرة العرب من كتاب ألفه (مذبذب) لا يستقر على مذهب!؟ بل يتحول ويتقلب في صفحة واحدة ... هو شافعي! هو معتزلي هو شيعي هو ظاهري هو باطني هو شعوبي! هو محقق! هو متملق! هو متحذلق ... إلخ يجمع هذه النعوت على اختلافها رفض مبرقع)، ربما لا يعتقده لكن يسنده ...! بداعي قول الشاعر:

1- الشيعي: أحمد عارف الزين له ترجمة في الأعلام (141/1).

2- جريدة الساعة صدرت في بغداد في حزيران عام 1943، رئيس تحريرها: صدر الدين شرف الدين.

تعالى الله يا سلم بن عمرو! *** أذلّ الحرص أعناق الرجال

إذا كان الكتاب يُعرف من عنوانه في جبهته، فشرح النهج يُعرف هو وصاحبه

من ديباجته وبراعة الاستهلال تدلّ على البراعة في ميدان الاستغلال!.

بعـد البسـملة!! الحمد لله الواحد العدل الحمد لله الذي تفرد بالكمال فكل كامل سواه منقوص!! واسـتوعب عموم المحامد والممادح فكل ذي عداه مخصوص واقتضت حكمته أن (نافس) الحاذق في حذقه فاحتسب به عليه من رزقه وزوى الدنيا عن الفضـلاء فلم يأخذها الشريف بشـرفه! ولا السابق بسـبقه! و (قدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف!! واختص الأفضل من جلائل المآثر ... بما يعظم عن التشبيه! ويجل عن التكييف

وصـلى الله على رسوله محمد المكني عنه شـعاع من شـمسه وغصن من غرسه وقوة من قوى نفسه، ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه واليوم إلى أمسه فماهما إلا سابق ولاحق) و(قائد وسائق) و (ساكت وناطق) (صلى الله عليهما) ...»!

إن هذه الديباجة (الغالية) لو تفرغ لشـرحها أو تشـريحها (غال) لاسـتحق أن يسـمي شـرحه لها شرح الديباجة كما سمي شرح السيد كاظم الرشتي (1).

1- كان السـيد المذكور حلقة اتصال بين الشـيخ أحمد الأحسائي زعيم الشـيخية وبين (الباب) زعيم البابية، ومن الغريب أن أحد الأدعياء احتـج علينا في ما احتـج بنمط من شـعر عبـدالباقي العمري، مع أن عبـدالباقي مدح الرشتي الذي يكفره ذلك الدعي! فكانت حجته فاسدة وبضاعته كاسدة!. (منه).

لقصيدة العمري (شرح القصيدة!!

وإن تعجب فاعجب لهذا الكاتب البليغ إذ أسند (المنافسة) إلى الله!! والتنافس إنما يكون بين الأقران!؟.

وبعـد! فإن مراسم المولى الوزير الأعظم صاحب الصدر الكبير المعظم العالم العادل ... (المجاهد المرابط) ... (عضد الإسـلام) ... (ابن العلقمي) نصير أمير المؤمنين ...

لما شرفت (عبد دولته) و ربيب) نعمته ... بالاهتمام بشرح نهج البلاغة على صاحبه أفضل الصلوات) ...»!؟.

«وبرهن على أن كثيرًا من فضوله داخل في باب المعجزات المحمديـة لاشـتمالها على الأخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشـرية ...»

هكذا كان يعتقد ابن أبي (الح) المعتزلي ... من محكمي العقل السديد!

ولم يمش مع طبيعـة النهـج بادئًـا بشـرح ديبـاجته على النسق المعروف بين الشـراح، بل نهـج نهجًا آخر بتعجيل بحث الإمامـة والتفضـيل وغيرهما من فروع (بيت القصـيد) الـذي هو أهم شـيء لـدى صاحب الـدست المغمور من جهاته الست ... وليكون قريبًا من نظر اطلاعه فيستغنى عن التصفح ...! وبذلك يستحق (المهر) المعجل) ... على طريقة (من أراد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)!!.

أما المهر المؤجل فسوف يستوفيه في الآخرة عند مالك!.

ولم ينفرد ابن أبي الح بمثل هذا فله إخوان وأعوان منهم سبقوا ومنهم

لحقوا ... كسبط ابن الجوزي (1) وابن الصباغ المالكي (2) وابن عقيل؟

1- يوسف بن قزغلي الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي، (ت 654 ه) قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (منهاج السنة)، (4 / 98): «يذكر في مصنفاته أنواعًا من الغث والسمين ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس، يصنف للشيعة ما يناسبهم؛ ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك؛ لينال أغراضه فكانت طريقته: الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أي مدينة ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأجل مداهنة من قصد بذلك من الشيعة ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم ...»، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (7 / 304): روى عن جده،وطائفة وألف كتاب مرآة الزمان «فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله؛ بل يجنف ويجازف؛ ثم إنه ترفض؛ وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق. قال الشيخ محي الدين السوسي: لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لا رحمه الله كان رافضيا». وقال - أيضًا - في «سير أعلام النبلاء»، (23) / 296): ورأيت له مصنفًا يدل على تشيعه» قلت هو كتابه «تذكرة الخواص»، تحدث فيه عن الأئمة الإثني عشر الذين يعتقدهم الرافضة، ثم خصص (ص 363 - 365) فصلا لذكر مهديهم محمد بن الحسن العسكري عنونه ب - : فصل في ذكر الحجة المهدي عليه السلام!

2- علي بن محمد بن أحمد الصفاقسي، (ت 855 ه)، له ترجمة في الضوء اللامع، (5) / 283. ألف كتابًا - احتفى به الرافضة - عنوانه الفصول المهمة في معرفة الأئمة»، تحدث فيه عن الأئمة الإثني عشر الذين يعتقدهم الرافضة قال في أوله (ص 3 - 5): وبعد: فعنّ لي أن أذكر في هذا الكتاب فصولاً مهمةً في معرفة الأئمة، أعني الأئمّة الاثني عشر الذين أوّلهم أمير المؤمنين علي المرتضى، وآخرهم المهدي المنتظر، يتضمّن شيئًا من ذكر مناقبهم الشريفة، ومراتبهم العالية المنيفة، ومعرفة أسمائهم،،وصفاتهم، وآبائهم وأمهاتهم ومواليدهم ووفاتهم، وذكر مدة أعمارهم، وأسماء حجابهم وشعرائهم ... وسمّيته بالفصول المهمة في معرفة الأئمة ... ولربّ ذي بصيرة قاصرة وعين من إدراك الحقايق حاسرة؛ يتأمّل ما ألفته، ويتعرّض ما جمعته ولخصته، فحملة طرفه المريض وقلبه المهيض إلى أن ينسبني في ذلك إلى الترفض ... قلتُ: ولماذا لا تتهم بمصانعة،الرافضة، وأنت تعقد فصلا في كتابك (ص 276 - 289) «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح ...»؟! ثم تنقل فيه عن أئمة الرافضة فهلاً اقتصرت على من ثبت وجوده»، وفضله؟

صاحب كتاب الفنون (1) وهو (حنبلي) ...! ...

ص: 126

1- قال سبط ابن الجوزي في كتابه السابق تذكرة الخواص»،(ص 290 - 291): وقال ابن عقيل: وممّا يدلّ على كفره - أي يزيد - وزندقته، فضـلًا عن سبه ولعنه؛ أشعاره أفصح بها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في التي قصيدته التي أوّلها: عليّة هاتي واعلني وترنّمي *** بدلك إنّي لا أحب التناجيا حديث أبي سـفيان قدمًا سـمى بها *** إلى أحُدٍ حتّى أقام البواكيا الاهات فاسقيني على ذاك قهوة *** تخيّرهـا العنسـي كرما شاميا إذا ما نظرنا في أمور قديمـة *** وجـدنا حلالا شـربها متواليا وإن مت يا أُمّ الأحيمر فانكحي *** ولا تأملي بعـد الفراق تلاقيا فإنّ الـذي حُدِّثْتِ عن يوم بعثنا *** أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا ولابد لي من أن أزور محمّدًا *** بمشـمولة صفراء تروي عظاميـا». قلتُ: سـبط ابن الجوزي لاـ يؤمن منه الكـذب والتكفير أمره عظيم. وإن ثبت هـذا عن ابن عقيل الله، فلا يُظن به أنه يوافق الرافضـة أو يُصانعهم؛ لأنه ممن رد على بـدعهم، وسـفّه مذهبهم الباطل ومن أقواله: الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بقول السلف، وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم، فكأننا نظرنا إذا نظر لنا من نثق بـدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها فما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى، فإن الاعتقادات الصـحيحة - سـيما في الأنبياء سيما في الأنبياء - توجب حفظ قوانينهم بعدهم، لا سـيما في أهليهم وذريتهم، فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذه بعده؛ خابت آمالنا في الشرع؛ لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم، والثقة بهم. (تلبيس إبليس: 2 / 605). وانظر أقوالًا أخرى له في هـذا نقد مذهب الرافضة، والدفاع عن الصـحابة، في رسالة آراء ابن. (731) عقيل الحنبلي في مسائل التوحيد؛ للأستاذ أيمن العنقري، (2 / 697 - 731).

وفي عصـرنا جمع لاـ يقـل عن هؤلاـء، منبثون في الأقطار الإسـلامية، متسترين بـدعوى (الوحـدة الإسـلامية) لاغتيال التوحيـد من قلوب الموحدين تشجعهم الإمداد الاستعمارية.

لم تسـبق لي مطالعة شرح النهج، وكنت مغرورًا باسم المعتزلة ككثير غيري من الباحثين. والمشهور عن المعتزلة أنهم يحكمون العقل، فلا بد أن يكون ابن أبي الح ... أحدهم نظرًا، ولكن الخبر كذب الخبر!.

فقـد اهتـديت فيما بعـد إلى أن المعتزلـة المتأخرين لم يثبتوا على منهاج المتقدمين؛ لأنهم بايعوا وشاروا وداهنوا وداروا وركضوا وراء الدنيا ركض الحملان وراء النعقة لا كما وصف المنصور العباسي أحد رؤوسهم السابقين (1) بقوله:.

1- هو عمرو بن عبيـد قال الـذهبي بعد أن حكى ثناء المنصور على عمرو بن عبيد المعتزلي - الذي أورده الملاح: «اغتر بزهده وإخلاصـه وأغفل بدعته»، سـير أعلام النبلاء: (6 / 105)، وقال ابن عدي: كان يغر الناس بنسـكه،وتقشـفه وهو مذموم، ضـعيف الحديث جدًا، مُعلن بالبدع» (الكامل (511/1) وأطال في أخباره. وقال ابن كثير في البداية والنهاية، (10 / 82) - معلقا على حكايته مع أبي جعفر المنصور - : لو تبصـر المنصور لعلم أن كل واحـد من أولئك القراء، خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيـد والزهـد لا يـدل على صـلاح؛ فإن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين. ويُنظر - أيضًا - : أخبار عمرو بن عبيد للدارقطني.

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد! غير عمرو بن عبيد!

ومنهم من ابتعد عن أبواب السلاطين، ولكنه لما اشتغل بغير فنه دلَّ على وهنه؛ كالزمخشري (جار العقل)!! فإنه في اللغة والبيان رفيع، ولكنه في نقل الأخبار بغير امتحان واختبار رقيع!.

لذلك يجب أن تُقرأ كتب أمثال هؤلاء في مثل هذا الموضوع بحذر! ومن حرم ملكة التمييز وجب عليه الابتعاد من آثارهم (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ) وإلا كان ممن (فَهُمْ عَلَى اثَرِهِمْ يهرعون)!! (1).

هذا نموذج من تحكيم العقل عند المعتزلة: إن صح خبر الطائر فعلي أفضل»!.

إن العقل يحكم بتمحيص الخبر أولاً ثم الحكم! لا بالحكم معلقا على الصحة!؟.

إن القناعة بصحة الخبر كافية لوزن العقل واختباره! فإذا ادعى رجل عقلا كان عرض الخبر عليه خير أداة لامتحان عقله!؟ ...

1- من هذا الباب ارتياد بعض المغفلين مجالس بعض الدجالين للاستماع إلى نيرانهم الكريهة، ومشاركتهم في البحث الذي يغدقه عليهم المستعمرون؛ كمبشر (مؤتمر بحمدون)!. (منه).

وخلاصة الخبر أنه أهدي إلى النبي عليه السلام طائر مشوي فدعا الله أن يأتيه بأحب خلقه إليه ... فجاء أبو بكر!فرده ثم جاء عمر فرده! ثم جاء علي فأشركه في أكله وعينا راوي الحديث تنظران (1).

إنه لا ينافي الطبيعة أن يُهدى إلى النبي طائر فينتظر من يشاركه فيه ويتفق أن يأتيه قريب أو صاحب ...

ولينظر في الحديث أين وقع مضمونه؟ أفي الدار، وهذا هو الغالب، والدار لا تخلو من أهل يستحقون المشاركة أم في المسجد؟ فالمسجد لا يرد عنه أحد! دع أنه لا يخلو من ناس يحفون بالنبي لشدة حرصهم عليه؛ فتأمل في هذه النواحي قبل أن تفتش عن السند!.

وهنا نكتة لطيفة: وهي أن الطائر برد بهذا الانتظار وذهبت لذته!؟.

بربك! ماذا انتفع المسلمون من قتل أوقاتهم بفاضل ومفضول وأفضل؟ ومتى تعبدنا الله بالتفتيش عن فاضل ومفضول؟ وإلام نخبّ في هذا الفضول؟ (2) ...

1- قال شيخ الإسلام في منهاج السنة، (7) / (371) حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل»، ثم أطال في رده.

2- بل تعبدنا الله بذلك، وذكره في كتابه وذكره رسوله عليه السلام، لإنزال كل صحابي منزلته، مع فضلهم جميعًا (رضى الله عنهم)، قال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتح وَقَتَل أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى)، وقال: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ)، وقال: (وَنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ)، وقال ابن عمر رضى الله عنهما: «كنا نقول ورسول الله رحمه الله حي: أفضل أمة النبي رحمه الله: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان - فيسمع: رسول الله رحمه الله ذلك فلا ينكره». وانظر للمزيد: رسالة «مباحث المفاضلة في العقيدة»؛ للدكتور محمد الشظيفي، (ص 211 - 308)، وأورد من الآراء الشاذة في هذا الباب: رأي من لا يرى المفاضلة بينهم، وأن الإمام أحمد سئل: يا أبا عبدالله أرأيت من قال: لا أفضل أحدًا على أحد؟ قال: هذا أحمق أليس قد فضل أبوبكر وعمر؟ ...». ومواجهة انحراف الرافضة في هذا الباب لا يكون بنفي التفاضل - كما فعل الملاح - على الله عنه.

ألا يكفينا أن نقول: كل من خدم تاريخ الإسلام فهو فاضل، وكل من خدم خدمة أفضل كان أفضل؟.

وإذا ضلت العقول على عد. م ...!

انظر ماذا يقول ابن أبي الح ...؟ وذهب كثير من الشيوخ إلى التوقف أن مذهب واصل وهو رأس وهو قول أبي حذيفة واصل بن عطاء ...» مع ان مذهب واصل وهو راس المنزلة، في علي معروف عند المؤلفين في تصنيف الفرق؛ كالبغدادي (1).

ولكن ابن أبي الح بعد طي ولي وتموج حلزوني ... يقول «أما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا من تفضيله عليه السلام». الضمير عائد إلى علي لا إلى النبي!.)

ص: 130

1- مآل مذهب واصل أنه لو شهد عنده رجلان أحدهما من جهة علي والآخر من الجهة المقابلة على باقة بقل لرد شهادتهما! أي لو كان قاضيًا!. (منه). قلت: انظر: «الفرق بين الفرق، (ص 120)، قال بعد أن ذكر رأي واصل: ومقالة واصل في الجملة كما قلنا في بعض أشعارنا: مقالة ما وُصلت بواصل * بل قطع الله به أوصالها»، وقال الذهبي عنه: كان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم»! ميزان الاعتدال: (329/4)، قال الدكتور ناصر العقل: «فانظروا إلى هذا الغرور والصَّلَف الذي أدى بواصل وأمثاله إلى الطعن في خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه وأحب الناس إليه عوذ بالله من الهوى (الجهمية والمعتزلة، ص 141)

ثم يداور ويقول: وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل؟ وهل المراد به الأكثر ثوابًا أم الأجمع لمزايا الفضل ...؟».

وكيف تستطيع أن تهتدي إلى الأكثر ثواباً؟ أم كيف تستطيع أن تهتدي إلى الأجمع من بين التلفيق الذي شحنت به المجلدات؟.

ثم يعوج فيقول: وليس هذا الكتاب موضوعًا لذكر الحجاج ...» كلا! بل أراد الفرار من الزحف!؟

وفي ص فأما القول في البغاة والخوارج ... أما أصحاب الجمل فهم عندنا هالكون ... وكيف ثبت عندك هذا الاختصاص؟

ولكنه يستثني فيقول إلا عائشة وطلحة والزبير فإنهم تابوا.»

ولنا هنا سؤالان: الأول: كيف تستثني الزعماء المتبوعين وتترك التابعين؟.

والثاني: كيف ثبتت عندك توبة الزعماء بعد أن غُلبوا؟ وبعد أن قتل بعضهم في الغمرة؟ أما كان خيرًا لنا أن نقول: الله أعلم بحال الفريقين وليس لنا منفعة في خوض المعمعة؟! (1).

وهناك سؤال ثالث: ماذا تعني بالتوبة؟ أتعني أنها من مجرد الوثوب في سبيل الزعامة؟ أم من معاكسة الإمام؟ لأن بين التفسيرين فرقا، ولكل وجه!.

إن كان يعني الشق الأول، فعلي سبق إخوانه إلى طلب الزعامة!، وإن كان.

1- بل نترضى عنهم جميعًا، ونعلم أنهم مجتهدون ونلزم قول ربنا: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا.

يعني الشق الثاني فالثلاثة أنداد،وأقران فلِمَ كان أحدهم حجة على الآخرين؟ دع أن معهما أم المؤمنين.!

ثم يقول وأمـا الخوارج فـإنهم مرقوا عن الـدين» ... فمـا حجتك على هؤلاء المساكين الـذين طلبوا الحق فأخطأوه أيصـح الاحتجاج بأخبار صنعت بعد وقوع الوقائع وما زالت تُصنع إلى قرون؟ (1).

وما سـمعنا عن الخوارج حديثا واحدا في علي مصـنوعا أو غير مصنوع ...! ولكنَّا سمعنا الكثير مما صُنع في الخوارج وغيرهم ... للدفاع عن أمير المؤمنين.

ومما قاله «إن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه هذا كلام،موجه ولكنه عام يحتمل ألف كلام!؟.

وأردف هـذا الحكم بقوله إن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشـبهة أو بغير شـبهة – كذا – فاسق وليس هذا مما يخصون به عليّا، فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمة العدل لكان حكمهم حكم من خرج على علي».

فنحن نسأله: ما رأيك في حال من تأخر عن مبايعة أبي بكر، وكاد يُحدث.

1- سبق رد الأستاذ الخطيب على الملاح في تعاطفه مع الخوارج، الذي ألجأه إليه بغضه لأعدائهم الرافضة. وهذا من مقابلة الغلو بغلو. وذم الخوارج جاء على لسان نبينا صـلى الله عليه و آله و سـلم، ولم يعذرهم في انحرافهم بل حث على قتلهم. انظر لذلك: «الخوارج: تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها؛ للدكتور غالب بن علي عواجي.

1- لم يتأخر علي عن مبايعة أبي بكر (رضى الله عنهما)، فهذا الخبر نقلته كتب التاريخ؛ كتاريخ الطبري (202/3 - 206) وابن الأثير في الكامل في التاريخ (325/2)، وغيرهم. ومعلوم أن أصحاب هذه الكتب لم يلتزموا صحة ما ينقلون فيها من أخبار، بل ينقل بعضهم الأخبار بأسانيدها، ويرى أن الذمة تبرأ بذكره السند. والصحيح الثابت أن الصحابة اتفقوا قاطبة على استخلاف الصديق. ففي صحيح البخاري (3668) من حديث عائشة الطويل في خبر البيعة لأبي بكر: فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس. وقال الحافظ ابن كثير لله: وقد اتفق الصحابة (رضى الله عنهم) على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير ابن العوام» البداية والنهاية 301/6). ولا يقدح في هذا ما ثبت في صحيح البخاري (4240 - 4241) من حديث عائشة (رضى الله عنها) أن عليا تخلف عن بيعة أبي بكر حياة فاطمة ولي (رضى الله عنها) ثم إنه بعد وفاتها التمس مصالحة أبي ثم بكر وبايعه معتذرا له بأنه ما كان ينافس أبا بكر في ما ساقه الله إليه من أمر الخلافة، لكنه كان يرى له حق المشورة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فإن العلماء المحققين ذكروا أن هذه بيعة ثانية لإزالة ما كان قد وقع بسبب الميراث من وحشة،من مبايعة علي لأبي بكر (رضى الله عنهما) في بداية الأمر: قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق بعض الروايات الدالة على مبايعة علي لأبي بكر في بداية عهده: «وهذا اللائق بعلي عليه السلام والذي تدل عليه الآثار من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصة بعد موت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وبذله له النصيحة والمشورة بين يديه وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت،فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها (رضى الله عنها) بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث، ومنعه إياهم ذلك بالنص من رسول صلى الله عليه و آله و سلم ... البداية والنهاية (302/6). وقال ابن حجر في شرح حديث عائشة: وقد تمسك الرافضة بتأخر علي عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة وهذيانهم في ذلك مشهور. وفي هذا الحديث ما يدفع حجتهم،، وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره: أن عليا بايع أبا بكر في أول الأمر، وأما ما وقع في مسلم عن الزهري أن رجلًا قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم، فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يُسنده، وأن الرواية الموصولة عن أبي سعيد أصح. وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى، لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم، وعلى هذا فيُحمل قول الزهري: لم يبايعه علي في تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده، وما أشبه ذلك. فإن في انقطاع مثله عن مثله ما يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته، فأطلق من أطلق ذلك، وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة (رضى الله عنها) لإزالة هذه الشبهة (فتح الباري 495/7). قلت: ويدل على هذا ما رواه البيهقي في سننه الكبرى (16315)، والحاكم في المستدرك (4457) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه: عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: لما توفي رسول الله عليه السلام قام خطباء الأنصار في دار سعد بن عبادة فجعل الرجل منهم يقول: (يا معشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان إذا استعمل رجلا منكم قَرَنَ معه رجلا منا. فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم، والآخر منا»، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك. فقام زيد بن ثابت رضى الله عنه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار وثبت قائلكم ثم قال: «أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم». ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه. ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر رضى الله عنه على المنبر، نظر في وجوه القوم فلم ير عليا عليه السلام، فسأل عنه، فقام ناسُ من الأنصار، فأتوا به فقال أبو بكر رضى الله عنه: ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟». فقال: لا تثريب يا خليفة رسول صلى الله عليه و آله و سلم، ثم لم ير الزبير بن العوامل رضى الله عنه فسأل عنه، حتى جاءوا به فقال: «ابن عمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟؟ فقال مثل قوله: «لا تثريب يا خليفة رسول الله». فبايعاه. ثم أورد البيهقي - بعده - : قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج، فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة، وقرأت عليه. فقال: هذا حديث يسوي بدنة». فقلت: يسوي بدنة؟ بل هو يسوي بدرة.

وغرضنا من جواب هذا السؤال المقارنة بينه وبين الحكم على مثل المغيرة

ص: 134

بن شعبة بإحباط عمله (ص4)، مع أن المغيرة نصح عليا ثم قعد عن المحاربة ... وكثير من الصحابة المعتد وكثير من الصحابة المعتد بهم لم يبايعوا ولم يحاربوا تحرجًا من سفك دماء المسلمين ... أفلا يكون أمثال هؤلاء قدوة للمغيرة، مع قطع النظر عن أنه من أندادهم!؟.

ولِمَ خصَّ عبدالله بن الزبير بأنه لا خير فيه، وهو لم ينفرد في حب الزعامة دع أن أباه حواري رسول الله كان أمامه!؟.

ومن أين جاء ابن أبي الح ... بمثل لا يُبغضك إلا منافق (1)؟ أبمثل هذا.

1- يشير إلى ما أخرجه مسلم (131) عن علي عليه السلام قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، قال شيخ الإسلام «وقول علي عليه السلام في هذا الحديث لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا: منافق، ليس من خصائصه، بل قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار وقال: لا يُبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، وقال: لا يُحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، وفي الحديث الصحيح - حديث أبي هريرة رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم دعا له ولأمه أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين قال فلا تجد مؤمناً إلا يحبني وأمي. (منهاج السنة: 497/4 - 498). وقال: إن علامات النفاق لا تختص بحب شخص أو طائفة ولا بغضهم إن كان ذلك من العلامات ولا ريب أن من أحب عليا لله بما يستحقه من المحبة لله فذلك من الدليل على أيمانه، وكذلك من أحب الأنصار لأنهم نصروا الله ورسوله فذلك من علامات إيمانه، ومن أبغض عليا والأنصار لما فيهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله؛ فهو منافق ... - إلى أن قال: وهذا مما يبين به كذب ما يروى عن بعض - الصحابة كجابر أنه قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلا ببغضهم علي بن أبي طالب، فإن هذا النفي من أظهر الأمور كذبًا، لا يخفى بطلان هذا النفي على آحاد الناس، فضلًا عن أن يخفى مثل ذلك على جابر أو نحوه. فإن الله قد ذكر في سورة التوبة وغيرها من علامات المنافقين وصفاتهم أمورًا متعددة، ليس في شيء منها بغض علي؛ كقوله: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) وقوله: (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعطوا مِنْهَا إِذَا هُم يَسْخَطُونَ)، وقوله: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ)، وقوله: (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّلِحِينَ)إلى قوله - : (وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ)، إلى أمثال ذلك من الصفات التي يصف بها المنافقين وذكر،علاماتهم، وذكر الأسباب الموجبة للنفاق. وكل ما كان موجبًا للنفاق فهو دليل عليه وعلامة له فكيف يجوز لعاقل أن يقول: لم يكن للمنافقين علامة يُعرفون بها غير بغض علي؟ وقد كان من علامتهم التخلف عن الجماعة؛ كما في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: أيها الناس حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس حيث يُنادى بهن؛ فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيه سنن الهدى، وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»، وعامة علامات النفاق وأسبابه ليست في أحد من أصناف الأمة أظهر منها في الرافضة؛ حتى يوجد فيهم من النفاق الغليظ الظاهر ما لا يوجد في غيرهم، وشعار دينهم التقية التي هي أن يقول بلسانه ما ليس في،قلبه وهذا علامة النفاق وفي الجملة فعلامات النفاق؛ مثل الكذب والخيانة وإخلاف الوعد والغدر لا يوجد في طائفة أكثر منها في الرافضة، وهذا من صفاتهم القديمة، حتى إنهم كانوا يغدرون بعلي والحسن والحسين وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: أربع من كن فيه كان منافقا خالصًا، ومن كانت فيه أنه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ... والمقصود هنا أنه يمتنع أن يُقال: لا علامة للنفاق إلا بغض علي، ولا يقول هذا أحد من الصحابة، لكن الذي قد يُقال ك إن بغضه من علامات النفاق؛ كما في

الحديث المرفوع: «لا يُبغضني إلا منافق»، فهذا يمكن توجيهه؛ فإنه من علم ما قام به علي عليه السلام من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، ثم أبغضه على ذلك؛ فهو منافق، ونفاق من يُبغض الأنصار أظهر؛ فإن الأنصار قبيلة عظيمة لهم مدينة وهم الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين، وبالهجرة إلى دارهم عز الإيمان واستظهر أهله، وكان لهم من نصر الله ورسوله ما لم يكن لأهل مدينة غيرهم ولا لقبيلة سواهم، فلا يُبغضهم إلا منافق منهاج السنة: 7 / 148 – 152). وقال – وهو من بديع ردوده على الرافضة، وقلبه الحجة عليهم! – وهكذا من أحب الصحابة والتابعين والصالحين معتقدًا فيهم الباطل؛ كانت محبته لذلك الباطل باطلة ومحبة الرافضة لعلي عليه السلام من هذا الباب؛ فإنهم يُحبون ما لم يوجد، وهو الإمام المعصوم المنصوص على إمامته الذي لا إمام بعد النبي عليه السلام إلا هو، الذي كان يعتقد أن أبا بكر وعمر (رضى الله عنهما) ظالمان معتديان أو كافران فإذا تبين لهم يوم القيامة إن عليا لم يكن أفضل من واحد من هؤلاء، وإنما غايته أن يكون قريبا من أحدهم، وإنه كان مقرًا بإمامتهم وفضلهم، ولم يكن معصوما لا هو ولا هم ولا كان منصوصًا على إمامته؛ تبين لهم أنه لم يكونوا يحبون عليّا، بل هم من أعظم الناس بغضًا لعلي عليه السلام في الحقيقة فإنهم يبغضون من اتصف بالصفات التي كانت في علي أكمل منها في غيره؛ من إثبات إمامة الثلاثة،وتفضيلهم، فإن عليا عليه السلام كان يُفضلهم ويُقر بإمامتهم؛ فتبين أنهم مبغضون لعلي قطعًا، وبهذا يتبين الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام أنه قال: إنه لعهد النبي الأمي إلي: أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ... فإن الرافضة لا تُحبه على ما هو عليه بل محبتهم من جنس محبة اليهود لموسى، والنصارى لعيسى، بل الرافضة تُبغض نعوت علي وصفاته، كما تُبغض اليهود والنصارى نعوت موسى وعيسى فإنهم يبغضون من أقر نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم، وكانا مقرين بها صلى الله عليهم أجمعين ... (منهاج السنة: 4 / 295 – 296). وقال الحافظ ابن حجر – دافعا شبهة الرافضة – : (الجواب عن ذلك: أن البغض ها هنا مقيد بسبب، وهو كونه نصر صلى الله عليه و آله و سلم؛ لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض، والحب بعكسه، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبًا، والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم؛ فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو أنه إله تعالى الله عن إفكهم، والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار، وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاقه، وبالعكس، فكذا يقال في حق علي، وأيضًا فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورًا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة؛ بخلاف من يوصف بالرفض، فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن عليّا عليه السلام قتل عثمان أو كان أعان عليه؛ فكان بغضهم له ديانة بزعمهم، ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي. تهذيب التهذيب:(18 / 458).

تقام الحجج؟ وكراهة المؤمنين على الإطلاق نفاق لا خصوصية هناك! فإن

ص: 136

كان لابد من خصوصية أفما كان من (العدل) الذي افتتح به الديباجة إشراك

ص: 137

أبي بكر وعمر اللذان بفضلهما عرفنا الإسلام ... ليرتدع (المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون).

يقول هذا المذبذب المتموّج المذهب في ص4 وتزعم الشيعة ...! أنه خوطب في حياة النبي بأمير المؤمنين، ولم يثبت ذلك ...»، يشير إلى أنه رجل يتحرى الصدق، بل أنه ليس شيعيا وبذلك أصبح ابن أبي الحديد خبث الحديد بين المتسننين والمتشيعين والمسلمون يتعوذون من الحبث والخبائث)!؟.

ثم يداور ويقول: إلا أنهم قد رووا ما يعطي هذا المعنى، وهو قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: (أنت يعسوب الدين) أو (يعسوب المؤمنين) (1) وكلا (يعسوب! الخبرين من وزن واحد فما الذي رجح أحدهما على الآخر؟.

والاستناد إلى مسند أحمد لا قيمة له في مواقف الحجاج؛ لأن مسند أحمد لم يعده العلماء في الصحاح، وهو يحتاج إلى غربلة واسعة ... وربما ه)

1- قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص 345) (رواه العقيلي عن ابن عباس مرفوعًا، وقال في إسناده داهر بن يحيى الرازي، كان ممن يغلو في الرفض، ولا يُتابع على حديثه، وابنه عبدالله بن داهر،كذاب، وهو الراوي عنه)

أراد – رحمه الله – غربلته قبل وفاته فلم يتيسر له وهو مشغول بنكباته ... وفي مسنده كثير من الروايات المائعة التي صارت فتنة لبعض المائعين ...! دع أنه أضيف إليه ما أضيف! (1) ...

ص: 139

1- هذا الأسلوب من الجرأة غير المحمودة من محمود، ومن إطلاق المجازفات كيفما اتفق؛ لأن مسند الإمام أحمد له قيمة عظيمة عند المسلمين، وعند أهل الحديث خاصة، وهو يحوي أكثر من 30 ألف حديث، لا يُستغرب أن 30 ألف حديث لايُستغرب أن يقع فيها أحاديث ضعيفة لا تؤثر على مكانة المسند عند من يحكمون بالعدل قال ابن القيم رحمه الله: «والإمام أحمد لم يشترط في مسنده الصحيح ولا التزمه، وفي مسنده عدة أحاديث سئل هو عنها فضعفها بعينها وأنكرها – ثم أورد نماذج منها ونقل قول الإمام أحمد لابنه عبدالله – : قصدتُ في المسند الحديث المشهور، وتركتُ الناس تحت ستر الله، ولو أردتُ أقصد ما صح عندي لم أرو من هذا المسند إلا الشئ بعد الشئ، ولكنك يا بني تعرف طريقتي في المسند لستُ أخالف ما فيه ضعف إذا لم يكن في الباب شئ يدفعه، فهذا تصريح منه الله بأنه أخرج فيه الصحيح وغيره – قال ابن القيم وليس الضعيف في اصطلاحه هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين، بل هو والمتقدمون يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف، والحسن عندهم داخل في الضعيف بحسب مراتبه وأول من عُرف عنه أنه قسمه إلى ثلاثة أقسام أبو عيسى الترمذي ثم الناس تبع له بعد» (الفروسية، ص 247 – 264 باختصار). وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في مقدمته لتحقيق المسند (1 / 79 – 80): ولا يغض من قيمة المسند كثرة الأحاديث الضعيفة فيه فإن عددًا غير قليل منها صالح للترقي إلى الحسن لغيره والصحيح لغيره ... وما تبقى منها فهو من الضعيف الذي خت ضعفه، ماعدا الأحاديث القليلة التي انتقدت عليه، وقال ابن حجر: «الحق أن أحاديثه غالبها جياد والضعاف إنما يوردها للمتابعات وفيه القليل من الضعاف الغرائب الأفراد أخرجها، ثم صار يضرب عليها شيئًا فشيئًا، وبقي منها بعده بقية»، (تعجيل المنفعة 1 /6). قلت: وأما دعوى الملاح أن في المسند زيادات من غير: / الإمام؛ فقد أجاب عنها العلامة الألباني في رسالته الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد، وخلاصتها أن زيادات ابنه عبدالله،قليلة ومتميزة كما أنها صحيحة وأما القطيعي فليس له إلا حديث واحد لم يتفرد به.

وأصل التلقب بأمير المؤمنين أن عمر رضى الله عنه لما تولى الخلافة بعد أبي بكر، وكانوا ينادون أبا بكر بخليفة رسول الله فماذا ينادون عمر؟ أيقولون: خليفـة خليفـة رسول الله؟ لما اسـتثقلوا هذا اللقب أنطق الله بعضـهم بقوله: يا أمير المؤمنين فاسـتحسن المسـلمون هذا التركيب وصار لقبًا لكل من وُليَ خلافة المسلمين.

وغار خصوم الخليفـة الثاني فأغاروا على اللقب وخصوه بالخليفة الرابع بعد مضـي نحو عشـرين خليفة، ولفقوا تحت ظل الدولة البويهية ما لفقوا ... الأـمر إلى أن قـالوا: إن كـل من تلقب بـأمير المؤمنين - غير علي – فهو المعني بقوله تعـالى: (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَـثا) أي هو مخنث أو (مأبون)! وممن استحق هذا النبز (المأمون) الذي بايع الرضا وهم لا يشعرون!؟.

إن أمثال هذه التوافه لا تستحق النقد، ولكنا اضطررنا إليه لنفضح المنطق الذي يضرب ابن أبي الحديد على سندانه!.

ومن التوافه مـا نلخصه بأن عليا كان يقول: عبـدتُ الله قبل الناس بسـبع سـنين ولم أقف على شـرح هـذا الخبر المائع حتى وقعت عليه في الشرح ص 5.

خلاصـته أن النبي – عليه الصـلاة والسـلام – أخـذ عليا إلى بيت خديجة تخفيفًا عن عمه من جهة المعيشة، وعمره ست سـنين، وكان النبي يتعبد قبل البعثة بسبع سنين وكان علي يشاركه في العبادة ...

أبمثل هذا المنطق تثبت الحقائق؟ من يستطيع أن يضبط لنا مدة مقدمات

النبوة؟ بـل المعروف أن النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم كـان يتعبـد في غار حراء، ولـم يُـذكر أن عليّا كان يصـحبه، ولو للحراسـة وظاهر الأحوال تـدل على أنه كان يفعل ذلك قبل البعثـة بقليل، وعلى تقـدير صـحة التلفيق، فما المنة على المسـلمين الذين اعتنقوا الإسـلام عن روية؟ وأي علاقة له بموضوع الخلافة؟ التي هي سياسة عامة فيها كل طامة؟!.

وكيف يسـتطيع الاهتداء إلى بدء طلائع النبوة من عجز عن إثبات الليلة التي قتل فيها علي، حيث قال قُتل علي لثلاث عشـرة بقين من شـهر رمضان سنة 40 وفي رواية لإحدى عشرة».

والـذي قال بالرواية الأولى توخى ليلى بدر والذي قال بالثانية توخى ليلة قدر! وهناك قول ثالث وهو ما جاء في تاريخ الخلفاء للسـيوطي (1) من التردد بين الحادية عشرة والسابعة عشرة.

وفي التنبيه والإشراف للمسعودي (2) أن ليلة بدر كانت التاسعة عشرة (ص 204).

والذي ينبغي المصير إليه أن البحث عن تعيين الليلة كان متأخرًا جدًا، أي إلى العصر الذي أنشئت فيه المآتم وهو العصر البويهي.

ومن الغريب أنا لا نجـد في قصة المتآمرين الثلاثة تعيين الليلة مع أتعادهم على ليلة واحدة، بل لا نجد فيها ريح رمضان وإنما نجد التعيين عند ذكر.

1- (ص 135).

2- (ص 220).

الوفاة كيف وقعت؟ وفيها التزيد الكثير على العادة!

وكتاب الأخبار الطوال للدينوري (1) صريح في أن التآمر وقع في مكة أيام الموسم، وأنه لمّا افترق المتآمرون توجه اثنان منهم نحو الشام ومصر وتوجه ابن ملجم إلى الكوفة ومثل هذه المؤامرة الخطيرة التي هي بكر في التاريخ لا تحتمل التريث كما لا تحتمل اشتغال ابن ملجم بخطبة قطام أو الرباب، القصاصون الذين يتأثرون ابن الكلبي الشعوبي في طريقته كما يزعم الكلبية (2).

ثم يقول ابن أبي الح: وقد كانت الروايات وردت أنه يُقتل ليلة بدر، فما قيمة العقل عند المعتزلة بعد الوثوق بأمثال هذه الروايات؟

ثم يذكر اختلاف أصحاب الحديث في تعيين موضع الدفن، فقائل أنه حمل إلى المدينة وقائل أنه دفن عند رحبة الجامع، وقائل عند باب قصر الأمارة أو ند البعير الذي حمل عليه.

ثم تكلف سلسلة مائعة إلا أنها كانت على العقل المعتزلي خشنة لم نوردها لطولها ... انتهى بها إلى أن عليا هو أستاذ المعتزلة ومعلمهم، ورد فقه الأئمة الأربعة بالتواء حلزوني إليه ... إلى أن قال: «أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر وليته وقف عند هذا الحد، بل استرسل فزعم أن عمر.

1- (213).

2- منهم المعروف عندنا بلقب (ص، ي)، أحد محرري رسالة الإسلام التي تصدرها دار التخريب لزرع سرطان النفاق على ضفاف النيل، وإعادة الكرة العبيدية على أرض الأزهر، ورجال الأزهر ساهون سادرون. (منه).

بن الخطاب أخـذ الفقه عن علي مسـتندا إلى حـديث مائع كعقل ابن أبي الح المائع ... وهو: لولا) علي لهلك عمر) (1) زاعمًا أن عمر قال هذه الكلمة غير مرة وأبلغها بعض المتحذلقين عدد (70).!

وما زال في هـذا (التبلتع) حتى بلغ ص 7 فزعم فيها أن علم الطريقـة وعلم الحقيقـة وأحوال التصوف ... إن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسـلام ينتهون إليه وعنده يقفون!! وسـرد على ذلك أسـماء يشـتبه في بعضها ... إلى أن قال ويكفيك دلالة على ذلك، (الخرقة) ...» يعني الخرقة الصوفية.

وهذه أشياء لا يعرفها الصدر الأول ولا يحسنها. وإنما أنماط هي مستعارة من ملل أجنبية لا يعترف بها الإسلام الأول.

وزعم إثر ذلك أن عليّا أملى على أبي الأسود علم النحو جوامعه.

1- قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (8 / 60 - 61) قال الرافضـي وإليه يرجع الصحابة في مشكلاتهم، ورد عمر في قضايا كثيرة قال فيها لولا علي لهلك عمر. والجواب أن يقال ما كان الصحابة يرجعون إليه ولا إلى غيره وحده في شيء من دينه، لا واضحة ولا مشكلة بل كان إذا نزلت النازلة يشاورهم عمر رضى الله عنه، فيشاور عثمان وعليا وعبد الرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى حتى يشاوره ابن عباس، وكان من أصـغرهم سـنّا، وكان السائل يسأل عليا تارة، وأبي بن كعب تارة، وعمر تارة، وقد سـئل ابن عباس أكثر مما سـئل علي وأجاب عن المشكلات أكثر من علي وما ذاك لأنه أعلم منه، بل علي أعلم منه، لكن احتاج إليه من لم يدرك عليا»، وقال (8 /:(62 وأما قوله: إنه رد عمر إلى قضايا كثيرة قال فيها: لولا علي لهلك عمر، فيقال: هـذا لا يعرف أن عمر قاله إلا في قضـية واحدة - إن صح ذلك - وكان عمر يقول مثل هذا لمن هو دون،علي قال للمرأة التي عارضته في الصداق: رجل أخطأ وامرأة أصابت».

وأصوله كذا!! من جملتها الكلام ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، ولم يقف عند هذا الحد بل أضاف إليه تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة وليته وقف عند هذا، بل أضاف إليه تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم قائلا: وهذا يكاد يلحق بالمعجزات»!.

وهكذا ينبغي أن تكون (معجزة) العقل المعتزلي! وعقل ابن أبي الحديد الحديدي!.

بل كان الناس محتاجين في عنصر علي إلى الشكل الذي يفرق به بين المفتوح والمكسور، والإعجام الذي يفرق به بين الصاد والضاد مثلا، لا إلى تقسيم الكلمة ...!.

وبعد أن هام في أودية قصص علمية هام في أودية (قصص بطولية) تذكرنا حينًا بقصة داود وجالوت وحينًا بقصة شمشون الجبار) ...!

ومن القصص (الإحسانية) أو (الفتوية) معاملته لأم المؤمنين، قائلًا «فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمَّمهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف ... فتأففت وقالت هتك ستري ...!ص 8

فكيف يجتمع الإكرام المرضي والإبهام المؤذي؟ ولعل هذه القصة شعبة مما نسبه إلى نفسه أو نسبه إليه جامع نهج البلاغة: «زعم ابن النابغة لأهل الشام أن في دعابة وأني امرؤ تلعابه ...».

أو ما يحكى عن عمر رضى الله عنه لما عُرضت عليه أسماء المرشحين للخلافة،

ص: 144

وهو يقاوم الألم، حيث قال في علي: إنه أهل لها لولا أن فيه دعابة! وقد نجد لهذه الدعابة أصلا تاريخيًا عتيقا ... كما جاء في كتاب إثبات الوصية المنسوب إلى المسعودي حيث قال (1):

ثم خرجت صفورا (امرأة موسى) على (يوشع)!!! وركبت (الزرافة)!.

فلما حاربت (حجة الله وظفر بها وأشار عليه بعض من معها بقتلها ... فقال لهم: قد عرّفني (موسى) أمرها ... وأمرني أن أحفظه فيها، فوكل بها نساء ملثمات ...» الخ!؟؟.

وقد تكلمنا على صفورا (بنت شعيب) التي حاربت (خليفة موسى وشغبت عليه وركبت ما ركبت في كتابنا الرزية في القصيدة الأزرية) (2) في المناسب فمن شاء فليراجعه ليفطن إلى ما ابتلي به المسلمون من الموضع أول تاريخهم.

وهاك نمطا آخر من عقل ابن أبي الحديد الحديد: بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون) والملائكة النصف الآخر».

ولو كنت مكانه لحذفت الكلمة المحصورة بين القوسين ليستقيم الوزن!! الحق أن نشر مثل هذا الكتاب في هذا العصر جناية على الثقافة الإسلامية! ولكن أين المسلمون الذين يشعرون أن الثقافة الإسلامية في خطر؟!.

1- (ص 65 - 66)

2- (2 / 170 - 174 ضمن مجموع السنة).

قـال: «أمـا الفصاحـة فهو عليه السـلام إمـام الفصـحاء وسـيد الخطبـاء، وعن كلاـمه قيـل: دون كلاـم الخـالق وفوق كلام المخلوقين. قال عبدالحميـد بن يحيى – كاتب مروان – الأموي حفظت سـبعين خطبـة من خطب الأصـلع ... (فغاضت) ثم فاضت. وقال ابن نباتة ... إلخ ص8.

فليتنا علمنا كم خطبة منها حفظ (أبو حيان التوحيدي) الذي ضعضع أركان النهج حتى ضج وعجّ.

وهو بعد كل هذه المزاعم يتنصل من التشيّع قائلا: «فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشـيعة من أن – عليًا عليا – تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن ص9.

تشاغل بجمع فنحن نسأل أصـحاب هذا الخبر المائع (1) ... أين صـار مـا جمعه علي؟ وكيف يلائم هـذا قوله على الإثر: وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجـدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه – كذا - كأبي كذا - كأبي عمر بن العلاء وعاصم بن أبي النجود، وهو الذي نقرأ بقراءته، وهي حجة على المتصنع الكذاب صاحب (فصل الخطاب).

قال في ص 6 «فأما فضائله ... فقد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشـتهار مبلغًا يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها ... وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ...»

.

1- أخرجه ابن سـعد في الطبقات (2/ 338) عن ابن سـيرين – مرسـلًا – . قال الحافظ ابن حجر: إسناده ضعيف لانقطاعه، وعلى تقدير أن يكون محفوظا؛ فمراده بجمعه حفظه في صدره. (فتح الباري: 9 / 13).

أقول: ليس في هذا حجة منطقية، فليس بدءًا أن يعترف الخصم لخصمه،وأمثلة ذلك كثيرة في الجاهلية والإسلام.

فمن أمثلته في الجاهلية: اعتراف عنترة لخصمه اللدود حيث قال:

ومدجج كره الكماة نزاله *** لا ممعن هربًا ولا مستسلم

وقال آخر:

ومحش حرب مقدم متعرض *** للموت غير معرد حياد

كالليث لا يثنيه عن إقدامه *** خوف الردى وقماقم الإيعاد

وهذا من أخلاق الأشراف، عكس الأجلاف الذين لا يعترفون لغيرهم بفضيلة بداعي الخصومة!؟.

ولنأت بأمثلة إسلامية: هذا ابن أبي الحديد أعترف أنا بفضله مع خصومتي له!؟

وفي عصرنا كثير ممن أعترف أنا بفضلهم، ولكني أخاصمهم!

فعلى الباحث أن ينظر في سبب الخصومة أولا، ولا يكتفي بالاعتراف للخصم! فقد يعترف الخصم من ناحية ولا يعترف من ناحية أخرى. والفضائل التي سردها لعلي لم ينفرد بها علي فإنّ أبا بكر وعمر بلغا من العظم والجلال والانتشار مبلغًا معه التعرض لذكرها. حسبك أن يسمج التعرض لمزايا هذين الرجلين ينتهي إلى الشك في الإسلام.

على أنه نقض دعواه بقوله إثرها: فقد علمت أنه استولى بنو أمية – شوكة الأعين على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة

في إطفاء نوره ووضع المعايب والمثالب عليه وتوعدوا مادحيه وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة ... إلخ التخليط.

فنقول له: فكيف وصل إليك نهج البلاغة الذي أغمضت عن تحقيق نسبته عينيك؟ ومن أين جاءك هذا الحشو) السخيف الذي حشوت به كتابك؟

إلى أن قال: وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي) ...»

فانتقل معي إلى ص 20 لتشهد معي 20 لتشهد معي أول نموذج من العلم الإلهي: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه،العادون»، وما نظن أحدًا سبق صاحب هذه الخطبة إلى وصف الله بالمدح بتأخير الحاء عن موضعها! إذ الجاري بين الناس وصف المخلوق بالمدح ووصف الخالق بالحمد!.

أما طنطنة: لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ...»؛ فهي بالنسبة إلى عصر الإمام، ليس لها محصول فالرضي رحمه الله لم يحسن التقدير مع أنه في اللغة والأدب والبيان على كل شيء قدير!

ومن هذا: الباب: وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ...».

فهل كان في عصر الإمام من يدرك كنه هذا الكلام المرصوف الذي ابتدعه المبتدعون، ثم ألصقوه بعلي لترويجه ... وكيف يسوغ الحكيم أن يخطب الناس بما لا يفهمون؟!

بربك! ماذا يقع في روغ السامع الذي لا يزال محتفظًا بفطرته إذا سمع

جملة (كمال الإخلاص نفي الصفات)؟؟ أمِنْ الإخلاص أن تجرد من أخلصت له من ملابسه فتتركه عاريًا يضع يديه على سوأتيه؟! (1)

واقرأ في ص 34 وصف الملائكة (العمالقة) بما يأتي: ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ...

إن مخلوقا هذه جسامته يجب أن تكون أقدامه على حسب جسامته، فانظر ما نسبة الأرض إلى تلك الأقدام؟ (2) إن هذا الإيراد يقع على ملك واحد، فكيف إذا تعددت الملائكة وبلغت ملايين الملايين؟.

قد يقال: إن ملك الله أوسع مما تقدر ولكن ألا يجب أن يكون التقدير على قدر؟ والله يقول: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ)، فلو أن مصورًا صور عملاقا برجلي صبي أو يديه أو عينيه أو أذنيه لعد هازلا.

وبدأ ص 10 بذكر سياسة علي قائلا: فإنه كان شديد السياسة خشنًا في ذات الله، لم يراقب ابن عمه ولا راقب أخاه عقيلا ... وأحرق قوما بالنار»،

وهم سلف ابن أبي الحديد وأضرابه ... وكان عليه أن يعتبر لا أن يفتخر!

بعده: وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة (3)، وتعظمه الفلاسفة، وتصور.

1- هذا سوء أدب وتجاوز في التعبير من الملاح، كما سبق التنبيه عليه في نقد الأستاذ الخطيب له وكان بإمكانه أن ينتقد نفاة الصفات بغير هذه الطريقة.

2- إنما جاء هذا الوصف من صورة الأرض في النظر الابتدائي! ولم يتعرض الشارح لتفسير هذه الجسامة، بل ضرب في طريق آخر ... وانظر الوحدة الإسلامية». (منه).

3- لم يمثل لهذا الضرب من المحبة! (منه).

ملوك الروم صوره في بيعها مع الأيقونات). فبخ بخ!

وإنا لنخشى أن يأتي يوم تصور فيه الأيقونات مع صوره.

بعـده: وما أقول في رجل أحب كل أحـد أن يتكثر به ... حتى (الفتوة) فإن أربابها نسـبوا نفسـهم إليه ... وعضدوا مذهبهم بالبيت المشـهور المروي أنه سمع من

السماء يوم أحد ...».

ولو أنهم نسبوه إلى يوم بدر لكان خيرا لهم، لأن يوم أحد كانت فيه الكسرة على المسلمين ولم ينفعهم البيت المسموع من السماء.

وإذا كـانت فتوة علي تسـتحق أن يتفتى بهـا الرجـال، فإن فتوة أسـماء بنت أبي بكر التي كانت تحمل الزاد إلى الغار ظاهرة غير ملتحفـة) ... تستحق أن تتفتى

بها النساء.

وبعد تهويش بداعي (مركب النقص) ... يأتي بهذه الفرية؛ وهي أن عليا عليه السـلام انه كان يقول عن نفسه: أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول) وأقل ما تدل عليه هذه الفرية أن أبا الحسن كان يشـره إلى ألقاب إخوانه فينتحلها، وليس ذلك مما يستحسـنه الذوق، وأحسن الألقاب ما خُلع على الإنسان، لا ما خلعه الإنسان على نفسه، فإن ذلك لا يخلو مما نجل الإمام الرابع عنه.

ومن الغريب أن يمر العقل المعتزلي الحديدي بمثل هذه السفاسف مرور الكرام ولا يقنع إلا بإسنادها إلى (أستاذ المعتزلة بزعمه، وهو علي بن أبي طالب البعيد عن سفاسف الأعاجم، وهو ذلك العربي الصميم.

وفي ص: 11 (القول في نسب الرضي)

ص: 150

مولده سنة 359، وكـان أبوه النقيب (أبو أحمـد جليل القـدر في دولـة بني العباس وبني بويه ولقب بالطاهر وولي نقابـة الطالبيين وتوفي عن 97سنة، وهو الذي كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك ما شرع في إصلاح أمر فاسد إلا وصلح على يديه، ولاستعظام عضد الدولة البويهي – أمره قبض عليه وحمله إلى القلعة بفارس ...» (1).

وفي ص 12: وكان الرضـي تنازعه نفسه إلى أمور عظيمـة يجيش بها خاطره وينظمها في شـعره ولا يجـد من الـدهر عليها مساعدة، فيذوب كمدًا ...

فمن ذلك قوله:

ما أنا للعلياء إن لم يكن *** من ولدي ما كان من والدي

ولا مشت بي الخيل إن لم أطأ *** سرير هذا الأصيد الماجد

يعني عرش الخليفة العباسي.).

1– من الأخبار الطريفـة التي وقعت لأبي أحمـد؛ ما جاء في كتاب تجارب الأمم لابن مسـكويه (6 / 371 – 376): من عجائب ما اتفق على بختيار – الديلمي – أنه كان أسـر له في واقعة مع ابن عمه عضد الدولة غلام تركي يعرف بباشكين ... فجن عليه جنونًا، وزعم أن فجيعته بهـذا – الغلام فوق فجيعته بالمملكة. وأنفذ أبا أحمد الموسوي رسولاً إليه في هذا الباب، وبذل له على يده في فدية الغلام جاريتين عوادتين لم يكن لهما،نظير وكان أبو تغلب بن حمدان بذل في إحداهما مائة ألف درهم ... – هكذا كان حال الدولة في ذلك العصـر والروم يهددونه البلاد!! ووافق – أو واقف – أبا أحمد العلوي على أن يبذل جميع ملكه إن دعته إلى ذلك الحاجة ... فجرت خطوات اسـتقرت على أن تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتواترت البشائر بحصول الغلام ...» بتلخيص. (منه).

وله قصـيدة حائية لم ينقلها ابن أبي الحديد برمتها قائلا: «وفي هذه القصيدة ما هو أخشن مسًا، وأعظم نكاية، ولكنا عدلنا عنه كراهية لذكره»، وليست تحت يدي لأنقل منها المس الخشن ولكن أذكر منها ما لو ساعد الدهر عليه لسبحت بغداد بالدماء!.

وفي 13: (وكان أبو اسحق الصابي – كاتب الدولة – صديقًا له ... فكتب الصابي إليه:

أبا حسن لي في الرجال فراسة *** تعودت منها أن تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك أنك ماجد *** سترقى إلى العلياء أبعد مرتقى

يعده بالخلافة ويجيبه الرضي بقصيدة طويلة

وهذه الأبيات أنكرها الصابي لما شاعت ...».

والذي يظهر لي أن الصابي كان يخادع الرضي وبذلك استطاع أن ينزع من حماسته المتأججة ذلك الرثاء المتأجج لأجنبي عن الملة:

أرأيت من حملوا على الأعواد؟ *** أرأيت كيف خبا ضياء النادي؟

واشتهرت قصة ت قصة مدح الرضي لبعض خلفاء بني عبيد بقصيدة مطلعها:

ما مقامي على الهوان وعند *** مقول صارم وأنف حمي

قال ابن أبي الحديـد: إن القادر بالله عقد مجلسًا أحضـر فيه أبا أحمد الموسوي وأبرز إليهم أبيات الرضـي، وقال الحاجب للنقيب: قل لولدك محمد أي هوان قد أقام عليه عندنا ...؟ فقال النقيب: أما هذا الشعر فمما لم

نسـمعه منه ... فقال:القادر: إن كان كذلك فليكتب الآن محضـرًا يتضـمن القدح في أنساب ولاة،مصـر، ويكتب محمد خطه فيه ... فامتنع الرضي وقال: أخاف دعاة صاحب مصر ... وأقسم أنه ليس بشعره ... وحلف أبوه ألا يكلمه، وكذلك أخوه المرتضى، فعلا ذلك تقية ص 14.

على أن الرضي مدح القادر في أول خلافته مهنئًا ومنوها:

شرف الخلافة يا بني العباس *** اليوم جدده أبو العباس

قال ابن مسكويه: ولقد صدق الموسوي في قوله إن القادر جدد معاهد الخلافة ...» ص 207 تج 6

وفي الهامش: كان الرضي يرشح – نفسه – إلى الخلافة وكان الصابي يطمعه فيها ويزعم أن طالعه يدل على ذلك»!!.

وفي ص 15: رؤيـا رآها المفيـد شـيخ الإماميـة تتعلق بتعليم الرضـي والمرتضـى حين كانا صبيين ... والرؤى كانت تكثر في تلك الأيام، وأبطالها من جنس معين.

ولا أتذكر فيما قرأته عن الرضـي شـيئًا يفيد أنه كان على مذهب المفيد والجزء الخامس من تفسيره حقائق التأويل لا يعدو أسلوب الكشاف، وربما أخذ صاحب الكشاف أسلوبه عنه، وكان ينوه في تفسيره باسم أبي الفتح بن جني: «شيخنا وصديقنا أبوالفتح النحوي ص3.

وراجعت الفهرست التفصـيلي من التفسير لعلي أعثر على اسم للمفيد في التفسير أو مقدمته الموسعة، فلم أجد له ذكرًا، وهذا يدل على أن المقدم أغفله.

ص: 153

والذي في وفيات الأعيان (1): وذكر أبو الفتح بن جني أن الشريف الرضي أحضر إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدًا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقته النحو وقعد معه يومًا، فقال له إذا قلنا: رأيت،عمرو، فما علامة النصب؟ فقال له الرضي: (بغض علي! فعجبوا من حدة خاطره».

وليس في الجواب ما يُعجب؛ لأنه مرادف للسؤال والجواب السديد: (الفتح)، فتأمل، وإنما يكون جوابه معجبًا لو كان السؤال: (فأي حالة من الحالات تجب لعمرو؟ الجواب: بغض على عليها السلام النصب وعلى وعلى كل؛ إن هذا الخبر إن لم يهدم خبر المفيد فهو مضعضع له وابن أبي الحديد نقل الخبر عن ابن معد العلوي، ويلوح لي أن خبر ابن جني أوثق، وإن لم يفطن لما لا ينبغي لمثله أن لا يفطن له.

وفي ص 18: تعجب الرضي وابن أبي الحديد معًا من اجتماع المتناقضات في علي: إفراط في إراقة الدماء وإفراط في الزهد وهذا مما يستحق التساؤل ويحتاج إلى خبراء!؟.

وأحسن حَكم في هذا الباب صاحب الشريعة الذي كان يحرض على الجهاد مع الزهد، فلننظر كم قتيلًا قتل على يد النبي؟ بل كم قتيلًا سقط في حومة الجهاد من كلا الفريقين في مدة عشر سنين؟ المشهور أن سبعين من المشركين قتلوا يوم بدر ومثلهم من المسلمين قتلوا يوم أحد ... وعلى المتتبع أن يحصى القتلى من الطرفين في جميع وقائع النبي، ولينظر الفرق بين النتيجتين.).

1- (4 / 416).

وفي ص 19: نقل عن ابن الجوزي في كتابه المنتظم: تذاكروا عند أحمد بن حنبل خلافة أبي بكر وعلي ... فرفع رأسه إليهم وقال قد أكثرتم! إن عليّا لم تزنه الخلافة ولكنه زانها وهذا الكلام دال على أن غيره ازدان بالخلافة.

أقول: إن صح الخبر (1) ولكن من ساق تلك الزينة إلى علي غير أبي بكر الذي استخلصها من أيدي الأنصار؟ وكادوا يستبدون بها (2) لولا أبوبكر ومن ورائه عمر، فلأبي بكر وعمر وأبي عبيدة الفضل على كل من صار خليفة من قريش وبني هاشم.

وفي ص 30: تفسير (همامة نفس الواردة في الخطبة - أسطورة الثنوية «أن النور الأعظم اضطربت عزائمه في غزو الظلمة فخرجت من ذاته قطعة وهي الهمامة، فاقتطعتها الظلمة من النور، وخرجت همامة الظلمة غازية للنور فاقتطعها النور ... ومازالت الهمامتان تتقاربان حتى انبنى منهما هذا العالم.

وقال في أثر هذا ولهم في الهمامة كلام مشهور واللغة العربية ما عرفنا فيها الهمامة، ولكنها لفظة اصطلاحية عند أهلها ...

1- لم أجده في (المنتظم»، ولا في غيره.

2- هذا من الظنون الكاذبة التي لم تخطر على بالهم (رضى الله عنهم)! إنما بادرهم لذلك خشية أن يبقى المسلمون بلا خليفة يلم شملهم، كيف وهم من مدحهم الله بقوله: (وَالَّذِينَ تَبَوهُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ ربرهم خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: 9] ولكن الملاح متأثر بظروف عصره.

والذي ينبني على هذا أن يقال: إذا كانت اللفظة غير عربية، وهي من مصطلحات الفلسفة الثنوية، فكيف جرت على لسان صاحب الخطبة، وهو علي بن أبي طالب أليس هذا يدل على أن الخطبة منحولة؟

لكن ابن أبي الحديد قطع الطريق على هذا الاعتراض بحديدة، حيث قال في أوائل الصفحة في معرض الرد على الثنوية: وهذا دليل على صحة ما يقال من أن أمير المؤمنين كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها!

فبأي عقل تستطيع أن تناقش العقل الاعتزالي المضروب به المثل (1)؟ وإذا كان صاحب العقل الاعتزالي على يقين من صحة الدعوى فلم أقحم بين ثناياها تعبير ما يقال)؟.

وفي ص 40 فائدة تاريخية:

وكان أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ أخو أبي حامد الغزالي قاصا لطيفا وواعظا مفوهًا وهو من خراسان من مدينة طوس، قدم بغداد ووعظ فيها وسلك في وعظه مسلكًا منكرًا؛ لأنه كان يتعصب لإبليس ويقول: إنه سيد الموحدين وقال يومًا على المنبر: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى»(2)! ...

1- كثر المغترون بالعقل الاعتزالي من الباحثين المعاصرين، ومنهم المرحوم الدكتور أحمد أمين مع خبرته ...! وهذا الادعاء نموذج منه. (منه).

2- عكس هذا ما يستفاد من رموز بعض المذاهب السبئية، وهو أن السجود لآدم مبني على اشتماله على سر علي أو حق علي! اشتفوا من هذا نعت عمر بإبليس، إذ أبى الخضوع لعلي! ولذلك تجد رسائل أخوان الصفاء تكثر الاستشهاد بآدم وإبليس ومن هنا نستطيع أن ندرك مغزى لجاجة بعض الأدعياء في إجازة السجود للأولياء! (منه).

إلى أن قال: وكان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد، وصار له بينهم صيت»، إلى آخر ما نقل عنه.

وغرضنا من هذا النقل: الاهتداء إلى حل المعضلة التي عليها اليزيدية من عبادة الشيطان أو تقديمه وإجلاله ... فقد حار المؤرخون فيها، ومن ينظر إلى أن أصل نحلة اليزيدية صوفية غالية، وفي المتصوفة من يقول بقول أبي الفتوح - إذ لا يعقل أنه انفرد به - يهون عليه فهم ما عليه اليزيدية! (1).

وهذا الذي يحملنا على مكافحة الباطنية التي رجعت بالموحدين إلى الوثنية (2) ...

1- اليزيدية فرقة نشأت سنة 132 ه، إثر انهيار الدولة الأموية، وقد كانت في بدايتها حركة سياسية، لكنها بعد ذلك انحرفت حتى وصلت إلى تقديس يزيد بن أبي سفيان، وإبليس الذي يسمونه: طاووس ملك، ومن أهم معتقدات هذه الطائفة: استنكار لعن يزيد بصفة خاصة واللعن بصفة عامة حتى لعن إبليس! بل إنهم يعظمون إبليس لأنه موحد عندهم حيث لم يسجد لغير الله لديهم مصحف خاص بهم اسمه الكتاب الأسود»، يقولون عند الشهادة: أشهد واحد الله سلطان يزيد حبيب الله الصوم عندهم ثلاثة أيام في السنة فقط تصادف ميلاد يزيد يصلون فقط صلاة واحدة في السنة ليلة النصف من،شعبان يجوز عندهم تعدد الزوجات إلى ست نساء يحرمون اللون الأزرق والخس والملفوف وحلق الشارب والقراءة والكتابة، يقولون بالحلول والاتحاد، ويقدسون المراقد والأضرحة، يحترمون الدين النصراني ويقبلون أيدي القسس ويحضرون العشاء الرباني، يُعَمِّدون أولادهم كما يفعل النصارى. توجد هذه الطائفة في أيامنا هذه في سوريا وتركيا وإيران وروسيا والعراق ولبنان، وبعض دول أوروبا. وللزيادة عنهم تُنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، واليزيدية عبدة الشيطان»؛ للشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحصين.

2- جاء في كتاب العلم الشامخ ومن فروع علمهم يعني المتصوفة بالملكوت أن الذي يطلع منهم على سر القدر يرى ما سبق له من المعاصي؛ فيأتيها موافقة لإرادة ربه؛ لأن الأدب يقتضي ألا يخالف مراده، ولهذا عذروا إبليس أنه فرح، وقال: اللعنة خلعة خصه الله بها، وأن التوقيت إلى يوم الدين، ثم يعود إلى مقام القرب، هكذا صرح به الجيلي ... قال: وصاحب هذا المقام يأكل معك ويحلف ما أكل، وهو مع ذلك بر صادق. (ص 465)، وفي (ص 372) منه ما يقارب هذا. (منه).

وفي أول ص 41: الكلمة المشهورة أول من قاس إبليس – (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) – وأول (عصبية) ظهرت عصبية إبليس.

اقول: ما أفسد حال هذه الأمة إلا قياس إبليس وعصبيته ... إذ عكفت على الاشتغال بفاضل ومفضول وأفضل، وفي ذلك مثار العصبية ... ومما نقله القرآن لنا للعبرة، قول اليهود في طالوت: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ)؟ فهذا نموذج من القياس الإبليسي والعصبية الإبليسية.

وفي ص 43 تعليق على قول الخطبة (المنسوبة): ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة ...» إذ عرض الشارح هذا السؤال: «إلى ماذا يشير بقوله (أو حجة لازمة)؟ هل هو إشارة إلى ما يقوله الإمامية من أنه لابد في كل زمان من وجود أمام معصوم؟ الجواب: أنهم يفسرون اللفظة بذلك، وأما القطب الراوندي فقال: وكل واحد من الرسل والأئمة كان يقوم بالأمر ولا يردعه عن ذلك قلة أوليائه ولا كثرة أعدائه، فيقال له: هذا خلاف قولك في الأئمة المعصومين فإنك تجيز عليهم التقية ...».

وما أدري كيف تقوم الحجة مع وجود التقية؟ كما لا أدري كيف يجب نصب الإمام على الله ولا يجب عليه إظهاره!!.

ص: 158

بعده على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله محمدًا ...».

وهذا يدل على أن صانع الخطبة كان على مذهب القائلين بقدم الإمامة وتوابعها ... وكنت أظن الرضي من المستقلين في آرائهم ... لاسيما أنه معتزلي في تحكيم العقل؟!.

إلا أن في تتمة الخطبة مواربة ... وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم.

فهذا التعبير يصح تأويله بالإمام كما سبق في تأويل حجة لازمة)، لولا أنه أبدل منه كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه، إلا أن يُحمل الكتاب على معنى الإمام، وهو أسهل شيء لديهم ... (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) مثلًا.

وكان أعجب ما في ص 45 قول الشارح: فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتحرج عن القبائح؛ كعبدالله وعبدالمطلب وابنه أبي طالب ... إلخ، وما المنافع من تسميتهم أئمة معصومين؟!

وفي ص 48: إيراد اعتراض لأرباب البيان على نهج البلاغة من جهة السجع، مستشهدين بخطب النبي، والرد عليهم، والاحتجاج بسجع القرآن، إلا أن أثر التكلف في نهج البلاغة محسوس، وقد قرأنا خطبًا لمعاصري علي فلم نجد فيها تكلفا ولا تنطعًا في الألفاظ والمعاني.

وادعى في آخر الصفحة أن أكثر خطب النبي مسجوعة، وإنما تصح هذه

الدعوى لو كان للنبي خطب مجموعة، وما إخال ذلك (1).

واستشهد في هذا المقام بخطبة نسبها إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم وما إخالها! (2) وهي:

«إن مع العز ذلا، وإن مع الحياة موتا، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسابًا، ولكل حسنة ثوابًا ولكل سيئة عقابًا، وإنه لابد لك من قرين يُدفن معك هو حي وأنت ميت فإن كان كريمًا أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك، ولا يُحشر إلا معك ...». إلى أن قال: وكذلك خطبه الطوال»، وهو مطالب بتصحيح النقل ...

1- بل نقل أهل الحديث مجموعة من خطبه صلى الله عليه و آله و سلم، وأورد نماذج منها ابن القيم في زاد المعاد (1 / 423 - 425)، قال في أولها: ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وخطب أصحابه؛ وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه؛ فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه؛ فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسومًا تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها». وانظر: «الخطابة الإسلامية،،أصولها تعريفها، عناصرها مع نماذج من خطب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؛ للأستاذين: عبدالعاطي شلبي وعبدالمعطي عبدالمقصود، وخطب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، دراسة دعوية»؛ للأستاذ سيد محمد بن محمد.

2- بل هي من أكاذيب الشيعة. انظرها في بحار الأنوار»، (م15 ج 2 ص 163)، والبرهان؛ للبحراني (4 / 87).

والخلاصة أن الكلام المصنوع يشهد على نفسه بالصناعة عند أهل: الصناعة ولكن ابن أبي الح – الذي هو في نظرنا من فحول الصناعة – تغافل طلبًا للدنيا التي لم يدركها إلا على شفا جرف انهار به وبمخدومه ... إثر دخول هولاكو بغداد.

وأنا آتيك بنموذج من كلام البلغاء العاري من الكلفة، أورده الشارح في ص 47، حيث قال:

عمر بن ذر الهمذاني، لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة وقال مودعًا للبيت:

ما زلنا نحل إليك عروة ونشد إليك أخرى ونصعد لك أكمة ونهبط أخرى، وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى، حتى أتيناك، فليت شعري بم يكون منصرفنا؟ أبذنب مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة، فيا من له خرجنا وإليه قصدنا وبحرمه أنخنا، ارحم يا معطي الوفد فقد أتيناك بها معراة جلودها ذابلة أسنمتها، نقبة أخفافها ...».

وانظر إلى نباهة هذا القائل حيث واتته السجعة، وهي كلمة (نقمة) الموازنة لكلمة (نعمة)؛ فأعرض عنها لغرض بياني.

وانظر إلى الاستعطاف الذي تحمله: معراة جلودها، ذابلة أسنمتها ...) أين الكلام الطبيعي في الكلام المصنوع الذي إن صحت عبارته لم تصح إشارته؟.

مثل: هم ... موضع سره وعيبة علمه وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه ...».

ص: 161

ومثل: «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة، أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمته عليهم أبدًا».

يقال على الشق الأول: إن لفظ الآل يشمل جميع بني هاشم على أقل تحديد ومنهم بنو العباس دع أن الآل الطبيعي يشمل جميع قريش!.

ويقال على الشق الثاني: ما سندك في هذا المقام؟ وتحقيق النعمة كان مشتركا بين آل محمد وغيرهم كما أن مقاومة تلك النعمة كانت مشتركة - ، فلا مجال للاستئثار.

ثم إن آل محمد فيهم الصالح وفيهم الطالح، وفيهم المستقيم وفيهم المعوج كغيرهم، وفي آل محمد من لا يرضى عنه آل محمد! كزيد الذي كفرته الرافضة، وهو أخو الباقر وعم جعفر! وأبناء جعفر تنابذوا وتنابزوا على لفظة الإمامة! فقد شهد بعضهم على بعض، وكفى بالله شهيدًا.

وبعد الغلو في المنة يقول: «إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي» أي أنهم وسط يرجع إليهم السابق ويلحق بهم المتخلف، وهذا يحتاج إلى تحديد والتحديد مستحيل مع العلل السابقة والسبق والتخلف أيضًا لا يمكن تحديدهما؛ لأنهما أمران نسبيان فالسبق تخلف بنسبة، والتخلف سبق بنسبة.

دع أن أصل الدعوى لا يستند إلى برهان أصيل في نظر أهل التحصيل. إلى أن يقول: (ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة ...) إلخ.

ص: 162

فسر الفقرة الأولى بزعمه بأن لهم خصائص حق ولاية الرسول على الخلق، فأين هو من قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) على سبيل العموم (1).

وإن تعجب فاعجب لهذا العالم (المتجاهل) حيث يقول في ص 53 معلقًا: أما الوصية فلا ريب عندنا أن عليا كان وصي رسول الله، وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد.

ثم وارب فقال: ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة، ولكن أمور أخرى ...».

فقد نسب العناد إلى من وافقهم في دعوى فقدان النص، فمن أين جاءت وصمة العناد إذن؟.

إنه يقول: جاءت من أمور أخرى ... فما الأمور الأخرى؟ والأمور الأخرى على تقدير صحتها ... لا تعدو استحقاق علي الخلافة، وهذا ما لم ينكروه ... إنما أنكروا وجوب السبق، فأي عناد فى هذا، والنص على السبق مفقود.؟.

على أن دعوى وجوب السبق ما تضخمت إلا بعد فشل علي في سياسته (2) ولو لا فشله في سياسته لما كان للدعوى ذكر! كما أنه لولا فشله.

1- تجرأ بعضهم على تحريف لفظ (أمة) بلفظ (أئمة)! (منه).

2- هذه جرأة من الملاح عندما يتهم عليا رضى الله عنه بالفشل في سياسته وهو رضى الله عنه من كان على الحق، وعمل - جاهدا - بالكتاب والسنة، وأما كون النتائج لم تأت بما يُريد، فلا عتب عليه في هذا؛ كما قال تعالى: (وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ)، وحق له أن يقول:لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه. وقد سبقه لمثل هذا الطعن في سياسة علي عليه السلام: المعتزلي «النظام»؛ كما في نهج البلاغة، (2 / 349 وما بعدها)، وتبعه على هذا بعض المعاصرين - للأسف.

لم نسمع بنغمة فاضل ولا مفضول ولا أفضل ولا غاصب ولا ناصب ...

وتأخر علي ما كان ضائره لولا أمور أخرى غير الأمور التي زعمها الشارح، إذ لم تأته الخلافة وهو واهن العظم فيقال: (وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل)، بل جاءته وهو أقوى ما يكون وأنضج ما يكون ... ولكن هناك أمورًا أخرى لابد لنا بها ...

وضاعف تجاهله حيث قال: (وأما الوراثة؛ فالإمامية يحملونها على ميراث،المال والخلافة، ونحن نحملها على ميراث العلم.

وليس لهذه الوجوه الثلاثة أساس، أما ميراث المال فلم تجد له وجها في علم المواريث وما ندري كيف قالوه؟ وأما الوجه الثاني، فالأمة شركة فيه كما سبق، وكذلك الوجه الثالث؛ لأن التبليغ كان عاما لا اختصاص فيه.

وعلق على دعوى الخطيب أن الحق رجع إلى أهله بقوله: إنه كـان أولى،وأحق لا على وجه النص بل على وجه الأفضـلية، فنقول له: من أين جئت بالأفضلية؟ وإنما أصل الفتى ما قد حصل! ثم تعلق بمزعم بارد: لأن العرب،حسدوه فكيف بايعوه فيما بعد؟ (1).

وبلغت القحة بمن صلب خده كحديد أبيه ... أن قال: «فإن قيل: لاريب.

1- من المزاعم البـاردة: دعوى الثـأر! وهي دعوى مفقودة بالنسـبة إلى الأنصـار، وأمـا المهاجرون فكانوا شـركاءه في كل ما صـدر عنه، فلمَ اختص به دونهم؟ (منه).

أن كلامه هذا تعريض بمن تقدم عليه، فأي نعمة له عليهم؟».

أجاب بما يلي:

قيل: نعمتان الأولى منهما الجهاد عنهم وهم قاعدون، والثانية:: علومه ...» يعني علومه التي لا تنتهي ... والجواب على مثل هذه الدعوى لا ينتهي فخير لنا أن ننتهي!!.

ثم شحن أكثر من ثلاث صفحات يشعر مضاف أو مضاف إليه ... وكله لا يغني فتيلا، وإن ملأ قبيلا ...!

قال لي بعض أذكياء الشيعة في حديث جرى بيني وبينه، وهو شاب يجمع إلى الأدب والدراسة حسبًا ونسبًا ...: إن هناك ثلاثة أشياء أصبحنا لا نعبأ بها قضية أبي بكر وعمر وقضية نهج البلاغة. أما القضية الثالثة فلا أود ذكرها عنه؛ لثقل وزنها عند أربابها، وإن كنت لا أرى لها وزنًا لفراغها ...!

سوى أنه استثنى من نهج البلاغة الخطبة المعروفة بالشقشقية! (1) ولم.

1- وهي أهم خطبة من خطب نهج البلاغة عند الشيعة؛ لما فيها من ادعاء أن الإمامة كانت لعلي عليه السلام دون غيره ومافيها من تعريض بالخلفاء الراشدين(رضى الله عنهم)، وهذا نصها: «أَمَا واللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافه وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى؛ فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا، أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابن الخطاب بَعْدَهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى): - شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا *** ويَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ فَيَا عَجَبًا بَيْنَمَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، ويَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا والاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَدَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسِ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ وتَلَوُّنٍ واعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وشِدَّةِ الْمِحْنِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلَّهِ ولِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ ومُعْتَلَفِهِ، وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ، مَا رَاعَنِي إِلَّا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وقَسَطَ آخَرُونَ؛ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ولا فَسَادًا وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، بَلَى واللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا، ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وزَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِفَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ؛ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، ولَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»، قَالُوا: وقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا قِيلَ إِنَّ فِيهِ مَسَائِلَ كَانَ يُرِيدُ الْإِجَابَةَ عَنْهَا، فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوِ اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ، فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ: قَرَّتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَسَفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ». قلتُ: قد أتى الشيخ علاء الدين البصير على هذه

الخطبة المكذوبة بما يبين حقيقتها – سندًا ومتنا – في كتابه المهم: أسطورة الخطبة الشقشقية»، وتحداهم قائلًا (ص 10): «أقولها وكلي ثقة وبقلب واثق، وقدم راسخة، وبضرس قاطع متحديًا علماء الشيعة جميعًا، وبلا استثناء أيا كانوا، مراجع، آو آيات، محققين، أو مفكرين، وأينما وجدوا في حوزة،قم، أو النجف، أو كربلاء، أو الزينبية، في مشارق أرض وفي مغاربها، إنكم لن تجدوا لهذه الخطبة إسنادًا واحدًا صحيحًا يُثبت أن سيدنا علي عليه السلام قد خطب بهذه الخطبة، أو تفوه بمفرداتها، ولن تستطيعوا ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا، ولو اجتمعت معكم الإنس والجن من العثور على هذا الإسناد، والله على ما أقول وكيل وحفيظ وشهيد. وكان من حُسن صنيعه أنه ألزم الشيعة وأحرجهم بمافي الشقشقية مما يُصادم عقائدهم! قال – باختصار – : 1 – ففي الخطبة أن عليا عليه السلام يقر بانتفاء وجود نص على إمامته بقوله: فسدلت دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا، فقضية الإمامة والخلافة لم تكن مبنية على نص معلوم، ولم تكن مطلوبة بناءً على أدلة قرآنية أو حديثية، وإنما هو رأي رآه علي في نفسه، واختاره لها بأن اعتبر شخصه هو المؤهل لاحتلال هذا المنصب، ولتقلد مهام هذا العمل، ونظر إلى مرجحات تجعله أحق من غيره في هذا الأمر، ولكنه عندما لم تتحقق له هذه الرؤية، ولم تجر الرياح بما تشتهيها سفنه؛ رضي بالأمر الواقع، وقبل بما قبله المسلمون، وصرح بما يدل على هذا القبول والسكوت بمقالته هذه عندما بين أنه قد غطى رأيه هذا ونحاه جانبًا، مُبعدا إياه عن ساحة الشهادة، ومُضمرًا له في الوجدان، فلو كان بحق منصوصًا عليه؛ لما حق له ان يطويها ويبعدها جانبًا عن واقع الناس. 2 – وفي الخطبة: قبول علي عليه السلام بالشورى في أمر الخلافة، لأنه أثبت صحة خلافة من قبله ومن بعده؛ بقوله: لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فهذه العبارة تدل بصراحة ووضوح تام على أن علي عليه السلام وفقا لنظرة الشيعة؛ كان أحد المشاركين في إضلال الناس، وإبعادهم عن الطريق المستقيم، والحق الذي ينبغي أن يثبت ويترسخ في أذهان الناس وقلوبهم، بالتماشي معهم في تنفيذ مخططاتهم، وفي الخضوع والتسليم لجميع مقرراتهم وأحكامهم، فهو عندما أطلق هذه العبارة أطلقها في معرض بيانه لتبرير دخوله ضمن الستة أصحاب (الشورى) الذين اختارهم عمر رضى الله عنه، فلو كان علي عليه السلام يرى أن الحق في نص الله على إمامته وتنصيبه له بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لما قبل أصلا الدخول في هذه؛ العملية، ولتنازل عنها على الأقل، إن لم يجابهها ويبين للناس بطلانها، بإعلانه في صراحة ووضوح أنه الإمام المنصوص على إمامته، وأن هذه الأفعال التي يقوم بها غيره،باطلة ومخالفة للدين. 3 – أن عليا عليه السلام أثبت في الخطبة أن بيعة الناس له ونصرتهم واختيارهم هو دليل إمامته لا النصوص، وذلك بقوله: لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم؛ لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس أولها، فهو لم يعلق ذلك بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة والمقررة، وإنما جعل قيام الحجة منوطا ببيعة الناس،له واختيارهم له للخلافة، ولحضور نصرتهم له في هذا الشأن، ولتحقق إسنادهم لإمارته وخلافته ...».

أنازعه في دعواه؛ لأن المجال كان ضيقًا، ولأني لا أحفظ من الشقشقية إلا: شقشقة هدرت ثم قرت)! وإلا: (ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير)!

ذكرني بهـذه المحاورة وقوفي على عنوان الخطبة الموسومة بهذه السـمة حيث جاءت نوبتها ص 58، ودخلت في ثناياها ومسـحت زواياها فوجـدتها ترجع في جملتهـا وتفصـيلها إلى دائرة أنـا لاـ غيري ...! وجهـدت أن أرجعها إلى دائرة الفقه الإسـلامي، أو المنطق اليوناني، فلم أفلح؟.

أما نسـبتها؛ فهي أشـبه أن تكون مطبوعة بالطابع العلوي، بجامع الفحولة بين: اللفظ واللافظ! إلا أنها لا تخرج عن كونها عاطفة محتدمة غير مرعي فيهـا مناسـبة معقولـة، إذ أي مناسـبة بين الراهن الـذي كان يشـكوه الخطيب وبين الرجوع إلى أكثر من ربع قرن ليقول: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ...».

ولولا ابن أبي قحافة ما دارت تلك الرحى ولا شم القطب رائحتها.

ص: 168

فلو أصر الأنصار على الإباء ماذا كان يصنع الآباء؟ هل كان هناك غير الانشقاق يقع بين المهاجرين والأنصار؟ هذا على تقدير أن المهاجرين يلتفون،حوله، وهو شيء غير مضمون فماله رفض المضمون، وتعلق بغير المضمون؟ والواقع يدل على أنه لم يكن مضمونًا؟!

ولنفرض أن أبا بكر اعترف للخطيب بالقطبية، أيظن أن سائر الناس يتابعونه على الاعتراف؟ فما هذا الظلم لأبي بكر؟

فسدلت دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا ...»، فكيف نجمع بين الطمع والتعفف؟ وقد سبقت دعوى الزهد المفرط.

فصبرت وفي العين،قذى وفي الحلق شجا، وأي غبن لحق الخطيب حتى يغمض على قذى وينطوي على شجا؟ وهب غبنا لحقه، فليس من شأن الزاهد متابعة التشكي والتوجع ... لا سيما بعد أن زال الغبن ورجع الحق إلى أهله ...!.

أما قول الخطيب أرى تراثي نهبًا فيدل على أن القائل كان يتوقع ملكًا مخلفًا ...! ولو كان التراث إمامة محضة لم تثر هذه الحماسة!

إن التشكي من مثل طلحة والزبير وعائشة ومعاوية كان له وجه؛المزاحمتهم له على شيء ناله ... ولكن ما وجه التشكي من أبي بكر الذي ضمن الخلافة للمهاجرين إلى يوم الدين، ولولا كياسة أبي بكر ومعاضدة عمر لتولت عنهم إلى غير حين والله يقول: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُم).

إن اللهج بدعوى (أنا لا غيري) أضـرت بصاحبها كثيرًا، وأضرت بذريته كثيرًا، وأضرت بشيعته كثيرًا ... هذا على وجه الخصوص، وعلى وجه العموم أضرت بالمسلمين ضررًا غير محدود.

فيا عجبًا! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته» ص 63.

لو كان هذا لغرض شخصي لقلنا نعم، ولكنه كان لمصلحة عامة، فسرها،برغم أنوف المنكرين الواقع الذي لا يستطيع ذو حس إنكاره! (1).

فأي قيمة لدعوى لشد ما تشـطرا ضـرعيها؟ وما الذي تشطراه من ضرعيها ليت شعري؟ ليت مفسرًا فسر لنا ما تشطرا بل أدرا الضرع لمن جاء بعدهما ... فمنهم من حلب،وشكر، ومنهم من حلب وأنكر.

فصرت على طول المدة وشدة المحنة، فمن أين جاءت هذه المحنة؟ خارج أم من داخل؟.

حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم (2). فيا لله للشورى ...! حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ص 71.

لأنه لا يريد أن يكون له نظير ...! وكل هؤلاء يرى أنه كذلك، فما صورة الحل والرّجل في الرِّكاب؟ هل هناك غير طريقة الشورى.

إنه ما كان يرضي عليًا إلا أن يقول له:عمر أنت الخليفة من بعدي.

1- انظر بحث الغربان والبازي فى كتابنا: حقيقة إخوان الصفاء). (منه).

2- انظر (حقيقة إخوان الصفاء: قصة الحمام البري والعقعق ثم قصة الثعالب والأسد. (منه).

وأستغفرك) ... إذ غصبتك حقك أنا ومن قبلي؟؟ ثم ما ندري ماذا كانت تكون النتيجة؟؟ فما لنا نتعلق بما لم يقع، ونرفض ما وقع؟.

ولقد كانت أيام عثمان من خير الأيام لولا عثرات وضعها الحسدة في طريقه ... حتى إذا (برك) تراكمت عليه السكاكين ... فكان نحره طعنة في النحور إلى يوم النشور.

ولكن الرابع أبى إلا أن يقول إلى أن قام ثالث القوم نافيًا حضنيه بين نثيله ومعتلفه ...» ص 77.

وما نشأ عثمان رضى الله عنه في جوع، حتى يكون حديث نعمة تبطره وتجعله (نافجًا حضنيه) فيعيّره خلفه بالمعتلف و(النثيل)!!.

هذا ما جرى به القلم على المتن فلنتظر بماذا جرى القلم الشارح القارح؟

من غرائب ابن أبي الح ... هذه الرنة: وقوله عليه السلام - في المتن - متى يلقى ربه بالوقف والإسكان كما جاءت به الرواية في قوله سبحانه: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُمُ) بالوقف أيضًا ص 60.

فهل مثل هذا التعلل مما تجري به أقلام العلماء؟ وما عسى أن نقول في عالم ينص على إسكان كلمة بعينها وقعت في فاصلة؟ فما حكم بقية الفواصل؟ وما معنى النص على الوقف بعد أن يكون الوقف، قياسًا مطردًا لا يمتاز عن بقية الوقوف؟.

وكأنه أراد أن يقارن بين أسلوب الخطيب وبين أسلوب كتاب الله فأخطأ

المرمى، والله أعلم بما رمى!.

ثم أورد ابن أبي الحـ ... في هذه الصـفحة اعتراضًا للشـيعة ظنوه مفحما، وهو بينوا لنا ما عندكم في هذا الكلام أليس صريحه دالا على تظليم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر؟ فما قولكم فى ذلك؟ إن حكمتم عليهم فقد طعنتم فيهم وإن لـم تحكموا عليهم فقد طعنتم في المتظلم.

وأنا أجيب عليه قبل إجابة الشارح::أولاً: إن الخبر ككثير من الأخبار التي تتعلقون بها ليس مقطوعا به عندنا (1).

ثانيًا: إنا لا نعد التخطئة لغير النبي طعنًا! أما أنتم فتعدونها طعنًا لقولكم بعصمة غير النبي.

وكان جواب الشارح ما يلي:

أمـا أصـحابنا رحمهم الله – يعني المعتزلـة المتـأخرة – فلهم أن يقولوا: إنه لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل والأحق ... ساغ إطلاق هـذه الألفاظ ...».

أما نحن فلا نقول ذلك، بل نقول: إنه لما كان أمير المؤمنين يرى نفسه. إلخ، وإن كان أصحابنا لا يرضون بهذا على إطلاقه ...!.

ثم قال: ألا ترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر، فيجعل السلطان الأنقص علمًا،قاضيًا، فيتوجد «الأعلم ...

1- بل هو كذب؛ كما سبق.

أما نحن فلا نتكلف مثل هـذا التقدير لا سـيما أن فيه مشا للأعلم بما لا يليق لأن الأعلم يجب أن يكون،أعلم وفي الحديث: «تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم (1)، فكلما زاد العلم زاد الحلم.

نعم يجوز أو يجب للأـعلم أن ينتقـد تقـديم غيره عليه في القضاء إذا وجـد فيه خللا، ولا تسـتطيعون ادعاء الخلل في حكم أبي بكر وعمر، وهما اللذان يهمنا أمرهما! أما عثمان ففيه تفصيل، و إن كان عندنا غير مخذول.

ومع تظاهر ابن أبي الحديد بأنه غير شيعي أو غير رافضي ... نجده يتصدى للإمامية بما يقاريهم به؛ كقوله: يعتقدونه في الجلالة والرفعة قريبا من منزلة النبوة»، فأنعم نظرك في أمر هذا المداهن، ولا تغفل عن مكايده.

ثم احتج على الشيعة في زعمهم في زعمهم أن نهي آدم عن الشجرة كان على سبيل الندب والندب لا يكون جزاؤه صارمًا؛ كالتعرية و إظهار السوءة، والطرد من دار الراحة إلى دار الفداحة.

ثم يبدأ ص 61 بقوله: (إن قيل: لا تخلو الصـحابة إما أن تكون عـدلت عن الأفضل لعلة ...)هكذا كأنه شـيء مفروغ منه، وكم قدم زلّت في مثل»! هذا، أما نحن فنقول: إن هذا التقدير في نظرنا باطل وما يبنى على الباطل باطل.

ثم عاج على برهان مائع، وهو: وكون الناس كانوا يبغضون عليا.

1- هو أثر مروي عن عمر رضـى الله عنه، كمـا في: جـامع بيان العلم»؛ لابن عبـدالبر (2 / 542)، وانظر كنز العمال)،(29348)، والزهد لأحمد بن حنبل (120) بنحوه، وسيرة عمر؛ لابن الجوزي: (210).

ويحسدونه، فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين.

وهم يزعمون أن أبا سفيان ناصر عليا لما فاتته الخلافة يوم السقيفة، وليس أعدى لعلي من أبي سفيان! انظر ص 83.

ثم نقول: إنه ليس بين علي وبين الأنصار،عداء، فما بالهم لم يذكروه؟

بن

بعده: «لما مرض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرض الموت دعا – متبناه – أسامة زيد فقال: سر إلى مقتل أبيك – من أرض الروم – فقد وليتك على هذا الجيش ... فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في ذلك الجيش؛ منهم أبوبكر وعمر».

إن الذين نقلوا هذا الخبر على أنحاء منهم من جعله حجة في جواز تولية الشبان على الشيوخ، أو جواز تولية المفضولين على الفاضلين، ومنهم من استغله واتخذه ذريعة للطعن في منزلة أبي بكر وعمر، لاسيما إذا قُرن بحديث آخر: «لعن الله تخلف عن جيش أسامة» (1)! ...

1– قال شيخ الإسلام ابن تيمية الله عن هذا الحديث في منهاج السنة (6 / 318): هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالنقل، فإن النبي عليه السلام لم يقل: لعن الله من تخلف عنه، ولا نقل هذا بإسناد ثابت، بل ليس له إسناد في كتب أهل الحديث أصلا، ولا امتنع أحد من أصحاب أسامة من الخروج معه لو خرج، بل كان أسامة هو الذي توقف عن الخروج لما خاف أن يموت النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: كيف أذهب وأنت هكذا، أسأل عنك الركبان؟ فأذن له في المقام، ولو عزم على أسامة في الذهاب لأطاعه، ولو ذهب أسامة لم يتخلف عنه أحد ممن كان معه، وقد ذهبوا جميعهم معه بعد موت النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ولم يتخلف عنه أحد بغير إذنه، وأبو بكر لم يكن في جيش أسامة باتفاق أهل العلم، لكن روي أن كان فيهم، وكان عمر خارجًا مع أسامة، لكن طلب أبو بكر من أسامة أن يأذن له في المقام عنده لحاجته إليه، فأذن له، مع أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما مات كان أحرص الناس على تجهيز أسامة هو أبوبكر، وجمهور الصحابة أشاروا عليه بأنه لا يجهزه خوفًا عليهم من العدو، فقال أبو بكر: لا أحل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

إن كل خبر يتعلق بالموضوع (الحساس) لا يخلو من ريبة، وإن نقله بعض المائعين من أصحابنا عن سلامة صدر! فإما أن لا يكون له أصل، أو له أصل، ولكن عبث به بالنقص والزيادة على حسب المقاصد!

وكنت تكلمت عن جيش أسامة وكتبت عليه ملاحظاتي من جهة اشتماله على كبار الصحابة وأزيد الآن: إنه ليس من المصلحة إخلاء المدينة من كبار الصحابة في ذلك الموقف الدقيق!.

ثم إن الذين لهم غرض معين ... خصوا بالذكر أسماء معينة؛ كأبي بكر،وعمر، بل هما الغرض الأقصى من الذكر ومثل هذين الرجلين ما كانا يفارقان النبي في حياته، فكيف يفارقانه والنبي يعالج؟.

وهل من المعقول أن يكون النبي في حضن عائشة تمرضه، فيبعد أباها عنها وهو حموه في تلك الساعة الحرجة؟ حتى إذا وقعت الواقعة كانت مصيبتها ضعفين دع أن بعد أبيها أو إبعاده عنها يكدر صفاء ذهنها، وهي أحوج ما تكون إلى الصفاء.

لنسقط كل هذه الاعتبارات ولكن ماذا نصنع بحديث آخر أشهر من أن يُذكر؛ وهو أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال وهو في مرض موته: مروا أبا بكر فليصل بالناس) (1)، فما رأي بعض المغفلين في هذا؟ ...

1- أخرجه البخاري (716)، ومسلم (418).

إن قضية جيش أسامة قضية مسلمة، إلا إلحاق كبار الصحابة بها على سبيل الإلزام، فإن وراءه ما لا يسلم!.

وفي ص 62: (فقال العباس لعلي وهو في الدار: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله) (1).

هيهات! إنه لو وقع شيء من هذا لا ـ تقدت فتنة لا ـ يطفئها عمّ رسول الله باستسقاء السحاب لأن الأنصار يعزّ عليهم أن يُفتات عليهم والمهاجرين غير مضمونين فخليق بهذا الخبر أن يكون مختلفا!.

بعده (وتزعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سير أبا بكر وعمر في بعث أسامة ... فيصفوا الأمر لعلي ...)

ومثل هذا التدبير لا يصح إلصاقه بالأنبياء، إنما يفعله الساسة المكيافيليون.

ولو فرضنا أنه ليس هناك نبوة، فإن هذا التدبير ينافي النبل والشرف اللذين كان يزدان بهما، محمد وهو يقدر خدمة أصحابه له يوم كان يقول ناصره، يقول: «اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرين (2)، ويوم لم يقع اختياره إلا على.

1- ورد في كتاب «الإمامة (والسياسة المنسوب لابن قتيبة، (1 / 12)، وهو كتاب مكذوب عليه؛ كما سيأتي - إن شاء الله.

2- قال العجلوني في كشف الخفاء»، (546): ... وقال في التمييز وأما يدور على الألسنة قولهم: اللهم أيد أو أعز الإسلام بأحد العمرين؛ فلا ـ أعلم له أصلا. انتهى. ونقل النجم عن السيوطي أنه قال: وقد اشتهر الآن على الألسنة بلفظ بأحب العمرين، ولا أصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ. انتهى. قلت: وأخرجه الإمام أحمد في المسند (5696)، والترمذي (3681) بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال: وكان أحبهما إليه عمر». وصححه الألباني.

أبي بكر في هجرته إلى المدينة: أفيؤثر الغدر بعد نضج الأمر؟.

وفي ص 65 تفسير بيت الأعشى الذي استشهد به علي في غضون خطبته:

شتان ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جابر

يقول أمير المؤمنين: شـتان بين يومي في الخلافة، مع ما انتقض عليّ من الأمر ومنيت به من انتشار الحبل، واضـطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر.

أما الشق الأول فلا يحتاج إلى تفسير فما معنى الشق الثاني؟ إنه كما يقول ابن أبي الحديد.

حيث وليها – عمر – على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة وسكون شامل؛ فانتظم أمره واطرد حاله وسكنت أيامه.

ويحتمل وجهًا،آخر وهو أن عليا صار يتأفف من الخلافة وغوائلها، ويتذكر اطمئنان قلبه وراحة باله في عهد أسلافه ...!.

ثم نقل بيتين أحمقين ربما كانا لشاعر أحمق

حملوها يوم السقيفة أوزا *** رًا تخف الجبال وهي ثقال

ثم جاءوا من بعدها يستقيلو *** ن وهيهات عثرة لا تقال

إن كانت الاستقالة حقيقية فما المانع من قبولها والأفواه مفغورة ...؟! إنما

ص: 177

أراد أبو بكر أن يبرئ ذمته فعرض على الناس الاستقالة، فإذا أبوها تمت أبوبكر الحجة وفاز بالثقة وهذا من مكارم أخلاقه ولكن المكابرين يلتمسون العثرات في الطريق السوي، فكانوا هم الذين يتعثرون ...!.

وهنا ملاحظة لم أجد من تصدى لها وعسى أن تكون وجيهة في نظر الباحثين، وهي:: أن الخلافة في عهد الصديق لم تكن مما تتحلب لها الأفواه؛ لجفافها ... فلما اتسعت الرقعة وغزر المعين في عهد عمر وعثمان صارت الأفواه تتحلب لها وتتربص الدوائر بكل من يقعد مقعد الخلافة(1)

هذا في عهد الخلافة الراشدة، فما عسى أن نقول في الخلافات التي تلتها؟.

ونسب الشارح الزهد في الخلافة إلى علي حيث قال للناس بعد قتل عثمان: دعوني والتمسوا غيري! وهذا خلاف ما تظاهر من حال علي، وإن تظاهر بالتعفف في بعض خطبه.

ولكن صاحب هذا الخبر أراد أن يبني عليه أمرًا يتخذه حجة على قول الخطيب: بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، زاعمًا أنه بايع لابنه الحسن، وما أظنه يصح في تواريخ أهل السنة (2)؛ لأن أهل السنة يبعدون عليا عليه السلام عن معارضة الاستئثار، وعلى هذا يبنون جلالة قدر علي لديهم! ويؤولون تأخره عن مبايعة أبي بكر بأنه كان مداراة لفاطمة - (رضى الله عنهما) - .

1- وهذا من ظنون الملاح الكاذبة الخاطئة. وهو ينظر للصحابة (رضى الله عنهم) بمنظار أبناء عصره.

2- قال ابن العربي في «العواصم»، (ص 206): «أما قول الرافضة: إنه عهد إلى الحسن؛ فباطل ماعهد إلى أحد لكن البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية).

لأنها كانت حديثة عهد بالمصيبة ولا عهد لها بالسياسة (1).

وعند تفسير قول الخطيب: كراكب الصعبة إن اشتق لها،خرم، وأن أسلس لها تقحم، حمل تأويله على عهد عمر مع أنه بعهد علي أولى؛ لمناسبته لشكواه المتمادية.

وكانت طعنته المؤولة هكذا: إن عمر كان كثيرًا ما يحكم بالأمر ثم ينقضه، ويفتي بالفتيا ثم يرجع عنها ...».

فنقول له على تقدير صحة الدعوى: هل كان عمر يريد التلاعب؟ أم كان يتحرى الحق، وهو في بدء التأسيس، وتعرض أمورًا معقدة ليس فيها نصوص أفمثل هذا يسمى طعنًا؟ أو ليس الأمر جرى على استقامة فلا خوارج ولا موارج ...؟ وإنما العبرة بالنتائج.

والظاهر أن ابن أبي ألح ... لم ينتبه للتناقض الذي وقع فيه في تفسيره لهذا المثل وتفسيره للبيت السابق!!.

وفي 67 شطر من بيت منيتُ بزمرذة كالعصا» بإعجام الدال، ولا مقام له هنا ولم يشرح معناه، ورسمه في ديوان الحماسة (بزَنمِرْدةٍ) بالنون وإهمال الدال والظاهر أنها كلمة فارسية مركبة من (زن) و (مرد)، والظاهر أن المشرفين على طبع الكتاب ليسوا من رجال الميدان!.

وعجز البيت ألصَّ) وأخبثَ من كَنْدُش) يليه:

تحب النساء وتأبى الرجال *** وتمشي مع الأخبث الأطيش.

1- سبق أنه رضى الله عنه لم يتأخر عن المبايعة.

وهذا البيت يفسر معنى (زنمردة)؛ أي فيها خُلق الرجال، كما مشروحة في هامش الديوان بغير تعليل (1).

ومن الغريب أن الفيروزآبادي لم يحم حولها في محيطه، مع عنايته بمثلها، ولم أعثر عليها في معجم فارسي ولكني على يقين من أنها مركبة، وربما كان أصل ((زنمرد) للرجل المخنث، فأنَّثها الشاعر واستعملها للمرأة (المتخنثة)!!.

وفي الصفحة عينها: وكان عمر بن الخطاب صعبًا عظيم الهيبة، لا يحابي أحدًا ... وكان أكابر الصحابة يتحامونه ويتفادون من لقائه.

كان أبو سفيان في مجلس عمر وهناك زياد بن سمية، فتكلم زياد فأحسن وهو يومئذ،غلام فقال علي: لله هذا الغلام لو كان قرشيًا لساق العرب بعصاه! فقال له:أبو سفيان: أما والله لو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك!:قال: ومن أبوه؟ ... قال علي: فما يمنعك من استلحاقه؟ قال: أخاف هذا وأشار إلى عمر عمرى (2) ...

1- شرح ديوان الحماسة، (4 / 1881 - (1882) قال: المراد بها: المرأة التي خلقها وخُلُقها كما يكون للرجال»، و«كَنْدُش: لقب لص كان معروفًا عندهم».

2- الاستيعاب لابن عبدالبر (1) / (155). في ترجمة زياد وقال ابن العربي في العواصم، ص 251 - (252 وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به، وقال شعرا فيه، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئًا، لأن الحال لم يكن يخلو من أحد قسمين: إما أن يرى عمر إلاطته به كما روي عنه في غيره؛ فيُمضي ذلك، أو يرد ذلك، فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية. فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى له».

هذا الخبر في نظري مصنوع والغرض منه تبرير عمل معاوية استلحاقه زيادًا، أما وجه الخوف من عمر؛ فلأن عمر حرَّم المتعة في الإسلام، فلا يريد أن تذكر متعة الجاهلية أمامه.

وعرف علي عليه السلام مقدار زياد، فولاه في عهده وقدمه، حتى كان ما كان ... ولو كان ينظر إليه نظر الناس إلى مثله ما قدَّمه! وهذه تكفي أن تكون حجة لمعاوية على من كان يُشَعب عليه، أليس علي سيد الفقهاء وإمامهم؟.

إلا أن ابن أبي الح حين يصف مواهب عمر (يسر حسوًا في ارتغاء) (1) يردف ذكر الهيبة بهذا الخبر:

استدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر، وكانت حاملا، فلشدة هيبته، ألقت ما في بطنها فأجهضت ... (2)، وبنى على ذلك مسألة فقهية! وربما دارت هذه المسألة بين الفقهاء.

وتلفيق هذه القصة يشبه تلفيق قصة (محسن) أو (مشبر) من فروع اجتماع السقيفة ...!

إذ زعموا أن فاطمة كانت حاملا فأجهضت خوفًا من عمر ... وسمي م.

1- يُسِرُّ حَسْوًا فِي ارْتِغَاء: أي يُظهر أخذ الرغوة وهو يحسو اللبن، يُضرب لمن يُظهر أمرًا وهو يريد غيره. المستقصى في أمثال العرب»، (2 / 412).

2- قال شيخ الإسلام في منهاج السنة»، (8 / 291): «إنما ينقل مثل هذا جهال الكذابين، ويصدقه حمقى العالمين الذين يقولون إن الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى أسقطت، وهذا كله دعوى مختلق، وإفك مفترى باتفاق أهل الإسلام، ولا يروج إلا على من هو من جنس الأنعام.

سقطها بمحسّن!، وقابلوه من العبرانية (لغة اليهود بمشبّر، كما قابلوا الحسن والحسين بشبر و شبير وزعموا أنهم أبناء هارون الذي جعلوه قبالة علي! ولا يصح من ذلك شيء (1)، ولتنظر أسماء أبناء هارون في التوراة.

ثم يصف عمر بالشجاعة الخارقة لكن على وجه الجبرية فيقول:

عمر هو الـذي شـيد بيعة أبي بكر، وأرغم المخالفين فيها، فكسـر سـيف الزبير لما جرده – انتصارًا لعلي بزعمهم، ودفع في صدر المقداد – كـذلك، ووطئ في السـقيفة سـعد بن عبادة سـيد الخزرج، وحطم أنف الحباب بن المنـذر الـذي قال يوم السـقيفة: (أنا جُـذيلها المحكك وعُـذيقها المرجب)، أي أنا المحنك المجرب المعـد للصـعاب – وتوعـد من لجأ إلى دار فاطمة من الهاشـميين ...» ووقع الإجهاض كما سبق!!

أما شـجاعة عمر؛ فشـيء مفروغ منه، وحسـبك أن الزبير من أقران علي ... ولا نازع في هـذا الخبر ما دام في مصـلحة الإسـلام، لا لأغراض شخصية.

إلا أن الـذي يرد عليه، هو أن الزبير كان صـهر أبي بكر؛ لأن زوجه أسـماء بنت أبي بكر، فهل من المعقول أن يأنف الزبير من حميه! والحمو يسمى فى.

1- أخرج الإمام أحمد في المسند (769)، والحاكم في المستدرك (4773) عن على عليه السلام قال: لما ولد الحسن سميته حربًا؛ فجاء رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فقال: «أروني ابني ما سـميتموه؟»، قال قلت حربًا قال بل هو حسن، فلما ولد الحسـين سميته خربا؛ فجاء رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟»، قال قلت: حربًا، قال: بل هو حسين، فلما وُلد الثالث سميته حربًا، فجاء النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم فقال: «أروني ابني ما سـميتموه؟ قلت حربًا، قال: بل هو «محسن قال: سـميتهم بأسـماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (3706).

عصـرنا بالعم وكني عبدالله بن الزبير بأبي بكر تلميحا إلى جده الصديق، ولابد أنكم سـمعتم بخبر أسماء أمه لما نازله الحجاج وهو معتصم بـالبيت، وكان أول مولود للمهاجرين، وأسـماء لقبها النبي عليه السـلام بـذات النطاقين، وكانت توصل بنفسـها الزاد إلى الغار وهي فتاة غير متوارية.

وعمر أول من حاسب العمال وسن قانون (من أين لك هذا) ص 68، وبدأ به عمرو بن العاص عامله على مصر ص 67، فأجابه بجواب لبق؛ كما هو منتظر من مثل عمرو فكتب إليه: لست من تسـطيرك الكتاب وتشـقيقك الكلام في شـيء ... وقـد وجهت إليك محمد بن مسـلمة، فسلم إليه شطر مالك، لكن في الخبر حشو خبيث يسر به الخبثاء!

وفي ص 69: وكان الناس بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها فيصلون عندها فقال عمر: أراكم رجعتم إلى العزى ... ثم أمر بقطعها ...» (1)، قطعا لذرائع الشرك.

ومن هذا الباب تعمد السفر إلى بعض المشاهد لإقامة بعض الطقوس ...!

وقلتُ مرتجلًا:

ليت عين الفاروق تشهد ما قد *** حل بالإسلام الذي كان وَطّدْ

أين مال الإنسان شاهد أندا *** دًا مقامات باسم دين محمد

سيطر الشرك في البلاد على التو *** حيد فاجتاح ما به نتوحد 9)

1- أخرجه ابن وضاح في البـدع والنهي عنها، برقم (107)، وقال الحافظ ابن حجر: عند ابن سـعد بإسـناد صحيح وانظر: تحذير الساجد»؛ للألباني، (ص 137 - 139)

ودعي يدعو إلى (وحدة *** الإسلام) لكنه بها يتصيد؟!.

يدعي الأخذ بالجديد وما تج *** ديده إلا كل غث مردد

أثقل السحت بطنه فهو إن را *** م انتقالا يكاد يُحسب مقعد

وإلى (تقريب المذاهب) داعٍ *** من قريب تلصصا يتعمد

يُظهر القرب وهو يُضمر بُعْدًا *** هل لنا من يحل هذا المعقد؟

ثم أعاد نغمة أن عمر كان يحكم ثم ينقض -ص 70 - ، وقد أجبنا عن هذا في ما سبق، ومن الغريب أن تتفق عشرات المسائل في عهد عمر يحار فيها ويحلها له علي مع أن أيام علي كانت أعقد من ذنب الضب!!

وأما تحديد عمر المهر فقد كان من حسناته لاسيما أنه حرم المتعة (1)

فجعل إزاءها تخفيف المهر، ولكن امرأة حجته فيما يقال بآية: (وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَتهُنَّ قِنطَارًا) (2) ...

1- بلغ تعاطي المتعة في إيران مبلغًا شنيعا عافه الذوق السليم، مع قطع النظر عن الحل والحرمة ... فأخذ الشاه الكبير برأي عمر في تحريم المتعة وتطهير البلاد من أوضار التلاعب بها ... ولذلك وجدنا خصوم عمر تحولوا إلى خصومة الشاه! ومن خصومه دعي الوحدة الإسلامية الذي كان مشغوفًا بالمتعة! (منه). قلت: يؤكده - حاليا - ما جاء في كتاب المتعة - الزواج المؤقت عند الشيعة؛ للدكتورة شهلا حائري.

2- روى القصة عبد الرزاق في المصنف (10420) عن قيس بن الربيع عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: «لا تغالوا في مهور النساء، فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر؛ إن الله يقول: (وَاتَيْتُمْ إِحْدَيْهُنَّ قِنطَارًا) من ذهب قال: وكذلك هى فى قراءة عبد الله بن مسعود - فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا)، فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته وضعفها الألباني بزيادة اعتراض المرأة في إرواء الغليل، (1927). ومما يدل على ضعفها: أنه قد صح عن عمر النهي عن المغالاة في المهور من طريق صحيح، وليست فيه هذه الزيادة المنكرة عن أبي العجفاء السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: ألا لا تغالوا صدقة النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه و آله و سلم، ما علمت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية». رواه الترمذي (1114)، وصححه الألباني.

ولو أخـذنا بفحوى الآية؛ أي إرادة المبالغة لم تكن الحجة قائمة ما دام الغرض المصـلحة العامة والآية لم ترد في سـياق تقدير المهر، بل في سياق أدائه، فدلالتها على التحديد إشارية فهي ليست نصًا في الموضوع، غاية ما هناك إفادة الجواز وللإمام التصرف فيه للمصلحة.

ولكن ابن أبي الحـ في معرض السياسة العمرية الرشيدة يتلوى تلوي الأفعوان؛ ليقف على مثل هذا الطعن وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهيـة ظاهرة. فمنها الكلمـة التي قالها في مرض رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم (ومعاذ الله أن يقصـد بها ظاهرها) كـذا ولكنه أرسلها على مقتضى خشون – غريزته؛ كأعرابي جاف!!.

وشرح ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال في حال مرضه: ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابًا» ... فقال عمر: لعله يهجر أي يخلط (1) ... وهو من صفات.

1- أخرجه البخاري (5969)، ومسلم (1637) عن ابن عباس رضـى الله عنهما: لما حضر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم – يعني الوفاة – وفي البيت رجال فيهم،عمر، فقال رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم: «هلم أكتب كتابًا لا تضلون بعده»، فقال عمر: إن رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسـبنا كتاب الله واختلف أهل البيت،واختصـموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم، قال رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم: «قوموا». قلت: والرافضة يدعون أن عمر رضى الله عنه قـال: إن رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم يهجر، وهـذا من الكـذب عليه، وإنمـا قـال – كما سـبق – : غلب عليه الوجع، وأما الرواية الأخرى لمسـلم، ففيها: (وقالوا ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، قال: «دعوني ...»، فقال النووي في شرحه لمسلم (11 / 92 – 93): وإنما جاء هـذا من قائلة اسـتفهاما؛ للإنكار على من قال لا تكتبوا أي لا تتركوا أمر رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه؛ لأنه صـلى الله عليه و آله و سـلم لا يهجر، الله وإن صحت الروايات الأخرى كانت خطأ من قائلها قالها بغير تحقيق، بل لما أصابه من الحيرة والدهشـة لعظيم ما شاهـده من النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم من هـذه الحالة الدالة على وفاته، وعظيم المصاب به، وخوف الفتن والضلال،بعده وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع قلتُ وأيضًا: ليس فيها تحديد القائل، فلعله أحد الذين كانوا حديثي عهد بإسلام، فلم يثبت أبـدًا أن أبا بكر قال هذه الكلمة أو عمر أو عثمان أو علي أو الزبير أو طلحة أو أحد من كبار أصـحاب النبي صـلى الله عليه وآله وسـلم، ويُقـال من بـاب إلزام الرافضـة – : لعل القائل عليعليه السـلام! فماكان جوابكم عنه، فهو جوابنا عن غيره، وحاشاه وغيره من ذلك. وقول عمر رضى الله عنه: «حسبنا كتاب الله؛ أي ما جاء في كتاب الله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)، أي أن الدين كمل، فدعوا رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم يرتاح، وهذا اجتهاد منه رضى الله عنه. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»، (1 / 208 – 209): «ظهر لعمر رضـى الله عنه مع طائفة أنه ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصـلح؛ فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة، مع استحضارهم قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وقوله تعالى: (تبيانا لكل شيء)، ولهذا قال عمر: «حسـبنا كتـاب الله)، وظهر لطائفـة أخرى أن الأـولى أن يكتب لما فيه من امتثال أمره وما يتضـمنه من زيادة الإيضاح، ودل أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش صلى الله عليه و آله و سلم بعد ذلك،أيامًا، ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم؛ لأنه لم يترك التبليغ لمخالفـة من خالف». ويُقال – من باب إلزام الرافضة – : هل كان علي حاضـرًا رضـى الله عنه في هـذه الحادثـة؟ ... قطعًا سـيقولون: نعم فيقال لهم: لماذا لم يـذهب ويأتي بالـدواة والقلم ويكتب؟! وانظر:شـبهات شـيعية مع الرد عليها؛ للشيخ عثمان الخميس.

الحمى إذا اشتدت والنبي توفي بالحمى التي اعتادته بحسب مناخ المدينة.

ص: 186

وهذا التوجيه إنما يُصار إليه على تقدير صحة الحديث، وهو لا شك غير صحيح، إذ هو من أضعف أخبار الآحاد إذ وقع مضمونه المزعوم بين جمع من الرجال ولم يروه إلا غلام.

إلا أن الممارين تعلقوا به زاعمين أنه في مصلحتهم، ولا يريدون أن يعترفوا بأنه ذو حدين!

ثم إن إقرار هذا الحديث ينافي ما زعموه من أحاديث ملفقة تفيد الوصية لفلان ...!

فكان من مصلحتهم ألا يُقروا هذا الحديث بداعي الطعن في عمر، ولكن من لنا بإقناع قوم قاعدتهم أن لا يقنعوا؟.

كان ابن أبي الحديد من حيث مذهب الاعتزال المتأخر يعيش على هامش التشيع، كما أن التشيع يعيش على هامش الاعتزال، بما وقع بين المذهبين من تبادل لذلك نجده إذا التمس المطاعن لعمر لا يجهز عليه إجهاز الرافضة ... بل يدهن مطاعنه بأخبار ملطفة مثل أن أحدهم اقترح على عمر أن يلين مطعمه ومشربه فاحتج عليه عمر بقوله: رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ...) ص 68.

ومثل هذا الجواب له دخل كبير في تقدير الزهد مع التمكن الواسع، وهذا الخبر يزيف صيغة: لشد ما تشطرا، رعيها، كما سبق، وعطف على هذا

الخبر خبر إسلام عمر حين قصد مجلس النبي صلى الله عليه و آله و سلم متقلدا بسيفه، فتلقاه النبي وأخذ بحمائل سيفه وهو يقول: اللهم أعز الإسلام بعمر، فقال عمر على الفور: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فكبّر المسلمون فرحًا ... ومنذ ذلك اليوم جهر المسلمون بإسلامهم، وخرجوا إلى الطريق يكتنفهم بطلاـن عمر وحمزة رضى الله عنهما والنبي صلى الله عليه و آله و سلم في وسطهم (1) ...

ص: 188

1- أخرجها - بهذا السياق - ابن الجوزي في مناقب عمر ص 12)، وأبو نعيم في ((الحلية) (1 / 40)، بسند ضعيف، لكنها صحت بسياق آخر قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي قال فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه،عمر واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش. وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. قال ويقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وثاروا إليه؛ فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلع، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى، حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ،عمر قفال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه. قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: أى بني العاص بن وائل السهمى أخرج القصة ابن حبان في موارد الظمآن (1829)، وابن هشام في السيرة (233/1)، والحاكم في (المستدرك) (85/3) مختصرة. قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (39/2): وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم. اه وحسن إسنادها الألباني في صحيح موارد الظمآن (2181)، وحسنها أيضًا الشيخ مصطفى العدوي في الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص 82 - 83).

فكم بين إسلام هذا شأنه وبين إسلام وقع عفوًا ... وتحت ستار التقية؟ ولا عبرة بالمسافة بين إسلام وإسلام ... إذ كان عمر كالجواد الذي نزل إلى الحلبة متأخرًا فسبق الأولين والآخرين برغم أنوف الناصبين العداوة للإسلام من وراء تاريخه؟! ومازالوا يلوثونه بأوضار المجوسية؛ حتى مسخوه وأزالوا رونقه، وهم على ذلك دائبون.

وفي ص 72 قول عمر عند موته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني؛ مني؛ - يعني رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

وهذه الكلمة التي أرسلها عمر على سجيتها دليل طبيعي على أنه ليس هناك وصية ولا غدير ولا سدير ...!

ولا يمكن تعقيب كل ما شحن به الشارح كتابه من أخبار القصاص للطعن الناعم، وفي النماذج التي أوردناها كفاية (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) غير قلب!.

وعلل ذلك بقوله: «وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر وخصوصًا طينة (1).

1- لا يبعد أن يكون لفظ طينة محرفًا عن طبيعة. (منه).

العرب ...» ص 73، فنقول له: أليس الذي التزمته من الطينة نفسها، يا بعيدًا عنها!.

ولما فاز سهم عثمان يوم الشورى قال علي لعبد الرحمن بن عوف: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوتَ منه ما رجا صاحبكما من صاحبه؛ - أي عمر من أبي بكر - دق الله بينكما عطر منشم، يعني وقوع خلاف بين عبدالرحمن وبين عثمان فيما بعد! ولكن عطر منشم (1) لم يُدق بين الرجلين كما دق بين علي وابن عمته؟ لأن أم الزبير صفية بنت عبدالمطلب، وشتان ما بين،الدقين وربما كان هذا الخبر من الملفقات!

وفي ص 74: «لما طعن عمر قيل له: لو استخلفت؟ فقال: لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته ... ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لاستخلفته».

إن في هذا الخبر مطالب جوهرية؛ منها أن عمر لم يكن واثقًا بالرهط الذين تركهم ووسم كلا- بما يستحق! ولإبراء ذمته فرض مجلس الشورى، وربما كان ذلك مفتاحًا لمبدأ الجمهورية الذي ما كان للعرب به إلمام، وقد أيدت الوقائع التالية لأيام عمر قوة فراسة عمر.

ومنها: أنه ذكر مينا كان يثق به ولو كان حيا وعهد إليه لقيل إنما فعل ذلك مكافأة له على موقفه يوم السقيفة، وذكره في معرض الموت دليل على خلوص النية ومحض النصيحة للإسلام، دون التفات إلى اعتبارات عادية.

1- منشم امرأة عطارة غمسوا أيديهم في عطرها، وتحالفوا بالاستماتة في الحرب، وقيل: كانت امرأة تبيع الحنوط وسموه عطرا؛ لأنه طيب الموتى، المستقصى من أمثال العرب»، (1 / 184).

ابتلي بها ذوو المآرب العادية.

وأما ترشيحه لسالم وهو،مولى لولا أنه ميت فدليل على تغلغل روح الديمقراطية في نفس عمر، مع منافاته إلى حد لقاعدة الخلافة في قريش، ليجدع أنوف الطامعين في منصب الخلافة للأبهة والفخفخة، وفي تولي المولى حسم لتنافس الأقران (1).

هل أدل على سلامة عمر من المقاصد التافهة من أنه لم يرشح ابنه عبدالله قائلا: حسب آل عمر أن يحاسب منهم واحد ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ص74

ثم أورد قصصًا تشبه أن تكون لفقت لملء الفراغ، وذلك أن الذين دونوا).

ص: 191

1- هذا غير صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما ما يُروى من ذكره لسالم مولى أبي حذيفة؛ فقد عُلم أن عمر وغيره من الصحابة كانوا يعلمون أن الإمامة في قريش كما استفاضت بذلك السنن عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان وفي لفظ:ما بقي منهم اثنان). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مؤمنهم تبع لمؤمنهم وكافرهم تبع لكافرهم رواه مسلم، وفي حديث جابر قال: الناس تبع لقريش في الخير والشر، وخرج البخاري عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين، وهذا مما احتجوا به على الأنصار يوم السقيفة، فكيف يُظن بعمر أنه كان يولي رجلا من غير قريش؟ بل من الممكن أنه كان يوليه ولاية جزئية، أو يستشيره فيمن يولي، ونحو ذلك من الأمور التي يصلح لها سالم مولى أبي حذيفة، فإن سالمًا كان من خيار الصحابة، وهو الذي كان يؤمهم على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، لما قدم المهاجرون (منهاج السنة: 6 / 151 - 152).

التاريخ بعد قرن أو قرنين وجدوا فراغا كبيرًا ملأوه بالتلفيق ... ولذلك لا أعبأ إلا بأمهات المسائل ولا أبالي بفلان وفلان.

والملفقون منهم المتحيز المتلاعب ... ومنهم الطيب القلب الذي يريد

مداواة الجروح، ومنهم المرتئي رأيًا في توجيه مجرى الحوادث أو حل عقدة

من العقد، فدس رأيه على شكل واقعة ... وكان التناقض لابد من وقوعه

حتى لو سلمت النيات، فكيف والنيات على الإجمال غير سالمة

أو دغل.

،

من دخل

ولكن أعجبني قول أبي طلحة الذي فوض إليه عمر حراسة الشورى: (أنا) كنت لأن تدافعوها أخوف مني عليكم أن تنافسوها)(1)! أي: أنا خفت أن تزهدوا جميعًا في الخلافة، فيبقى المسلمون بغير خليفة، وإذا أنتم تنافسون عليها، وأنذرهم بأنه سيفعل ما أوصاه به عمر.

وبلغت الحال بعلي - والعهدة على الراوي - أنه قال لسعد: «اتقوا الله

الذي تساءلون به والأرحام، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله،

عمي

ألا تكون مع عبدالرحمن ظهيرا لعثمان» (2) 75 حمزة ...

، وبر -

وبرحم

ولما قضي الأمر قال علي: ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، فقال له عبدالرحمن: لا تجعل على نفسك سبيلا يا علي يشير إلى الصلاحية التي أناطها عمر بأبي طلحة وكان أضاف إليه خمسين رجلا من الأنصار.

(1) تاريخ الطبري (2 / 582)، بسند ضعيف. (2) تاريخ الطبري (2) / (582) بسند ضعيف - كما سبق، ضمن قصة الشورى.،

أما،والله إنه لولا تـدبير عمر وحزمه ونظره لمصـلحة المسـلمين من بعـده لتمزقت وحدة المسـلمين من ذلك اليوم، ولكن تدبير عمر مد في عمرها اثنتي عمر أيضًا عشرة سنة، وكان الإنشقاق متوقعًا من يوم السقيفة، لولا حزم عمر فالإسلام مدين لعمر مادام على وجه الأرض مسلم.

وبعد أن سرد الشارح أمورًا عن عثمان، قال: والذي نقوله نحن إنها وإن كانت أحداثًا ... إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح به دمه» ص78.

ولعل هذه الكلمة من الكلمات الصائبة التي جرى بها قلم ابن أبي الحديد على قلتها ...

ثم قال: وأمير المؤمنين أبرأ الناس من دمه، وقد صرح بذلك في كثير من كلامه والله ما قتلتُ عثمان ولا مالات على قتله)، ولكن الخصوم قد يتجرأون بغير هذا ... ورسائل إخوان الصفاء صريحة في الموضوع، وإن كانت على سبيل الرمز كما سبق.

وكان في وسع المتألبين، وفيهم محمد بن أبي بكر ربيب علي ... القبض على مروان الذي تركزت عليه التهمة، ولقد أسـر في حرب الجمل، وصار في حوزة علي ثم أطلق سراحه.

ولكن عليا عليه السـلام يقول: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم؛ لألقيت حبلها على غاربها ...

المقارّة بالشد: الإقرار على الشيء، والكظة الشبع الثقيل، والسغب

الجوع ومعنى حضور الحاضر: لولا وجود من ينصرني، لا كما كانت الحال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ص 80.

ومعنى هذا أنه لم يحظ بمن يؤازره إلا بعد قتل عثمان، ولو وجد قبل ذلك من ينصره لما قصر ...!

وفي ص 81 قول الخطيب: بما اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء»، وبعدها جمل متقطعة لم أكد أفهمها، ولم أراجع الشرح عليها.

وفي ص 83 ما يفيد أن العباس وأبا سفيان راجعا عليًا للمبايعة له، ونقض بيعة السقيفة، فقال:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة ...، وعلائم الصنعة ظاهرة! ومنها تعبير (سفن النجاة) ص 85.

ومما جاء فيها: فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت.

وهل هناك شيء لا يقال فيه ما يقال؟ والعبارة مع قطع النظر عن نسبتها، تشرح لنا ما كان يدور في بعض الرؤوس من نزعات، ومنها الاهتمام بما يقال ... والنبي عليه السلام لما قام بالأمر وكان على ثقة من أمره، لم يبال بما يقال!

ومنها: بل اندمجت على مكنون) علم ... لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية.!

الأرشية: جمع رشا هو الحبل، أي اضطرابها في البئر عند الاستقاء.

ص: 194

ومن الأكاذيب الملصقة بالبراء بن عازب: «لم أزل لبني هاشم محبًا، لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول؟ ... وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية، لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه، فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر ... فأنكرت عقلي، وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم ...

فضربت عليهم الباب ضربًا عنيفًا».

وظاهر العبارة يدل على أن البراء سلم من الخبط المزعوم، ولكنه لم يسلم من (الخبط) المنسوب إليه!

وفي ص 87: «لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: أما والله أني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم. يا لعبد مناف، فيم أبوبكر من أمركم؟ أين المستضعفان: يعني عليا والعباس؟ ...» إلخ.

وهذا الخبر يشبه سالفه ... لأن المعروف أن بني أمية لا يودون أن تكون الزعامة في بني هاشم (1)، وحاربوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم في هذا السبيل هذا السبيل ... ومر في ومر في الخبر.

1- أي حقائق - عفى الله عنك! بل هي من أباطيل المؤرخين، فعائشة وطلحة والزبير(رضى الله عنهم) لم يُخالفوا رضى الله عنه في أمر البيعة أبدًا، إنما كان خلافهم اجتهاد منهم في أمر قتلة عثمان، ووجوب تعجيل الاقتصاص منهم، وهم يعلمون أحقيته في الخلافة، وقد ثبت ما يُكذب ما نقله الملاح عن ابن أبي الحديد، فقد قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»، (13 / 34 - 35) أخرج الطبري بسند صحيح عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان قال قلت له: أرأيت اعتزال الأحنف ما كان؟ قال: سمعت الأحنف قال: حججنا فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد يعني النبوي - وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد، إذ جاء عثمان - فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه - قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: إني لا أرى هذا الرجل - يعني عثمان - إلا مقتولا، فمن تأمراني به؟ قالا: علي فقدمنا مكة فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان؛ فقلت لها: من تأمريني به؟ قالت علي قال فرجعنا إلى المدينة؛ فبايعت عليا ...». وانظر: «الانتصار للصحب والآل؛ للدكتور إبراهيم الرحيلي، (ص 234 وما بعدها)، والحقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي وعائشة والزبير وطلحة(رضى الله عنهم) ...»؛ للدكتور محمد أبا الخيل.

السالف زعم أن قريشًا تتمالأ على بني هاشم دع أن قريش تكنّ الحقـد لعلي؛ لأنه جنـدل أبطالها فيما زعموا ... فكيف تسـمح نفس زعيمها أبي سفيان بأن يلي الخلافة المستضعفان؟.

قلما وجدت خبرًا ثم فقدت ما يقابله ... ولذلك لا ينبغي أن يوثق إلا بأمهات المسائل (ودعني من بنيات الطريق).

ومما اشـتمل عليه نهـج البلاغـة من المتناقضات: أنك تجـد معظم خطبه يتجشأ زهـدًا وعزوفا عن الدنيا وبين الزهد والعزوف مفاجآت ... فوالله مازلت مدفوعا عن حقي مستأثرًا عليَّ ... منذ أن قبض الله نبيه حتى يومنا هذا ص. 87

وهذا اعتراف من صاحب الخطبة أن عليا كان يطلب حقًا شخصيًا، وينافح دونه، ويصارع عليه، ويدعي أنه مغبون ...

وفي الشرح: «لا أقعد عن الحق والانتصار لنفسي وسلطاني؟! فيكون حالي من القوم حال الضبع حال الضبع مع صائدها ... ولكني أحارب من عصاني بمن أطاعني حتى أموت».

ص: 196

ثم عقب ذلك بقوله: إن الاستئثار عليّ لم يتجدد الآن ولكنه كان منذ قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ص 88، فقد سوى بينه وبين خصومه في الطلب ... وإن كان الملحوظ أنه أحق منهم عند النطق بهذا الكلام (1).

وفي ص 89: جاءه الحسن ابنه فبكى بين يديه قال: ما بالك؟ قال: أبكي لقتلك بمضيعة ... أما إني أمرتك - أشرت عليك - فعصيتني! فقال له: لا- تزال تحن حنين الأمة! ... قال: أمرتك حين أحاط الناس بعثمان أن تعتزل، فإن الناس إذا قتلوه طلبوك ثم أمرتك لما قتل عثمان أن لا توافقهم على البيعة حتى يجتمع الناس فلم تفعل ...»، أي أنه استعجل في قبول البيعة، فكانت أشبه بالفلتة التي عناها عمر (2) ونصيحة الحسن هذه - إن صحت - فهي أشبه بخلق السيد له، وربما كانت من صناعة صانع أراد توجيه أمر قد فات، وقيل فيه هيهات!.

1- روي عن الإمام أحمد - وقد سئل عن الأحق بالخلافة في عهد علي - فقال: لم يكن في عهد علي أحق بالخلافة من علي وعلى هذا لا عبرة لاستشهاد بعضهم بما وقع في مسند أحمد؛ لأن أحمد لو كان يعتد به لم يُجب بمثل هذا الجواب. (منه).

2- مما نُسب إلى عمر رضى الله عنه أنه قال: كانت بيعة أبي بكر،فلتة فتمت، فلا- تعودوا لمثلها (منه)، قلت: هو في «البخاري»، (برقم 6830)، قال شيخ الإسلام في منهاج السنة»، (5 / 469 - 470): معناه أن بيعة أبي بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار؛ لكونه كان متعينًا لهذا الأمر، كما قال عمر: ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سواه، وتقديم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم له على سائر الصحابة أمرًا ظاهرًا معلومًا، فكانت دلالة النصوص على تعيينه تغنى عن مشاورة وانتظار،وتريث بخلاف غيره، فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاورة والانتظار والتريث فمن بايع غير أبي بكر عن غير انتظار وتشاور؛ لم يكن له ذلك.

ومن هذا الباب ما يُنسب إلى المغيرة بن شعبة لما استشاره علي في أمر معاوية، ثم لم يقبل مشورته ... ص 90.

وفي هذه الصفحة «لما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدًا إلا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين ...».

بعده: «لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة ... قال علي: أيها الناس إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها! والله لو ظفروا بما أرادوا ليضربن أحدهما عنق صاحبه ...» ص91.

هذه النفثات لا تخلو من حقائق (1) ... وإن كانت دعوى الإكراه غامضة!.

1- أي حقائق - عفى الله عنك! بل هي من أباطيل المؤرخين، فعائشة وطلحة والزبير(رضى الله عنهم) لم يُخالفوا رضى الله عنه في أمر البيعة أبدًا، إنما كان خلافهم اجتهاد منهم في أمر قتلة عثمان، ووجوب تعجيل الاقتصاص منهم، وهم يعلمون أحقيته في الخلافة، وقد ثبت ما يُكذب ما نقله الملاح عن ابن أبي الحديد، فقد قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»، (13 / 34 - 35) أخرج الطبري بسند صحيح عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان قال قلت له: أرأيت اعتزال الأحنف ما كان؟ قال: سمعت الأحنف قال: حججنا فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد يعني النبوي - وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد، إذ جاء عثمان - فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه - قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: إني لا أرى هذا الرجل - يعني عثمان - إلا مقتولا، فمن تأمراني به؟ قالا: علي فقدمنا مكة فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان؛ فقلت لها: من تأمريني به؟ قالت علي قال فرجعنا إلى المدينة؛ فبايعت عليا ...». وانظر: «الانتصار للصحب والآل؛ للدكتور إبراهيم الرحيلي، (ص 234 وما بعدها)، والحقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي وعائشة والزبير وطلحة(رضى الله عنهم) ...»؛ للدكتور محمد أبا الخيل.

وقد سبق للمدعي ادعاء مثلها.

ولكن النفثات تخف قيمتها عنـد هذه الكهانة: والله ليقتلن ثلثهم وليهر بن ثلثهم وليتوبَنَّ ثلثهم، لاسـيما وإنها التي تذبحها كلاب الحوأب» (1)، فإنما هي من صنع الدعاة ... ومن هذا الباب حديث الفئة الباغية» (2) فلا تغفل.

أقول: إن في تاريخنا عقدتين من أصعب العقد لا تشبههما عقدة الوصية.

1- حديث الحوأب) أخرجه الإمام أحمد في المسند (24299)، وغيره: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب قالت أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب،:قالت ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسـلمون فيُصـلح (وجل عن) ذات بينهم قالت: إن رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم قال لها ذات يوم: «كيف بإحـداكن تنبح عليها كلاب الحوأب وصـححه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم 474). قلتُ: والحديث - لمن تأمله - يدلّ على حسن قصد الصـحابة (رضى الله عنهم)، فقد أشار عليها من معه - ولعله الزبير وطلحـة - بالمضـي؛ لعله إذا رآها المسـلمون أصـلح الله ذات بينهم.، وهـذا يعني - أيضًا - أن عائشة (رضـى الله عنها) لم تخرج أصـلا بقصد القتال لا كما يزعم من قلّ حظه من العلم وعُدِم نصيبه من الإيمان؛ ممن يطعنون في عرض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، من الرافضة وأشباههم.

2- بـل أخرجه البخاري (2812)، ومسلم (2916). قال شـيخ الإسلام في منهاج السنة»، (4 / 42): هذا دليل على أن معاوية وأصـحابه بغاة، وأن قتال علي لهم قتال أهل العـدل لأهل البغى؛ لكنهم بغاة متأولون لا يكفرون ولا يفسـقون، ولكن يُقال: ليس في مجرد كونهم بغاة ما يوجب الأمر بقتالهم، فإن الله لم يأمر بقتال كل باغ، بل ولا أمر بقتال البغاة ابتداء، ولكن قال: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ ترحمون)، فلم يأمر بقتال البغاة ابتداء، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يُصلح بينهما، وهذا يتناول ما إذا كانتا باغيتين أو أحداهما باغية ...».

ولا عقدة السقيفة، لأن هاتين العقدتين حلهما الزمن.

الأولى: عقدة عثمان في الشطر الثاني من خلافته ومهما قبل في عثمان فقد نال عقابه – عفى الله عنه (1).

والعقدة الثانية ما نجم عن العقدة الأولى.

إن النبي عليه السلام توفي وهو يبدي الرضا عن رجال بأعيانهم، بل لهم سمة مشهورة لا يستطاع إنكارها وهي (العشرة المبشرة).

فمضى أبو بكر وعمر،سالمين وكان عهدهما امتدادًا لعهد الرسالة بغير شك، ومضى بعدهما عثمان وهو يتشحط بدمه، وسعيد بن زيد لم يلمع له اسم، وسعد بن أبي وقاص اجتهد أن لا يلوث يده، مع لمعان اسمه في تقويض عرش الأكاسرة، وعبدالرحمن بن عوف كان حكيمًا، فسل نفسه من الفتنة سل الشعرة من العجين فهو من الدهاة الصامتين، ودهاؤه ظهر في تصفيته لأمر الشورى.

وبقي عندنا ثلاثة أقرآن كلهم طامح، وكلهم قوي، وكلهم لا يرى للآخر فضلا عليه، ولا يريد أن يُسلم له عن طواعية، مع ما بينهم من قرابة وصهر وسابقة. ا.

1- هذا من تهورات الملاح، وجرأته غير المحمودة - كما سبق -، مما أوقعه فيما نهى عنه غيره من التعرض لمقام الصحابة(رضى الله عنهم)، وقد أجاب العلماء عن جميع ما أثاره المغرضون وأهل البدع على عثمان رضى الله عنه؛ كما تجده في منهاج السنة»؛ الشيخ الإسلام، و«العواصم»؛ لابن العربي، (وفضائل عثمان)؛ لعبدالله بن الإمام أحمد، و «خلافة عثمان»؛ للدكتور محمد بن صامل السلمي، و«استشهاد عثمان ووقعة الجمل؛ للدكتور خالد الغيث وغيرها.

وكـان طلحـة والزبير يريان – ومن ورائهما قريبتهما أم المؤمنين ذات المقام المكين – يريان أن الخلافـة إذا دخلت بيت علي لم تخرج منه؛ لإدلائه بالقرابة من أول الأمر، والقرابة ملازمة له ولأولاده. والقرابة ملازمة له ولأولاده. وكانت المصيبة الخالدة في هذا الإدلاء (1).

فالعقدة على هذا كانت مسـتحكمة في عهدهم، وزادت اسـتحكاما من بعدهم؛ لأن المؤرخين لاسيما الفقهاء حاروا في أمرها، ناظرين إلى هذا السؤال: كيف اجتمع الرضا والبشارة والخوض في دماء المسلمين.

وكان للعلماء رأي سديـد في طي هذه الصـحيفة، والمرور بها مر الكرام (2)؛ لأنها في حكم المتشابهات ... ولكن ماذا نصـنع؟ والنواعب تنعب في كل فرصـة مواتيـة (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) والذي قر عليه رأي الجماعة: الحكم بالحق لعلي، وبالتوبة لطلحة والزبير.

وحكموا على معاوية بالبغي (3)، مع أن حجته أظهر من حجتهما، أي أنه كان لمعاوية شيء ملموس يتعلق به دونهما وكأن سابقتهما شفعت لهما دونه.

والحكم بالبغي مأخوذ من قوله تعالى: (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ).

1- هذا من ظنون الملاح الخاطئة، التي ساير فيها الروايات الضـعيفة والباطلة، وقد مضـى الحديث عن سبب خلاف عائشة وطلحة والزبير مع علي رضي الله عنهم أجمعين.

2- فليتك عملت برأيهم!

3- سبق معنى «البغي، والنقل عن شيخ الإسلام في الإصلاح بين الطائفتين قبل القتال.

والآية تقتضي فريقًا ثالثًا يدخل بين الطائفتين للإصلاح؛ كما جرى في أسباب النزول، فإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فدخل النبي بينهما مصلحًا، ولم يدخل بين علي ومعاوية فريق ثالث محايد، حتى ينطبق حكم الآية.

والفقهاء الذين حكموا لعلي على معاوية فيما بعد. هم الموالون لعلي من جماعتنا ... إذ كانوا هم شيعته الخالصة من الشوائب، فتأمل.

وفي ص 91: برز علي يوم الجمل ونادى بالزبير يا أبا عبدالله فخرج الزبير، فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي: دعوتك لأذكرك حديثًا قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي فقال لك:أتحبه؟ قلت: فما لي لا أحبه وهو أخي وابن خالي؟ فقال: أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له ...»(1)

وهي قصة مشهورة وضعها بعض طيبي القلب ... وفي الصفحة عينها قصة نباح كلاب الحوأب لما مرت به عائشة، وهو من وضع القصاص، فلا تعبأ به (2).

وفي ص 95: «أم محمد – ابن الحنفية – خولة ... واختلف في أمرها ...». وعلام اختلف في أمرها وهي من سبي بني حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، أخذت سبية في عهد أبي بكر، فوقعت في سهم علي عليه السلام، فكان له منها محمد المذكور.

ولكن ابن أبي الحوارب لإنفاذ مسألة فقهية وهي أن أم محمد من سبي.

1- أخرجه – بهذا اللفظ – عبد الرزاق في مصنفه (20430)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة»، (برقم 2659).
2- سبق أنها قصة صحيحة.

أبي بكر، فكيف حـل لعلي الخلو بهـا وأبوبكر غـاصب، وتصـرفاته غير شـرعية ...؟ فتصـرف بعض الـذاهبين إلى هـذا الرأي الأنوك لتوهية الاعتراض ...!

قال قوم: إنها من سـبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر ... وقال:قوم هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سـلم، قالوا: بعث رسول الله عليّا إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد، وكانت زبيد سـبتها من بني حنيفة في غارة لهـم عليهـم، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن ولدت منك غلامًا فسمه باسمي ص.95

وأثر الصنعة ظاهر، ونوك صانعها ظاهر ...!

والذي رواه النسائي في الخصائص (1): أن عليا افترش جارية من سبي اليمن قبل وصوله إلى النبي صـلى الله عليه و آله و سلم، وجرت في ذلك مرافعة ... وتقدمت.شهود فمن تلك الجارية؟ وهذا مما يلحق وصمة بمحمد حاشاه!

قال ابن أبي الـح: وقال قوم، وهـم المحققون، وقولهـم الأظهر!: إن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسـبوا خولة، وقدموا بها المدينة، فباعوها من علي ونسب ذلك إلى البلاذري!

وهذا الخبر لا يخلو من وصـمة أيضًا، بل ربما كانت هذه الوصـمة أشـنع من تلك! لأن إغارة بني أسد إن كانت بإذن أبي بكر فقد رجع الأمر إلى أبي بكر، وإن لـم تكن بإذنه وجب تصحيح عملهم بمراجعته وتقديم ما غنموه إليه.

1- رقم (85)، بسند حسن.

لتخميسه، ومنه أم محمد، وإلا كان عملهم غلولاً:، محمد وإلا كان عملهم غلولًا: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَ يَوْمَ الْقِيمَةِ)!!.

فإن كان البلاذري مقرًا بما نقل، فالظاهر أنه أكثر من ابتلاع حب البلاذر. (1)

وبين ص 95 – 96: قصة تتعلق بمحمد بن الحنفية وقصيدة في مدحه (2) منسوبة إلى خزيمة بن ثابت الأنصاري (3) وكلتاهما من معمل (بيت الكذب)، ولا علم لخزيمة بإحداهما كما لا علم لعلي بهذا النبأ: «ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ...»

وإنما صُنع هذا الخبر للتبشير ...!

ومن معمل بيت (الكذب أن عليا كان يقتل رجلًا ويتعدى آخر، فسألوه.

1- يُقال إن جماعة من طلبة العلم بلغهم أن حب البلاذر يزيد من الفهم ويقوي الحافظة، فانطلقوا إلى العطار وتناولوا منه فوق الحاجة فتاهوا ولم يرجعوا إلى المدرسة، وبعد أيام رجع أحدهم عريانا ... إلا أنه أرخى عذبة عمامته إلى أسفل مبالغة في التستر! فسألوه عن رفقائه؛ فقال: إنهم فعلوا كذا ... فأصيبوا، ولم ينج منهم غيري! (منه).

2- منها هذا البيت: أبوك الذي لم يركب الخيل *** مثله علي وسماك النبي محمدا أي كما سبق – ومهما صدق الصدر شعرًا ... فالعجز من أكذب الكذب. (منه).

3- إنما علقوا هذه الفرية بخزيمة؛ لما اشتهر من أن النبي قبل شهادته مكان شهادتين، ولهذا سموه ذا الشهادتين. (منه) قلت: كما في أبي دواد (3607) وصححه الألباني، قال له صلى الله عليه و آله و سلم: بم تشهد؟» فقال بتصديقك يارسول الله، فجعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم شهادته بشهادة رجلين.

عن ذلك، فقال: سيخرج ممن اتعداه من يكونون موالين لي في آخر «الزمان؛ وربما كان هذا الخبر تفسيرًا للخبر السابق.

إلا أن ابن أبي الحديد لم ينقل الخبر الأخير؛ لأنه من أهل مذهب يقول بتحكيم العقل! فويلم العقل!! ولعله ينقله في جزء آخر!

وفي ص 96 وهي آخر صفحة: قال الكلبي: قلت لأبي صالح: كيف لم يضع علي السيف في أهل البصرة بعد ظفره؟».

كأن هذا الشعوبي المنتسب بطبعه إلى كلب عقور، لم تشف خاطره الدماء المسفوكة في الواقعة التي وصفها بعضهم بقوله: «ما دخلت دار الوليد بالكوفة التي فيها القصارون إلا ذكرت وقع السيوف يوم الجمل.

وقال آخر: «لقد رأيت الرماح يوم الجمل قد أشرعها الرجال بعضها في صدور بعض كأنها آجام القصب، لو شاءت الرجال أن تمشي عليها مشت ...».

وكان جواب الشعوبي الآخر هكذا سار فيهم بالصفح والمن الذي سار به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في أهل مكة ...

وليس الأمر كما زعم! إذ لا يقاس المسلمون على المشركين أولا. ولأنه ما من مشارك لفريق إلا وله أقارب في الفريق الآخر ثانيًا. ولذلك شاعت روح التذمر في جيش علي وطفق يتنمر، وكلما امتدت الأيام ظهرت حقيقة وضعه!

ولو سنَّ علي هذه السنة في أهل البصرة؛ لاقتدى به معاوية في أهل الكوفة!.

ص: 205

بعده لما انهزم أهل البصـرة ركب علي بغلة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وكانت باقية عنده، وسار في القتلى يستعرضهم ...)، وكان في الاستعراض مثله.

وما ندري – يا للأسف! – تاريخ ولادة البغلة، لنعلم كم كان عمرها يومئذٍ؟ كما لا ندري تاريخ وفاتها لنعلم كم عاشت؟!.

تعليق على صفحة 22

قال بعض المتسمين بالعلم وكان مجلي الحلبة في هذا المضمار: أبو الأسود الدؤلي ... بإرشاد من الإمام علي.

:أقول: إن هذه الدعوى ذات شقين كل منهما يستحق البحث والنقد ولا بأس أن أميل على الشق الأول فأبحث عنه، معتمدًا على أقرب كتاب إلى يدي، وهو الفهرست لابن النديم.

جاء في ص 59 منه بعـد كلام إن النحو أخذ عن أبي الأسود ... وقال آخرون رسم النحو نصـر بن عاصم ...وقال:آخر كان عبدالرحمن أول من وضع العربية ...».

وفي ص 60 بعد كلام: حتى بعث إليه – أبي الأسود – زياد أن اعمل شـيئًا يكون للناس إمامًا ويعرف به كتاب الله فاسـتعفاه من ذلك، حتى سمع قارئًـا يقرأ ... فرجع إلى زيـاد فقال: افعل ما أمر به الأمير، فليبغني كاتبًا لقنا ... قال أبو الأسود إذا رأيتني قـد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ... فهذا نقط أبي الأسود».

إن هذه القصة تباين الدعوى لأن أصل الدعوى وضع النحو، ومفاد

القصة لا يجاوز النقط، ما، وهو سمي فيما بعد بالشكل

ثم أورد قصة أخرى تتعلق بكلمة (ظالع) أخطأ فيها ناطق (1) من الموالي فقال أبو الأسود: هؤلاء قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو عملنا لهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول.

فأي علاقة بين الخطأ في مخرج حرف وبين الفاعل والمفعول؟

ثم أورد قصة طويلة ص 60 - 61 لا يشك الباحث الناقد أنها حديث خرافة.

إن الذي انتهيت إليه من تتبعاتي: أن نسبة النحو إلى علي عليه السلام هي إحدى النسب التي أكل الدهر عليها وشرب.

ولكن روح الحزبية في وقته أملى كثيرًا من التلفيق ... وعقب التلفيق محاولة المساهمة بين علي وزياد بإحداث قاسم مشترك بينهما، أو بين

الحزب العلوي والحزب الأموي، فكان القاسم أبو الأسود الدؤلي والذي قرَّ عليه رأيي أن وضع علم النحو حدث في وسط المجتمع الإسلامي، وليكن،العراقي غير منظور فيه إلى فلان وفلان ... حتى نضج في زمن الخليل أو أنضجه الخليل، وكان كتاب سيبويه المعجزة العربية الخالدة، بعد كتاب الله العربي الخالد ...

1- أصل العبارة مالك يا سعد! لا تركب؟ قال: إن فرسي ضالع، أراد ظالعا، فضحك بعض من حضر وإنما ضحك لأن معنى (ضالع) عكس معنى (ظالع)، ومنه: (لا يبلغ الطالع شأو الضليع)، وهذا دليل على جهل من لا يفرق بين الضاد والظاء. (منه). قلت والطالع الضعيف الأعرج والضليع العظيم الخلق الشديد.

وما يُقال من أن علماء الإسلام أخذوا النحو من علماء أهل الكتاب لا دليل عليه وإن كان غير ممنوع بل نشأ في وسط كان مزيجًا من العرب والموالي فهو نتيج ذلك المزيج دون تفصيل.

تعليق على ص 14 – 15:

قال ابن أبي الحديد في ص3: اتفق شيوخنا – المعتزلة – المتقدمون منهم والمتأخرون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية، وإنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالإجماع ...»

بعده واختلفوا في التفضيل، فقال قدماء البصريين كعمرو بن عبيد – رأس المعتزلة بعد واصل – ... إن أبا بكر أفضل من علي، وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة كترتيبهم في الخلافة بتلخيص.

وهذا الذي وقع عليه إجماع الجماعة ولا عبرة بالشواذ، ثم قال:

وقال البغداديون قدماؤهم ومتأخروهم: إن عليا أفضل من أبي بكر»!

فليت شعري ما الذي طرأ على البغداديين حتى عاجوا؟ هذا موضع نظر!

إنه ليس هناك إلا السياسة فلينظر مدى اتصال هؤلاء بالسياسة، وأول من برز في إقحام السياسة في الدين هو المأمون ومذهب المأمون في الاعتزال والتشيع معروف ... فهو أول من ربط بينهما واضطهد العلماء. وتبعه أخلافه، حتى جاء المتوكل فطرد الفريقين وعَوَّل على أهل الحديث، ونسي الأحاديث المائعة المترعة بها المجلدات!

فوجه المطرودون من البلاط العباسي وجهتهم نحو الثائر الزيدي في جبال

الـديلم فوقع (التساقي) بين الفريقين ... واتفقوا على (قاسم مشترك)، وهو أن زيـدًا كان تلميـذًا لواصل بن عطاء رأس الاعتزال (1)، والواضع لقواعـده، وتغـاضوا عن أن واصـلا كان منحرفًا عن علي! وكان حر الفكر لا يبالي بمن خالف ... وربما كان زيـد لم يواجه واصـلا بله أنه قرأ عليه!

ولعلك تقنع بما سقته إليك إذا نقلت لك هذه المواربة:

قال ابن أبي الحديد: «وإلى هذا المذهب ذهب أبو علي الجبائي (2) أخيرًا، وكان قبلُ من المتوقفين كان يميل إلى التفضيل ولكن لا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته وقال في كثير من تصانيفه: (إن.

1- كما في الملل والنحل للشهرستاني (1 / 155)، و«طبقات المعتزلة»؛ لابن المرتضى (ص 33 - 34)، وتُنظر: رسالة تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة»؛ للأستاذ عبداللطيف الحفظي، ص (265 - 266).

2- الجبائي من معتزلة القرن الثالث وهو شـيخ الإمام الأشعري، شيخ السنة. (منه). قلت: الأشعري عاد إلى السنة بتصنيفه كتاب «الإبانة»، الـذي قـال في أوله: «فإن قال لنا قائل: قـد أنكرتم قول المعتزلـة والقدريـة والجهميـة والحروريـة والرافضـة والمرجئـة، فعرفونا قولكم الـذي به، تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له: قولنا الذي نقول، به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا(,وجل عن)، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سـلم، وما، روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمـد بن محمـد بن حنبل - نضـر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق ودفع به الضـلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقـدم، وجليل معظم وكبير مفهم. وجملـة قولنا: ... - ثم ساق معتقد أهل السـنة ... وانظر: رسالة «أبو الحسن الأشـعري؛ للشـيخ حماد الأنصاري رحمه الله.

صح خبر الطائر فعلي أفضل).

فانظر ما معنى (أخيرا)؟ وما معنى (كان قبل ...)؟ وما معنى كان يميل ولا يصرح)؟

أكان الجبائي يقول بالتقية، وهو المعتزلي الجريء؟ وهو شيخ المعتزلة في عصره، ولهذا ألحوا عليه!

بعده: «إن أبا علي ما مات حتى قال بتفضيل علي! نُقل ذلك عنه سماعا ولم يوجد في شيء من مصنفاته.

بعده: «إن أبا علي يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم، وكان قد ضعف عن رفع الصوت، فألقى إليه أشياء من جملتها تفضيل علي.

ألا ترى أن رائحة النفاق تفوح من هذا التلون؟ وما الداعي إلى هذا الاهتمام؟ ومتى كان التفضيل من الأصول الخطيرة التي يُخشى على المسلم أن يموت دون القطع بها؟ (1) وما هذا الإلحاح على الجبائي حتى النفس الأخير؟

ثم نقل أسماء المعتزلة الذين يفضلون عليا على عثمان، وهو خطوة إلى الإمام في نظر المشغوفين بالأوهام.

ومن الغريب أن نجد صيغة (الترضي) في ردف كل معتزلي قال بتفضيل علي، وليس لها أثر إثر أبي بكر ولا عمر مع أنهما هما اللذان ساقا الخلافة إلى علي عليه السلام، وهؤلاء لم يسوقوا إلا ألفاظًا فارغة!.

1- سبق أن مسألة المفاضلة من مسائل العقيدة.

وبعد أن نقل وجوه الرأي في التفضيل اختار هو الوجه الآتي:

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون»، هكذا ... اعتباطًا!

وعلى سبيل المصادفة عثرت في الجزء الرابع ص 317 على ما يتصل ببحثنا: وروى ابن ديزيل ... قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا؟ إن وليكم الله وإن إمامكم علي بن أبي طالب، فناصحوه،وصدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك».

وقبل أن يفتش عن صحة هذا الحديث يطفر هذه الطفرة: «فإن قلت: هذا نص صريح فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟».

يجيب عن هذا الاعتراض البارد بقوله: «يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة» فكان جوابه أبرد من السؤال.

وكأنه شعر ببرودة هذا الجواب وأخذته منه قشعريرة ... فعطف عليه قوله: وأيضا فإنّا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصله: أن الإمامة كانت لعلي إن رغب فيها ونازع عليها وإن أقرها في غيره وسكت عنها، تولينا ذلك الغير، وقلنا بصحة خلافته وأمير المؤمنين لم ينازع الأئمة الثلاثة، ولا جرد السيف ولا استنجد بالناس فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه ... فلذلك توليناهم وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح، ولو حاربهم وجرد السيف عليهم واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه في من عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل». أي يكون حالهم كحال الخوارج، أو كحال أصحاب الجمل قبل التوبة، أو كحال معاوية.

ص: 211

فانظر إلى نوك الطبقة التي ينتمي إليها ابن أبي الحديد من المعتزلة،المعتزلة للمنطق السديد.

وإنما اشترطوا تجريد السيف والاستنجاد بالناس كيلا يرد عليهم أن نهج البلاغة طافح بالتذمر من الثلاثة، فكيف صحت خلافتهم؟ والجواب أن التذمر لا يضر ما لم يجرد سيف! فعفاءَ على تلك العقول الهزيلة التي اتخذت من تحكيم العقل مهزلة.

ومن غريب أمر محكمي العقل ... أنهم حكموا العقل في ما ليس للعقل فيه مجال؛ كالمسائل الأزلية المعقدة ... وأهملوا العقل في ما للعقل فيه مجال؛ كالنقول المائعة ...

ص: 212

إرداف التشريح بما يزيد في التوضيح

مما اتفقت لي مطالعته كتاب عنوانه: (أثر التشيع في الأدب العربي بقلم (محمد سيد كيلاني) (1) من مطبوعات (دار الكتاب العربي بمصر)؛ وكنت علقت عليه في حينه، ولكن لم يكتب للتعليقات أن تنشر في حينها، ولما كان البحثان متناسبين، وجدنا من المناسب إرداف التشريح بما يزيد في التوضيح.

إن الكتاب في جملته فتح في حرية البحث في أكثر المواضيع الإسلامية خطرًا، ومؤلفه ممن امتاز بالجرأة والصراحة والتجرد من مؤثرات العصبية الممقوتة ... وهذا الذي جعلني أدعو بحثه فتحًا في الموضوع، إلا أنه فتح يعوزه تسديد هو فتح في الجملة لا في التفصيل، وذلك أن المؤلف – سدد الله خطاه – اقتحم عقبة لم يستعد لها الاستعداد الكافي.

لا شك أن المؤلف حرر نفسه من الطائفية المنبوذة ... لكنه لم يستطع على ما ظهر لي التحرر من رواسب الدس الشعوبي، والتحرز من الألغام التي بثها خصوم الإسلام في تاريخ الإسلام تحت أغشية القرون المتطاولة.

1- وهو كتاب أدبي مفيد؛ إلا أن صاحبه شانه بجرأته على الصحابة(رضى الله عنهم)، معتمدا على الروايات الموضوعة والضعيفة – كما سيأتي. – ومدح الملاح له؛ لتوافقهما في هذه الصفة «الجرأة». وقبح الله جرأة تورد صاحبها المهالك.

قال – حفظه الله – في الفصل الأول من الباب الأول: اعتاد بعض قدامى المؤرخين أن يسلكوا في كتابة تاريخ الصحابة مسلكا عجيبا. فتراهم يطمسون بعض الحقائق طمسًا غريبًا؛ بإغراقهم في المدح والثناء بحق وبغير حق ...».

وكان على المؤلف إذ نصب نفسه حكمًا أن يجمع بين مسلكي الخصمين ثم يحكم ... كان عليه أن يجعل إزاء هذا المسلك العجيب المغرق في المدح مسلكًا عجيبًا آخر يضاده، وهو مسلك من يطمسون) الحقائق طمسًا غريبًا بإغراقهم في القدح؛ ليصدر حكمًا عدلا يستخرجه من بين المسلكين المتناقضين المتناهضين.

لا نقول: إن المؤلف أغفل المسلك الثاني فقد وفاه حقه في ما بعد،ولكن نقول: كان عليه أن يجمع بين المسلكين ثم يحكم.

إن المؤلف سجل على نفسه طريقة رشيدة، لكنه لم يحكم التزامها، وتلك الطريقة مستفادة من قوله: وسواء رضي هؤلاء أو غضبوا، فإني أوثر أن أنهج نهج العلماء المحققين الذين يضعون الحقيقة فوق كل اعتبار».

أما وضع الحقيقة فوق كل اعتبار فهو مما ازدان به بحث المؤلف، وأما الوعد بنهج نهج العلماء المحققين فقد تخلف في أنحاء من بحثه، وإن لم يكن متعمدا إخلاف الوعد.

مثال ذلك: قوله حين وضع قدمه على عتبة البحث ص 2: «ما كاد النبي يلفظ النفس الأخير حتى تحركت أطماع الصحابة في منصب الخلافة»! وهذا ما لا نؤاخذه عليه؛ لأنه حكم ملائم للطبيعة البشرية، ولكن الذي نؤاخذه

عليه قوله: وأظهر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وتكشفت النفوس عما تنطوي عليه من أمور كانت مستورة مدة حياة النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعد ساعات قليلة من وفاته.

أنا لا أعتقد عصمة الصحابة، ولكن أقول: إن المؤلف انجرف برواسب نزعة هدامة لنزع الثقة بالسلف من قلوب الخلف، والغارسون لهذه النزعة غير مجهولين فقد زعموا أن فلانا مع رجال سموهم اجتمعوا عند الكعبة قبيل وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم وتأمروا، وعقدوا بينهم عقدًا، وكتبوا عهدًا، إلى غير ذلك من الشنع التي حشيت بها مأفكة رجل (مزعوم)، زعموا أن اسمه (سليم بن (قيس) (1)، فزلقت قدم المؤلف بدسيسة (المتآمرين) على الإسلام، المفسرين.

1- أجاد الشيخ بندر الشويقي في تبيين حقيقة هذا الكتاب في رسالته أصول الحديث وعلم الرجال عند الإمامية» - قيد الإعداد وأنقل منها هذا المختصر: كتاب سُليم بن قيس الهلالي العامري جزء صغير يتضمّن أخبارًا تاريخيةً متقدمةً جدًا تدور حولَ ولايةِ علي عليه السلام هو الأحد عشر من ولده. وهذه الأخبار مما عاصره سليم فرآه، أو عاصره لكن غابَ عنه، فرواه عمَّن سمعه ورآه ورآه من أعيان الصحابة؛ كسلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد، ونحوهم من النَّفرِ القليل من الصحابة الذين لا تتديَّنُ الإمامية ببغضهم. وقد تضمنتْ أخبارُ الكتاب وقائع وأقوالا شنيعة مستقبحةً على لسان علي وبنيه، فيها ذم الخلفاء الثلاثةِ وغيرهم من خيارِ الصَّحابة ومقدَّميهم وإظهارهم في صورة الكفار المنافقين المتآمرين على نكث عهد النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - لعلي. بل جاء في بعض طرق الكتاب على لسانِ راويه أبان بن أبي عياش، أنه أول ما قرأ أخبار الكتاب استعظمها،واستشصعبها، لأن فيها هلاك جميع أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم، من المهاجرين والأنصار والتابعين غير علي بن أبي طالب وأهل بيته وشيعته. لكنَّ الراوي يذكر بعد هذا أنه رحلَ بالكتابِ إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين، فسأله عنه، وقرأه عليه، فأقره وصحح مافيه!. وليس في المصادر التاريخية السُّنية ما يفيد شيئًا حول شخصية سُليم بن قيس وعدالته، وقد أورد اسمه ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا (214/4). ووجدتُ له ذكرًا في سند روايتين موقوفتين؛ إحداهما عن سحيم ابن نوفل عن ابن مسعود عند ابن أبي شيبة (487/7) والأخرى عن أبي مسعود البدري في (ذم الكلام) للهروي (89 - 87/4). وثمة رواية ثالثة عند عبد الرزاق (11 /360)، ومن طريقه الحاكم (498/4) عن سليم، عن عمر بن الخطاب لكن وقع فيها: سُليم بن قيس الحنظلي)، فلا أدري من يكون. وأما في المصادر الإمامية، فهو مترجم في: رجال النجاشي (ص8)، اختيار معرفة الرجال،(321/1)، رجال الطوسي (ص 114)، الفهرست (ص 4314)، معجم رجال الحديث (226/9). و سٌليم بن قيس معدود - عند الإمامية - في أصحاب علي بن أبي طالب وأوليائه. وفي أخبار كتابه لو صح - ما يدلُّ على أن مولده كان قبل الهجرة بسنتين، مع أن لغة الكتابِ لا يمكن أن تنتمي لذلك الزمان المتقدم، ولا لقريب منه يقول ابن النديم: «أول كتاب ظهر للشيعةِ كتابُ سُليم بن قيس، رواه أبان بن أبي عياش. لم يروه غيره. وقد ذكروا قصة طويلة في كيفية تلقي أبان للكتاب من سليم. ومع تضعيف علماء السنة لهذا الكتاب، فقد وافقهم أحد علماء الشيعة؛ فقد جاء في كتاب الرِّجال المنسوب لابن الغضائري عن أبان: ضعيف لا يُلفتُ إليه، وينسِبُ أصحابنا وضعَ كتابِ سُليم بن قيس إليه». وقد فصَّلَ ابنُ الغضائري نقده للكتاب في موضع آخر، فقال: الكتاب موضوع لا مريةً فيه ... وعلى ذلك علامات فيه تدلُّ على ما ذكرناه منها: أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند موته. ومنها: أن الأئمة ثلاثة عشر. قابنُ الغضائري يستدلُّ على وضع الكتاب بدليلين وردا فيه: أحدهما يتضمن خطا تاريخيًا، والآخر يتضمن ما يصادم أساس معتقد الإمامية الاثني عشرية في عدد الأئمة. أما الخطأ التاريخي: فهو وعظ محمد بن أبي بكر الصديق لأبيه عند وفاته. فمن المتفقِ عليه تاريخيًا أن محمد بن أبي بكر إنما وُلد بذي الحُلَيفةِ في حجة الوداع، وكان عمره عند وفاة أبيه الصديق سنتين وبضعة أشهر، فلا يُتصوّر أن يعظ أباه وهو في هذا السنّ. وإذا كانَ بعض علماء الطائفة استشكلوا موضعين من الكتاب، وتحدثوا عن خطأ تاريخيّ واحدٍ وقع في متنِ الكتاب واجتهدوا في تأويله، فإني رأيتُ فيه مع صغره خمسة أخطاء تاريخية أخرى!!

الخطأ الأول: يتعلق بخبرٍ طويل ورد في الكتاب عن علي، ذكر فيه أن خمسةً الصحابة تآمروا وكتبوا صحيفة في الكعبة في حجة الوداع تعاهدوا فيها على أنه إن قتل الله محمدا صلى الله عليه و آله و سلم أو مات أن يتواروا ويتظاهروا على عليّ فلا يصل للخلافة والخمسة هم (أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة وسالم مولى حذيفة ومعاذ بن جبل)، وقد تكرر ذكر هذه المؤامرة في موضعين من الكتاب وجاء في خبر آخرَ أن أولئك الخمسة كانوا أول من بايعَ الصِّديق في سقيفة ساعدة. الخطأ و الذي وقع فيه واضعُ هذه الأكذوبةِ أن معاذ بن جبل وهو أحد أولئك الخمسة، لم يشهد حجة الوداع، ولا شهد بيعة أبي بكر؛ إذ كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعثه إلى اليمن في السنة التاسعة، فلم يرجع منها إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم في خلافة أبي بكر. الخطأ الثاني: جاء في الكتاب على لسانِ سُلَيم أن معاوية بن أبي سفيان وهو بصفّين – دعا أبا الدَّرداء وأبا هُرَيرةَ، فقالَ لهما: انطلقا إلى عليّ فأقرئاه مني السلام وقولا له ... فذكر خبرًا طويلًا فيه مراسلات بين عليّ ومعاوية. وأبو الدرداء لم يدرك صِفِّينَ، فإنه توفي في خلافة عثمان سنة اثنتين أو إحدى وثلاثين وكانت بداية حروب صفّين أول سنة سبع وثلاثين. الخطأ الثالث: جاء في الكتاب عن عليّ، وهو يذكر موقعة الجمل: «سِرتُ إليهم في اثني عشر ألفًا، وهم نيف على عشرين ومائة ألفٍ فَنَصَرني الله عليهم وقتلهم بأيدينا ...». وفي موضع آخر يقولُ سُليم بن قيس: شهدت يومَ الجمل عليا، وكنا اثني عشر ألفًا، وكان أصحاب الجمل زيادةً على عشرين ومائة ألف». و من المقطوع به أن أهل البصرة يومَ الجَمَلِ لم يبلغوا هذا العدد ولا قريباً منه. وأكثر ما قيل فيهم أنهم كانوا قريبًا من الثلاثين ألفًا، أو أقل من ذلك. هذا ما تذكره المصادر التاريخيةِ السُّنيَّةَ، بل هو ما رأيته في مصادر الإمامية أيضًا الخطأ الرابع: جاء في الكتاب ذكرُ مناظرةٍ أيام معاويةَ جرت بينه وبين عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بحضور الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وأخيه الفضل. والفضل بن عباس لم يدرك خلافةً معاوية؛ إذ كانت وفاته سنة ثلاث أو خمس عشرة، وخلافة معاوية ابتدأت عام الجماعة سنة إحدى وأربعين. وقد أشار المحقق إلى سقوط اسم الفضل من بعض النسخ. ورأيتُ بعض المصادر المتقدمة تروي الخبر من طريقٍ سُليم، فتذكر أسامة بن زيدٍ مكان الفضل. لكن يبدو أن هذا اضطراب آخر قديم فقد رُوي الخبرُ أيضًا – بذكر الفضل من طريق سليم في مصادر أخرى متقدمةٍ. الخطأ الخامس: جاء في الكتاب أن عمر حين استُخلِف شرع في جمع القرآن، وأن طلحةَ سمعه يقول حينها: إنه قد قُتلَ يومَ اليمامة رجالٌ كانوا يقرأون قرآنا لا يقرؤه غيرهم، فذهب، وأنه سأل عليا أن يبعث إليه ما عنده من القرآن فأبى. وفي هذا الخبر من الخلل أن جمعَ الصحابة للقرآن وقعَ في خلافة عمر، بعدما قتل القراء باليمامة. وهذا خلاف النقل المتواتر المعروف أن الجمع وقع في عهد الصديق. واليمامة كانت بعيد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم مباشرةً حين ارتد أهل اليمامة فحاربهم الصديق فقُتل في حربهم الكثير من القراء، فأشار عمرُ على الصديق بجمع القرآن».

لتاريخه تفسيرًا،بحتًا، وليس ما استدل إليه المؤلف من بنات أفكاره.

وما أظن المؤلف إلا مشاركًا لنا في أنَّا إذا انـدفعنا مع ريـح تلك الدسـيسة ساقتنا إلى ما لا يُحمد من الريبة في الرسالة نفسـها، وفي صاحبها نفسه، كما لا يخفى على المتأمل!

إن استشهاد المؤلف بالنقل عن مثل كتاب الإمامة والسياسة» (1)،.

ص: 218

1- وهو كتاب مكـذوب على ابن قتيبة - رحمه الله تعالى؛ كما بين هذا عدد من الباحثين، منهم الدكتور عبدالله عسـيلان في رسالته كتاب الإمامة والسـياسة في ميزان التحقيق العلمي، وهذا ملخص ما أورده من أدلة مع زيادات؛ لإبطال نسبة الكتاب لابن قتيبة رحمه الله: 1 - أن الـذين ترجموا لابن قتيبـة لم يـذكر واحـد منهم أنه ألف كتابًا في التاريـخ يُدعى الإمامة والسـياسة ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف، والكتاب الـذي ذكره صاحب كشف الظنون باسم (تاريـخ ابن قتيبة) والذي توجد نسـخة منه بالخزانة الظاهرية بدمشق رقم (80) تاريخ. 2 - أن المتصـفح للكتـاب يشـعر أن ابن قتيبـة أقـام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغـداد إلا إلى دينور. 3 - أن في الكتـاب ما يخالف أمورًا متفقا عليها، مثال ذلك ما ذكره تحت عنوان (إبايـة علي كرم الله وجهه بيعـة أبي بكر رضـى الله عنه) يقول: (ثم إن عليـا كرم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبـد الله وأخو رسوله فقيل:له بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهـذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي!! بينما الثابت في كتاب ابن قتيبة المتفق على نسبته إليه وهو كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة)، (ص 47) أنه يرمي الرافضة بالكفر وذلك لطعنهم بصـحابة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فيقول: «وقد رأيت هؤلاء أيضًا حين رأوا غلو الرافضة في حب عليّ وتقديمه على من قدمه رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم وصـحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه و آله و سـلم في نبوّته وعلم الغيب للأئمـة من له ولـده وتلك الأقاويل والأمور السـرية التي جمعت إلى الكـذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ورأوا شـتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرؤهم منهم. فكيف يُنسب له بعد هذا كتاب مشحون بالطعن في الصحابة الكرام؟! 4 - أن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف الإمامة والسياسة يختلف تماما عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا ومن الخصائص البارزة في منهـج ابن قتيبـة أنه يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسـير صاحب الإمامة والسياسة، فمقدمته قصيرة جدا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة. 5 - يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشـكل يُشـعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قاضـي الكوفة توفى سـنة 148، والمعروف أن ابن قتيبـة لم يولـد إلاـ سـنة 213 أي بعـد وفـاة ابن أبي ليلى بخمسـة وستين عامـا!! 6 - أن المستشـرقين اهتموا بـالتحقيق فى نسـبة الكتاب وأول من اهتم بـذلك المستشـرق (دي جاينجوس) في كتابه تاريـخ الحكم الإسـلامي في أسـبانيا) ومن ثم أيـده الدكتور (ر. (دوزي) في كتابه التاريخ السياسـي والأدبي لأسـبانيا)، وذكر الكتاب كل من بروكلمان في تاريخ الأدب العربي والبارون دي سـلان في فهرست المخطوطات العربية بمكتبة باريس باسم أحاديث الإمامة والسياسة ومارغوليوس في كتابه دراسات عن المؤرخين العرب، وقرروا جميعاً أن الكتاب منسوب إلى ابن قتيبة، ولا يمكن أن يكون له. 7 - أن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب. 8 - يبدو من الكتاب أن المؤلف يروي أخبار فتح الأندلس مشافهة من أناس عاصـروا حركة الفتح من مثل: (حدثتني مولاة لعبد الله بن موسى حاصر حصنها التي كانت من أهله والمعروف أن فتح الأندلس كان سنة،92 أي قبل مولـد ابن قتيبة بنحو مائة وواحد وعشـرين عامًا!! 9 - أن كتاب الإمامة والسـياسة يشتمل على أخطاء تاريخية واضحة، مثل جعله أبا العباس والسـفاح شخصـيتين مختلفتين!! وجعل هارون الرشـيد الخلف المباشـر للمهدي!! واعتباره أن هارون الرشـيد أسند ولاية

العهـد لابنه المأمون ومن ثم لابنه الأمين!! وإذا رجعنا إلى كتاب المعارف لابن قتيبة نجده يمدنا بمعلومات صـحيحة عن السـفاح والرشـيد تخالف ما ذكره صاحب الإمامة والسـياسة ... 10 – أن في الكتـاب رواة لم يرو عنهم ابن قتيبـة في كتاب من كتبه؛ من مثل (أبي مريم وابن عفير). 11 – ترد في الكتاب عبارات ليست في مؤلفات ابن قتيبـة؛ نحو (وذكروا عن بعض المشـيخة)، (حدثنا بعض المشـيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسـلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد في كتاب من كتبه. 12 – من الملاحظ أن مؤلف الإمامة والسياسة لا يهتم بالتنسيق والتنظيم، فهو يورد الخبر ثم ينتقل منه إلى غيره، ثم يعود ليتم الخبر الأول، وهذه الفوضى لا تتفق مع نهج ابن قتيبة الذي يستهدف التنسيق والتنظيم. 13 – أن مؤلف الإمامـة والسـياسة يروي عن اثنين من كبار علماء مصـر، وابن قتيبـة لم يدخل مصـر ولا أخذ عن هذين العالمين. 14 أن ابن قتيبـة يحتل منزلة عالية لدى العلماء، فهو عندهم من أهل السـنة وثقة في علمه ودينه، يقول السـلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السـنة، ويقول ابن حزم: كان ثقـة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغـدادي، ويقول عنه ابن تيميـة: وإن ابن قتيبـة من المنتسبين إلى أحمد وإسـحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ... وهو خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة»، فرجل هذه منزلته لـدى رجال العلم المحققين هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب الإمامة والسـياسة الذي شوّه التاريخ وألصق بالصـحابة الكرام ما ليس فيهم؟! «وقال الشـيخ الـدكتور علي نفيع العلياني – وفقه الله – في كتابه عقيدة الإمام ابن قتيبة»،(ص 90 – (93): وبعد قراءتي لكتاب الإمامـة والسـياسة قراءة فاحصـة ترجـح عندي أن مؤلف الإمامة والسـياسة رافضـي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة؛ نظرا لكثرتها، ونظرًا لكونه معروفًا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سـمعة حسـنة في المغرب، ومما يرجـح أن مؤلف الإمامـة والسـياسة من الروافض ما يلي: 1 – أن مؤلف الإمامـة والسـياسة ذكر على لسـان علي عليه السـلام أنه قال للمهاجرين: الله الله 1 – يا معشـر المهاجرين لا تُخرجوا سـلطان محمـد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فو الله يا معشـر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهـذا الأمر منكم ... والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضـلوا عن سبيل الله ولا أحـد يرى أن الخلافـة وراثية لأهل البيت إلا الشـيعة. 2 – أن مؤلف الإمامة والسـياسة قدح في صحابـة رسول الله قـدحا عظيمًـا؛ فصوّر ابن عمر جبانا وسـعد بن أبي وقاص حسودًا، وذكر أن محمـد بن مسـلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحبًا اليهودي بخيبر، وأن عائشة (رضى الله عنها)أمرت بقتل عثمان. والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة. 3 – أن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصـعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم، ولم يـذكر خرافاته وادعاءه الوحي، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيـد لكونه انتقم من قتلة الحسـين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السـلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه المعارف، (ص 401). 4 – أن مؤلف الإمامة والسـياسة لم يذكر دور عبدالله بن سبأ في الفتنة، ولم يذكر اسمه مطلقًا في كتابه في حين أن أغلب العلماء الـذين كتبوا عن الفتنة التي وقعت بين الصـحابة ذكروا دور عبدالله بن سـبأ، وممن ذكر ذلك ابن قتيبة في كتابه «المعارف»، (ص622)، فدل على أن مؤلف الإمامة والسياسة من الرافضة؛ لأنهم يُنكرون أن يكون أصل مذهبهم مقتبس من اليهود. – 5 إن مؤلف الإمامة والسـياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمسا وعشـرين صـفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصـحابة مائتي صـفحة، وهذا يُخالف منهج السـلف الصالح الذين يُمسـكون عما شـجر بين الصحابة، مما يدل على أن مؤلف الإمامة والسـياسة له غرض شـيطاني، إذ يختصـر التاريخ الناصع المشرق، ويُسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة، نعوذ بالله من الضلال والخذلان. انتهى. قلت: وقد قال الملاح نفسه عن كتاب «الإمامة والسياسة»: «المفتعل، المملوء خُبثًا وزندقة». (مجموع السنة: 77/2).

المنسوب إلى ابن قتيبة لا نقرّه عليه؛ لأن في هذا الكتاب خليطا من غث وسـمين ولم تتحقق نسبته إلى ابن قتيبة، ولكنّا مع ذلك لا نرى بأسًا بالفقرة التي نقلها لقربها من الطبيعة الإنسانية!

إن أبا بكر:قال والله إني لشديد الوجع ولما ألقى منكم يا معشر المهاجرين، أشدُّ عليَّ من وجعي! إني وليت أمركم ولست خيركم في نفسي

ص: 222

فكلكم ورم أنفه إرادة أن يكون هذا الأمر له، وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت!».

فانظر كيف ربط (ورم الأنف) بإقبال الدنيا على يده عليه السلام، والمستنبط من هذا أن التهالك على منصب الخلافة ظهر له شكل يُحس بعد اجتماع السقيفة بمدة

وإنما اشتد وجع أبي بكر من المهاجرين؛ لأنه هو الذي استنقذ الخلافة لهم من الأنصار، ولولاه لما صارت إليهم ولاستبد بها الأنصار، ووقع الشقاق بين الفريقين وكان من ذلك ما لا تُعلم عواقبه!

وفي كلمة أبي بكر إيماء إلى الجحود الذي ابتلي به وهو على قيد الحياة.

إن وصف المؤلف للحالة، أو الوصف الذي تبناه مخدوعا ... يشبه وصف وُضع لمُلك جسماني عضوض بمعزل من الروح والعقيدة والأخلاق، ولو كان الأمر كذلك لما قام للإسلام بناء، ولكانت الجاهلية على حالها، لا تأثير فيها للنبوة.

ولو كانت الجاهلية على حالها، ولو أن الأطماع الإنسانية لم تلطفها النفحات النبوية لما كان منتظرًا أن يُسلم المنصب لمثل أبي بكر، ولا كان منتظرًا منه أن يقول: (وليت أمركم ولست خيركم في نفسي).

لندع البحث في العقيدة جانبًا، ولنقل: أليس القرآن وثيقة تاريخية لا تعلوها وثيقة؟ فما نصنع بالشهادات الواردة في قوله: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ) وقوله: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بينهم)، وقوله: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبهم) (1).

قل لي بربك: بأي قوة استطاع أبوبكر القيام بالأمر أحسن قيام وليس له مكنة الأنصار وهم أهل الديار، ولا عصبية بني أمية وهي العصبية التي لا تناهضها عصبية ولا وجاهة بني هاشم التي تضاعفت بالنبوة، ولم يكن ذا ثراء عظيم يرشو به هذا ويحبو به ذاك ... والقرآن يقول: (وَلَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ؟

لو كان عثمان هو الذي قدّم؛ لربما قيل إنه قُدّم بعصبية بني أمية ونفوذها في العرب.

ولو أن عليًا هو الذي قُدّم؛ لقيل إنما قُدّم لوجاهة بني هاشم، تضاعفها القرابة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم فأبو بكر إنما قدم لمؤهلاته الذاتية تدعمه الروح الطاهرة،المسئولية وإلا فكيف استطاع ضبط الأمر وإخماد جذوة (العداوة والبغضاء كما ادعى المؤلف؟ لولا أن هناك وازعا دينيًا قضى على الاعتبارات الجاهلية الموروثة وساعد الصديق على إنقاذ خطط الرسالة كما أراد صاحب الرسالة.

وبالتغلب على الاعتبارات الجاهلية التي كانت توسوس بها نفوس بعضهم ... تجردت خلافة أبي بكر من الشوائب فكانت امتدادًا لظل النبوة د.

1- هنا أجاد الملاح في نُصحه لصاحب كتاب أثر التشيع في الأدب، فتزكية القرآن للصحابة - رضي عنهم أجمعين - أصل ثابت ينبغي أن يُرد له كل متشابه أو مشكل، وهذا ما فعله أهل السنة - ولله الحمد.

بل كانت امتدادًا لعصمة النبوة، بل كانت معجزة من معجزات الإسلام عجز الخلف أن يأتوا بمثلها.

وكان عهـد عمر امتـدادًا لتلك المعجزة ... وكانت أيام عثمان الزاهرة امتـدادًا لذلك الامتداد إلى حين، ثم انقطع الحبل بالخلافة الراشدة، إذ ليس الرشـد في التصـميم على إقامة أحكام الشـريعة على وجهها ... ما لـم يقرن بها النجاح في إقامة السـياسة، كما أنه ليس الرشد في إقامة السياسة وحدها.

ولهذا لـم تحظ خلافة معاوية بصفة الرشد، فتأمل، فالموقف دقيق.

إنه لا مناص من القول بأن الخلافة الراشدة كانت امتدادًا لعصمة الرسالة،

والشك في عصمتها يؤول بنا إلى شكوك خطيرة يصعب تلافي عواقبها.

في ص 3: تورط المؤلف في نسـبة القول الآـتي إلى عمر مخاطبًا به الأنصار يوم السـقيفة: من ينازعنا سـلطان محمـد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته» (1)، وبنى عليه حكمًا قاسـيًا، حيث قال: فأنت ترى عمر في كلامه هـذا كان أول من أحيا العصبيـة، وجعل النبي ملكا على على سلطان!

لقد كان على المؤلف أن يمحص الخبر أولاً ثم يحكم، وكان قد وعد بأنه ينهج نهج العلماء المحققين.

إنه لا ينبغي أن نتجاهل أن للنبوة سـلطانًا؛ لأن الإسـلام دين وسـياسة، إلا أن سـلطان النبوة بريء من أن يكون مظنة الشـهوات؛ كالسـلطان المادي الذي تتطلبه النفوس وتحرص على ميراثه بل هو وظيفة شاقة يتفاداها من يحتاط ق.

1- ينقلها من كتاب «الإمامة والسياسة؛ (1) / 15) المكذوب على ابن قتيبة - كما سبق.

لآخرته، ولذلك قال عمر لما طلب إليه أن يوصي لولده: حسب آل الخطاب أن تحملوا ما تحملوا!

ونسبة الملك أو السلطان إلى محمد مما اشتهر به علي رضى الله عنه، كما جاء في صه من الكتاب وعبارته: لا تُخرجوا سلطان محمد من داره، وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم.

وفي نهج البلاغة تعبير (ملك ابن أمي) أو (ملك ابن عمي! والذي أراه أن الكلمة مدسوسة على عمر لتسويغ نسبتها إلى علي! فإذا قيل: كيف يقول علي مثل هذا وهو أستاذ الفقه على حد تعبير بعض المعبرين؟ قيل: قد سبقه إلى ذلك!عمر!

ويقال هنا: أكان علي مقلدًا لعمر؟ أم كان هو الموجه لسياسة عمر كما يزعم الزاعمون؟ ويرون بجرأة أن عمر قال: (لولا على لهلك عمر) (1) عشرات المواطن؟

ومن هذا الباب قول المؤلف: كان واجب العدل يقضي أن تكون الخلافة لعلي ما دامت القرابة اتخذت سندا ص. 5

فيقال له: إن الحكمة السياسية كانت تقضي أن تكون الخلافة محصورة في دائرة معينة إن صح حديث (الخلافة في قريش أو لم يصح، سوى أن هناك دائرتين دائرة ضيقة وهي دائرة القرابة القريبة ودائرة واسعة هي دائرة القرابة البعيدة، والدائرة القريبة منبع تهمة! إذ يقال: إن محمدًا رام ملكًا خلفه.

1- سبق كلام شيخ الإسلام عن هذه المقولة.

لأهله، والقرآن محمدًا يوصي أن يقول: (قُل لَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، والملك أجر كما لا يخفى.

والدائرة القريبة أيضًا – لاسيما إذا حصرت في بيت علي – مظنة الاحتكار إلى قيام الساعة وليس الاحتكار من مصلحة الأمة في شيء، لما فيه من معنى الاستبعاد ولا هو من قواعد الإسلام في شيء، لمن يفقه) قواعد الإسلام!

أما الدائرة الواسعة وهي جعل الخلافة مشاعًا في بيوت قريش، فليس فيها مظنة احتكار ولا ملك مخلف.

نعم،، إن هناك احتكارًا نسبيًا بالنسبة إلى غير قريش من القبائل العربية ولكن من يضمن لنا استقامة الأمر إذا أخذنا بنظرية الإشاعة في قبائل كانت تخلفت عن الدعوة وكانت متربصة ... ومن هنا تعلم قيمة القول المنسوب إلى الكميت:

يقولون لم تورث ولولا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب

ومما تورط فيه المؤلف قوله في ص 5 أيضًا: «لقد كان العباس أقرب إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم وكان أحق الناس بالخلافة، ولكنه تنازل بحقه هذا العلي.

أقول: في طريق العباس إلى الخلافة عدة عقبات تبعده عن الحق المزعوم على تقدير تسليمه ... الأولى: أنه عم النبي صلى الله عليه و آله و سلم فالتهمة لاحقة.

والثانية: أنه ليس له سبق أبي بكر، ومن في طبقته، ولا استقامتهم، فقد كان قبل إسلامه يداهن الطرفين، ولم يدخل في الإسلام إلا بعد أن رأى كفة

الإسلام هي الراجحة (1)، ولولا لحمة القرابة لكان هو وأبو سفيان في المعارضة والمشاكسة والتأخر عن الدعوة سواء، وقد سبقه إلى المشاكسة أخوه أبو لهب الذي نزل في ذمه القرآن.

فدعوى القرابة يجب أن تطوى عن هذا الموضوع وحسبها أنها جنت على أهلها جناية كبيرة وفي ضمنها الجناية على الإسلام وتاريخه، واستغلتها الشعوبية حتى خرج الأمر عن أهله.

أما زعم أن العباس تنازل عن حقه لابن أخيه فهو من احتجاج العجائز! ومن أين جاءه الحق حتى يتنازل عنه؟ وكيف جاز له التنازل عنه إن كان حقًا شرعيًا؟.

1- هذا افتراء على العباس رضى الله عنه، بل هي لوثة تسربت للملاح من أعدائه الشيعة فهم مَن اشتهر عنهم الطعن في العباس رضى الله عنه، انظر أقوالهم في: معجم رجال الحديث؛ للخولى، (10 / 252 - 259)، أما أهل السنة فهو عندهم من أجلاء الصحابة ولا يضيره تأخر إسلامه عن غيره كما هو حال كثيرين وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، (6 / 297 سبب إسلامه، وهو أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما طلب منه العباس فداء؛ صلى الله عليه وسلم ادعى أنه لا مال له فقال له: فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب وقلت لها إن قتلت فهو للصبية؟»، فقال: والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله (وجل عن) ... فكانت سبب إسلامه بعد ذلك. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من الإصابة): كان العباس أعظم الناس عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم والصحابة يعترفون للعباس بفضله، ويشاورونه ويأخذون رأيه، ومات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين، وكان طويلا جميلا أبيض». قلت: وقد ورد في فضله قوله صلى الله عليه و آله و سلم: هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفا وأوصلها»، أخرجه الإمام أحمد في المسند (1610)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»،(برقم 3326).

وهل من المعقول أن يكون العباس متصفّا بهذا السخاء وهو الذي كلفه النبي فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب حين أسرا كلاهما في واقعة بدر، فاعتذر بالعدم؟

وهل من المعقول أن يكون العباس متصفّا بهذا السخاء وهو الذي زاحم عليًا على فدَك لما أطلقها له عمر، زاعمًا أنها إرث، وفدَك قرية لا دولة؟ فأين نهج العلماء المحققين الذي وعد به المؤلف في أول كتابه؟.

ومما أؤاخذ المؤلف عليه: إنكاره على عمر احتجاجه على الأنصار بالأسبقية إلى الإسلام ص 5، وقوله ليست هناك أدنى علاقة بين أسبقية المرء إلى الإسلام وبين صلاحيته للحكم. لأن عمر لم يحتج لشخص، بل احتج لفريق المهاجرين، وكان احتجاجه في مصلحة الإسلام؛ لأن الأنصار لو لم يسلموا له لدامت المشادة بين الفريقين ولتطاحنوا وتعاجنوا، ولا نفرط عقد الإسلام منذ ذلك اليوم فالموقف كان يستدعي حشد الحجج التي ليس من حقنا أن نناقش فيها بعد أن أثمرت وكنا نحن من ثمراتها.

ثم إن علاقة الأسبقية بالصلاحية للحكم علاقة وثيقة لمن درس تواريخ المبادئ: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتح)، إذا رافقت الأسبقية مزايا أخرى ... ألا ترى أن عثمان كان أسبق إلى الإسلام من عمر، لأن عثمان أسلم في أوائل الدعوة بسعي أبي بكر رضى الله عنه، وعمر أسلم بعد ست سنين.

وكان احتجاج عمر بسبق المهاجرين إزاء احتجاج الأنصار بأنهم هم (الذين آووا ونصروا)، فالذي أثار احتجاج عمر هو احتجاج الأنصار، ثم إن

الاحتجاج بالصلاحية للحكم وحدها غير كافٍ؛ لأن كلا من الزعماء يرى أنه صالح للحكم، فبمَ يكون التفاضل إذن؟

ولم يكن المؤلف مسددًا حين قال في ص 6: سواء أكان الشيخان وصلا إلى منصب الخلافة بحق أو بغير حق؛ فإنهما من غير شك قد خدما الإسلام خدمة بقي أثرها إلى اليوم!

وذلك أن الحق كان مشاعًا قبل إتمام البيعة، فلا محل لقوله بحق أو بغير حق على سبيل التشكيك كأنه أراد أن يقول: إنهما أخذا المنصب بغير حق، ولكن خدماتهما شفعت لهما!! كلا! إنا لا نجيز لأنفسنا التشكيك؛ فنفتح بابا للمبطلين.

وفي ص 7: ثم مات أبوبكر، واعترافًا منه بفضل عمر عليه ... عهد إليه والظاهر أن أبا بكر وعد عمر فبر بوعده».

لقد استمد المؤلف هذا الحكم من ادعاء أن عليا قال لعمر: احلب حلبًا لك شطره

أولاً: ينبغي التدقيق في صحة الخبر، وما أكثر ما تزيد المؤرخون وأهل القصص؛ ليكون التاريخ دسما، فكان ثلثاه سما.

أما التعبير بفضل عمر على أبي بكر ومقابلة أبي بكر له بالوفاء فما أبعده عن الحقيقة، بل إن عمر أسدى إلى الإسلام خدمة كان فيها رجل الساعة، ولولا موقف عمر لخرجت الخلافة من قريش ولم ترجع إليهم، ولا وقعت بيد على نفسه إلا أن تحدث أمور مطوية عن تقديرنا.

فلعمر الحق: إن لعمر المنة على المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى الساعة: (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِئَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

إنه لولا حزم عمر لانحل حزام الإسلام، ولانقطع سيره من أول ومصلحة الإسلام فوق مصالح الأشخاص والبيوت ... فدعونا من السفسفة!

وكم من دعوى فسرتها الأحداث فكانت لها أو عليها، والأحداث أصدق مفسر وأعدل مسعر فلا تُصعر.

وفي بحث عثمان ص 9 جاء بهذه القصة:

إن عثمان عيَّن على الأقاليم ولاة عرفوا بسوء السيرة واشتهروا بالفسق والفجور ومن هؤلاء الحكام أخوه في الرضاعة الوليد بن عقبة الذي كان حاكمًا على العراق، لقد شرب وأفرط ثم ذهب إلى المسجد إلى آخر القصة!!.

أقول: إن مشبهات لهذه القصة وقعت في كل من عهد عمر وعهد أبي بكر وعهد النبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

ففي عهد عمر اتُهم المغيرة بن شعبة وهو حاكم على العراق أيضًا بقضية زنا! (1) ...

1- من الغريب أن هذه القصة لم يُلاحظ فيها أن المتهم كان أميرًا، ولابد للأمير من دار محصنة وحجاب ... ولم يُذكر فيها نوع المرأة المزني بها! وما كان المغيرة بليدا بحيث يعيا بالدفاع بأن لديه حلالا من الأزواج وملك اليمين، بل أنقذوا الموقف بأن زيادًا وهو أحد الشهود وارب في الشهادة فأفسد نصابها. (منه). قلت: حاشا المغيرة رضى الله عنه عن هذا الفعل الشنيع، وقد قال عنه الذهبي: من كبار الصحابة، أولي الشجاعة والمكيدة شهد بيعة الرضوان كان رجلا طوالا مهيبا ذهبت عينه يوم اليرموك، وقيل: يوم القادسية»، (سير أعلام النبلاء) (21/3). أما قضية الشهادة عليه، فيُجاب عنها بالتالي: 1 - لم يثبت ذلك عليه، وقد جلد عمر صلى الله عليه و آله و سلم الثلاثة الذين اتهموه بالزنا؛ لعدم اكتمال نصاب الشهادة بعد تردد الرابع، وعدم شهادته، ولم يصنع شيئًا مع المغيرة لعدم ثبوت أصل الواقعة شرعًا. 2 - أن كثيرًا من تلك الروايات لم تصح أصلا من حيث إسنادها. 3 - أن ذلك الأمر الذي حصل - إن جزمنا بحصوله،واقعا، وهو ما سبب إشكالا عند كثيرين - لم يكن مع امرأة أجنبية، بل كان مع زوجةٍ من نسائه تشبه تلك التي ادعي عليها فعل الفاحشة مع ذلك الصحابي الجليل قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: يظهر لنا في هذه القصة أن المرأة التي رأوا المغيرة رضى الله عنه مخالطا لها عندما فتحت الريح الباب عنهما: هي زوجته ولا يعرفونها وهي تشبه امرأة أخرى أجنبية كانوا يعرفونها تدخل على المغيرة وغيره من الأمراء، فظنوا أنها هي فهم لم يقصدوا باطلا، ولكن ظنهم أخطأ، وهو لم يقترف - إن شاء الله - فاحشة؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعظم فيهم الوازع الديني الزاجر عما لا ينبغي في أغلب الأحوال، والعلم عند الله تعالى مذكرة في أصول الفقه (ص 152). 4 - أن الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة كان كثير الزواج، فأي حاجة ليفعل الحرام، وهو يجد من الحلال الكثير؟!. قال الذهبي الله: عن المغيرة بن شعبة قال: لقد تزوجت سبعين امرأة أو أكثر أبو إسحاق الطالقاني: حدثنا ابن المبارك قال: كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة، قال: فصفهن بين يديه، وقال: أنتن حسنات الأخلاق طويلات الأعناق ولكني رجل مطلاق، فأنتن الطلاق. ابن وهب: حدثنا مالك قال: كان المغيرة نكاحا للنساء، ويقول: صاحب الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت حاض وصاحب المرأتين بين نارين تشعلان وكان ينكح أربعا جميعًا، ويطلقهن جميعا انتهى، سير أعلام النبلاء» (3 / 31). 5 - معلومةٌ غيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على حرمات الله، وقوته في دينه، ومعروف وتشدده مع ولاته، وقد ولى المغيرة بعد تلك الحادثة إمرة «الكوفة»! ولو أنه ثبت عنده شبهة تلك المعصية فإنه لن يوليه قط، كما عُلم من سيرته، وهذا يعني اقتناع عمر بعدم حصول تلك الواقعة أصلا، أو اقتناعه بأنها كانت زوجته، ولعل الثاني هذا هو الأقرب. (نقلا

عن موقع الإسلام سؤال وجواب على شبكة الأنترنت).

وفي عهد أبي بكر في أول خلافته!! اتهم خالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة ظلمًا ونكاح امرأته (1) ...

1- هو الصحابي الجليل خالد بن الوليد سيف الله المسلول على المشركين، وقائد المجاهدين، القرشي المخزومي المكي، أسلم سنة سبع للهجرة بعد فتح خيبر وقيل قبلها، وتوفي سنة 21 ه - ، وله من الفضائل الشيء الكثير، ومن أهم ما جاء في فضائله: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم نعى زيدًا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِم»، رواه البخاري (4262)، وعَنْ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ قَالَ: «مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم وَبِخَالِدِ بن الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ مُنْذُ أَسْلَمْنَا) رواه الحاكم في المستدرك (515/3) وأبو يعلى في «المسند (274/13) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3509): ورجاله ثقات. وقد تعرض هذا الصحابي الجليل لحملات من الطعن والتشويه قام عليها بعض المستشرقين الذين يتلقفون كل رواية من غير بحث ولا تدقيق وطوائف من الشيعة حقدًا وغيظًا من هذا الصحابي الذي أبلى بلاء حسنا في قتال الكفار، وحماية الدولة المسلمة في عهود الخلافة الراشدة. ومن تلك الطعون: قصة قتل مالك بن نويرة وتزوج خالد من امرأته ليلي بنت سنان. وقد اتفقت الروايات التاريخية على قدر مشترك فيه أن مالك بن نويرة قتله بعض جند خالد بن الوليد وأن خالدًا تزوج بعد ذلك زوجته ليلى بنت سنان. وأما سبب قتل مالك بن نويرة وذكر بعض ملابسات ذلك الحادث؛ فقد تفاوتت الروايات في بيانه إلا أن معظم قدامى المؤرخين الذين سجلوا تلك الحادثة، مثل الواقدي وابن إسحاق ووُثَيمة وسيف بن عمر وابن سعد وخليفة بن خياط وغيرهم، ذكروا امتناع مالك بن نويرة من أداء الزكاة وحبسه إبل الصدقة ومنعه قومه من أدائها، مما حمل خالدًا على قتله من غير التفات إلى ما يُظهره من إسلام وصلاة. قال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء» (172): والمجمع عليه أن خالدًا حاوره وراده، وأن مالكًا سمح بالصلاة والتوى بالزكاة انتهى وقال الواقدي في كتاب الردة» (107 - 108): «ثم قدَّم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: أتقتلني وأنا مسلم أصلي للقبلة؟! فقال له خالد لو كنتَ مسلما لما منعت الزكاة، ولا أمرت قومك بمنعها». انتهى. كما تواتر على ذكر ذلك من بعدهم من المؤرخين؛ كالطبري وابن الأثير وابن كثير والذهبي وغيرهم. وتتحدث بعض الروايات عن علاقة بين مالك بن نويرة وسجاح التي ادعت النبوة، وتشير أيضا إلى سوء خطاب صدر من مالك بن نويرة يُفهم منه الردة عن دين الإسلام كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية) (322/6) فقال: ويُقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة، فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك. فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟! يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه.) انتهى. إذن فلماذا أنكر بعض الصحابة على خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة، كما فعل عمر الخطاب وابنه عبد الله وأبو قتادة الأنصاري؟ يمكن تلمس سبب ذلك من بعض الروايات، حيث يبدو أن مالك بن نويرة كان غامضًا في بداية موقفه من الزكاة فلم يُصرح بإنكاره،وجوبها، كما لم يقم بأدائها، فاشتبه أمره على هؤلاء الصحابة، إلا أن خالد بن الوليد أخذه بالتهمة فقتله، ولما كان مالك بن نويرة يُظهر الإسلام والصلاة كان الواجب على خالد أن يتحرى ويتأنى في أمره، وينظر في حقيقة ما يؤول إليه رأي مالك بن نويرة في الزكاة، فأنكر عليه من أنكر من الصحابة رضوان الله عليهم. جاء في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله (322/6): «فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات إلا ما كان من مالك بن نويرة فكأنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة وقال آخرون إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا. انتهى. ولما كان مالك بن نويرة من وجهاء قومه وأشرافهم، واشتبه موقفه في بداية الأمر، شكا أخوه متمم بن نويرة ما كان من خالد إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه، فعاد ذلك بالعتاب على خالد، وتخطئته في إسراعه إلى قتل مالك بن نويرة قبل رفع أمره إلى أبي بكر الصديق وكبار الصحابة رضوان الله عليهم. روى خليفة بن خياط (17/1) قال: حدثنا علي بن محمد عن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: قدم أبو قتادة على أبي بكر فأخبره بمقتل مالك وأصحابه، فجزع من ذلك جزعا شديدا، فكتب أبو بكر

إلى خالد فقدم عليه. فقال أبو بكر: هل يزيد خالد على أن يكون تأول فأخطأ؟ ورد أبو بكر خالدًا، وودى مالك بن نويرة، ورد السبي والمال.» انتهى. وقال ابن حجر في الإصابة (755/5): فقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر، فأنشده مرثية أخيه، وناشده في دمه وفي سبيهم، فرد أبو بكر السبي. وذكر الزبير بن بكار أن أبا بكر أمر خالدًا أن يفارق امرأة مالك المذكورة، وأغلظ عمر لخالد في أمر مالك، وأما أبو بكر فعذره. انتهى. هذا غاية ما يمكن أن يقال في شأن قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة أنه إما أن يكون أصاب فقتله لمنعه الزكاة وإنكاره وجوبها بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم، أو إنه أخطأ أو إنه أخطأ فتسرع في قتله، وقد كان الأوجب أن يتحرى ويتثبت وعلى كلا الحالين ليس في ذلك مطعن في خالد. يقول ابن تيمية له في منهاج السنة) (518/5): مالك بن نويرة لا يُعرف أنه كان معصوم،الدم، ولم يثبت ذلك عندنا، ثم يقال: غاية ما يقال في قصة مالك بن نويرة: إنه معصوم الدم، وإن خالدًا قتله بتأويل، وهذا لا يبيح قتل خالد، كما أن أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله. وقال له النبي و صلى الله عليه و آله و سلم: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ يا أسامة أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ يا أسامة أقتلته أن قال لا إله إلا الله؟ فأنكر عليه قتله، ولم يوجب قودًا ولا دية ولا كفارة وقدر روى محمد بن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية: قوله تعالى: (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا نزلت في شأن مرداس، رجل من غطفان بعث النبي صلى الله عليه و آله و سلم جيشًا إلى قومه عليهم غالب الليثي، ففر أصحابه ولم يفر. قال: إني مؤمن، فصبحته الخيل، فسلم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فأنزل الله هذه الآية، وأمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم برد أمواله إلى أهله وبديته إليهم ونهى المؤمنين عن مثل ذلك. وكذلك خالد بن الوليد قد قتل بني جذيمة متأولا، ورفع النبي صلى الله عليه و آله و سلم يديه وقال: «اللهم خالد إني أبرأ إليك مما صنع هذا فلم يقتله النبي صلى الله عليه و آله و سلم لأنه كان متأولا، فإذا كان ومع النبي لم يقتله مع قتله غير واحد من المسلمين من بني جذيمة للتأويل، فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك بن نويرة بطريق الأولى والأحرى». انتهى. أما اتهام خالد بن الوليد رضى الله عنه بأنه قتل مالك بن نويرة من أجل أن يتزوج امرأته لهواه السابق بها، فيبدو أنها تهمة مبكرة رماه بها مالك نفسه وبعض أتباعه بها، وليس لهم عليها دليل ظاهر، إنما يبدو أنه أطلقها ليغطي بها السبب الحقيقي الذي قتل لأجله وهو منع الزكاة يدل على ذلك: الحوار الذي نقله الواقدي بين خالد ومالك. قال الواقدي في كتاب الردة (107 – 108): فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته، فنظر إليها ثم قال: يا خالد بهذا تقتلني. فقال خالد بل لله أقتلك، برجوعك عن دين الإسلام، وجفلك – يعني منعك – لإبل الصدقة، وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم. قال: ثم قدمه خالد فضرب عنقه صبرا. فيقال إن خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك ودخل بها، وعلى ذلك أجمع أهل العلم انتهى. يقول الحافظ ابن حجر في الإصابة (755/5) وروى ثابت بن قاسم في «الدلائل». أن خالدا رأى امرأة مالك – وكانت فائقة في الجمال – فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتني! يعني: سأقتل من أجلك. وهذا قاله ظنًا، فوافق أنه قتل، ولم يكن قتله المرأة كما ظن». انتهى. ويقول ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة) (1 /91): «الحق عدم قتل خالد؛ لأن مالكًا ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة رسول الله، كما فعل أهل الردة، وقد اعترف أخو مالك لعمر بذلك. وتزوجه امرأته لعله لانقضاء عدتها بالوضع عقب موته، أو يُحتمل أنها كانت محبوسة عنده بعد انقضاء عدتها عن الأزواج على عادة الجاهلية، وعلى كل حال فخالد أتقى لله من أن يُظن به مثل هذه الرذالة التي لا تصدر من أدنى المؤمنين، فكيف بسيف الله المسلول على أعدائه فالحق ما فعله أبو بكر، لا ما اعترض به عليه عمر رضي الله تعالى عنهما، ويؤيد ذلك أن عمر لما أفضت إليه الخلافة لم يتعرض لخالد ولم يعاتبه، ولا تنقصه بكلمة في هذا الأمر قط، فعلم أنه ظهر له أحقية ما فعله أبو بكر، فرجع عن اعتراضه وإلا لم يتركه عند استقلاله بالأمر؛ لأنه كان أتقى لله من أن يداهن في دين الله أحدا» انتهى. ويقول الدكتور علي الصلابي في كتابه أبو بكر الصديق (219): وخلاصة القصة أن هناك من اتهم خالدًا بأنه تزوج أم تميم فور وقوعها في يده، لعدم صبره على جمالها، ولهواه السابق فيها، وبذلك يكون زواجه منها – حاش لله حاش لله – سفاحًا، فهذا قول مستحدث لا يُعتد به، إذ خلت المصادر القديمة من الإشارة إليه، بل هي على خلافه في نصوصها الصريحة يذكر الماوردي في الأحكام السلطانية» (47) أن الذي جعل خالدًا يُقدم على قتل مالك هو منعه للصدقة التي استحل بها دمه، وبذلك فسد عقد المناكحة بينه وبين أم تميم وحكم نساء المرتدين إذا لحقن بدار الحرب أن يسبين ولا يقتلن، كما يشير إلى ذلك السرخسي في المبسوط (10 /111) فلما صارت أم تميم في السبي

اصطفاها خالد لنفسه، فلما حلت بنى بها كما البداية والنهاية. ويعلق الشيخ أحمد شاكر على هذه المسألة بقوله: إن خالدًا أخذها هي وابنها ملك يمين بوصفها،سبية، إذ إن السبية لا عدة عليها وإنما يحرم حرمة قطعية أن يقربها مالكها إن كانت حاملا قبل أن تضع حملها، وإن كانت غير حامل حتى تحيض حيضة. واحدة، ثم دخل بها وهو عمل مشروع جائز لا مغمز فيه ولا مطعن إلا أن أعداءه والمخالفين عليه رأوا في هذا العمل،فرصتهم، فانتهزوها وذهبوا يزعمون أن مالك بن نويرة،مسلم وأن خالدًا قتله من أجل امرأته وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله، فهذا مما لم يُعرف ثبوته. ولو ثبت لكان هناك تأويل يمنع الرجم. والفقهاء مختلفون في عدة الوفاة: هل تجب للكافر؟ على قولين. وكذلك تنازعوا: هل يجب على الذمية عدة وفاة؟ على قولين مشهورين للمسلمين بخلاف عدة الطلاق فإن تلك سببها الوطء، فلا بد من براءة الرحم. وأما عدة الوفاة فتجب بمجرد العقد، فإذا مات قبل الدخول بها فهل تعتد من الكافر أم لا؟ فيه نزاع وكذلك إن كان دخل بها، وقد حاضت بعد الدخول حيضة. هذا إذا كان الكافر أصليًا. وأما المرتد إذا قتل، أو مات على ردته، ففي مذهب الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد ليس عليها عدة وفاة بل عدة فرقة بائنة، لأن النكاح بطل بردة الزوج، وهذه الفرقة ليست طلاقًا عند الشافعي وأحمد، وهي طلاق عند مالك وأبي حنيفة، ولهذا لم يوجبوا عليها عدة،وفاة بل عدة فرقة بائنة، فإن كان لم يدخل بها فلا عدة عليها، كما ليس عليها عدة من الطلاق. ومعلوم أن خالدًا قتل مالك بن نويرة لأنه رآه، مرتدًا، فإذا كان لم يدخل بامرأته فلا عدة عليها عند عامة العلماء، وإن كان قد دخل بها فإنه يجب عليها استبراء بحيضة، لا بعدة كاملة في أحد قوليهم وفي الآخر بثلاث حيض، وإن كان كافرًا أصليا فليس على امرأته عدة وفاة في أحد قوليهم. وإذا كان الواجب استبراء بحيضة فقد تكون حاضت. ومن الفقهاء من يجعل بعض الحيضة استبراء، فإذا كانت في آخر الحيض جعل ذلك استبراء لدلالته على براءة الرحم. وبالجملة فنحن لم نعلم أن القضية وقعت على وجه لا يسوغ فيها الاجتهاد والطعن بمثل ذلك من قول من يتكلم بلا علم، وهذا مما حرمه الله ورسوله انتهى. نقلاً عن موقع: الإسلام سؤال وجواب» على شبكة الإنترنت).

وفي عهد النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم قام أربعة شـهود من سـرية كان يقودها علي؛ فشـهدوا في حضرة النبي أن عليا ضاجع سبية من سبايـا اليمن قبل القسـمة!! كما جاء في كتاب الخصائص المنسوب إلى النسائي، المطبوع في النجف (1)، فلينظر الفاحص كيف تشابهت هذه القصص؟.

ومن الغريب أن المطاعن التي ألصـقت بعثمان ليس فيها واحـدة من جنس الشـرب والزنا ملصـقة بمروان الملاصق لعثمان مع أنه كان في رأس القائمة السوداء! (2))

1- كما سبق.

2- عند الشيعة. وانظر ترجمته في الإصابة»، وذكر الخلاف في صحبته، وفيها (6/ 258): وكان يعد في الفقهاء. وانظر: هدي الساري، (ص 624)

وقبل ذلك اتُهم أهل العراق سعد بن أبي وقاص فاتح العراق بأنه لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية! (1) وقال قائلهم:

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم!

وفي بحث علي ص 11 ما نصه:

اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا عليا وكان أول من بايعه الأشتر، النخعي أحد قواد جيشه، ولكن عليا وجد أن عددًا كبيرًا ممن يعتد برأيهم من الصحابة غير راضين عنه، فدعا طلحة والزبير، لمبايعته، فتلكأ طلحة، فهدده الأشتر بالقتل، فبايع وجيء بسعد بن أبي وقاص وعبدالله وقاص وعبدالله بن عمر فامتنعا! وتخلف عن البيعة من الأنصار كثير، ومنهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ص 12 (2).

وختم عبارته بقوله: وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان لما كان يسبغه عليهم من أموال»!!.

فنقول له: كيف تعينت لديك هذه العلة الفظيعة بالنسبة إلى هؤلاء الرجال، الذين أقل صفاتهم أن يكونوا على بقية من الخير وفيهم سعد أحد العشرة المبشرة وعبدالله بن عمر المعروف بالورع وزيد بن ثابت الذي جمع القرآن.

1- أخرجه البخاري (755)، ومسلم (453).

2- ينقلها من كتاب الإمامة والسياسة (1 /47). وهو كتاب مكذوب على ابن قتيبة - كما سبق.

وأكد هذه الطعنة النجلاء بقوله في ص13.

ثم إن عليا كانت تنقصه صفات لابد من توافرها في كل سياسي ناجح؛ من مكر ودهاء وخداع وشراء للأنصار بالمنح والصلات إلى غير ذلك».

ومآل هذا أن الأمر قام بالرشا من عهد أبي بكر إلى أواخر عثمان! فلما لم يجر علي على هذه الطريقة أخفق في سياسته ولعله أخذ هذا التخرص من شرح النهج لابن أبي الحديد المتلصص.

أن من طبيعة هذه التهمة أن تنساق إلى أصحاب علي أيضًا؛ لأن مع أصحابه الذين حفوا به وبايعوه لم يكونوا أكثر فضيلة من الذين لم يبايعوا، فهم أقرب أن يكونوا مظنة الرشوة.

يمتاز هذا الكتاب بوثبات؛ منها سديدة مر بعضها، ومنها قوله في الفصل الأول ص 1 فتمحيص الحقائق التاريخية والتجرد من الأهواء ... من الأمور التي لم يعرف القدماء إليها سبيلا لنترك هذا الآن ونكتفي بقوله: (اللهم إلا المعتزلة الذين كانوا مطبوعين على الحرية والصراحة)

أقول: إن هذه الصفة كانت في أوائلهم، (1) ثم فسدت طريقتهم بمخالطتهم فرقًا أخرى ... وحسبك ابن أبي الحديد الذي تذمر منه المؤلف، حيث قال: وابن أبي الحديد وإن ادعى أنه معتزلي إلا أني معتزلي إلا أني أشك في هذا الادعاء، وأعتقد أنه كان شيعيا متعصبا» ص 52 ...

1- بل أوائلهم كأواخرهم في البدعة والتنقص من الصحابة (رضى الله عنهم) اتباعا لأهوائهم «العقلية» التي أوردتهم المهالك، وقد سبق شيء من ذلك.

وقوله هذا مبني على توهمه أن التشيع والاعتزال لا يجتمعان، ولو كان تتبع المؤلف تامًا لعلم أن المذهبين اصطلحا على مراغمة أهل السنة ووقع بينهما تفاعل عجيب ...! وابن أبي الحديد المذبذب لعب على ثلاثة حبال: التسنن والتشيع والاعتزال، فهو في الأصول معتزلي، وفي البحث شيعي يداهن ابن العلقمي وفي الفروع،شافعي وما أراه منفورًا عند الاثنا عشرية إلا للصيد ... والغافل إذا قرأ شرح النهج لابن أبي الحديد يراه شيعيا لطيفًا ... ولا يدري أن هذا اللطيف هو الذي يجر إلى الكثيف!

والغالب أن المعتزلة الذين فيهم شائبة تشيع هم زيدية لا إمامية أي هم معتزلة بحكم تمذهبهم لزيد (1)، أو أنهم كانوا معتزلة ثم دانوا بالتزيد! فلا يخدعنك لفظ الاعتزال إذا رأيت في جنبه تشيعًا، ثم إن المعتزلة لم يشغلوا أنفسهم بتمحيص التاريخ، وصاحب الكشاف على براعته لم يبرأ من أخبار العجائز.

أما وثبات المؤلف السديدة، فكثيرة، منها قوله في ص 55: وقد رأيت لزامًا عليَّ في هذا المقام أن أتناول نهج البلاغة بالبحث والتحقيق، سالكًا في ذلك سبيل العلماء ... أما هؤلاء الذين لا هم لهم إلا إرسال المدح فمهمتهم هينة لينة فما أيسر أن نقول: (هو كتاب في الإتقان تلو القرآن)! وما أسهل أن تُنمق الألفاظ كما نمقها الشيخان حسن نائل المرصفي ومحمد عبده ...

1- المشهور أن زيدًا تتلمذ لواصل بن عطاء المعتزلي برغم انحرافه عن علي عليه السلام وما أدري ألهذه النسبة أصل أم من مبتكرات القرن الثالث الذي ثار فيه الزيدية في جبال طبرستان، فإن القرن الثالث والرابع جاءا بالطامة الكبرى على تاريخ الإسلام واستدرجت الزيدية إلى الرفض. (منه).

لقد حل المؤلف بهذه الجرأة عقدة من قلبي!.

وجاء بنموذج من الخطب المتكلفة قائلا: هل ترى فيها ما رآه محمد عبده حين يقول: (وإن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج، والقويم الأملج ...)، فأين هو القويم الأملج؟ وأين هي روائع الحجج؟ ص 58.

ثم أتى بنماذج أخرى معيدًا الكرة على محمد عبده، متهكما من الصفيح الأبلج الذي يمتلج المهج ...»!!

إلى أن قال في ص 68: ولفاطمة خطب تُنسب إليها، ولعلي بن الحسين رسالة تُعرف برسالة الحقوق، لم أحظ بها، وكلها مصنوع!.

ولعائشة أيضًا خطب منسوبة وهل كان داء التاريخ إلا من داء المباراة؟ لاسيما مباراة فلانة وفلانة (1).

وفي ص 75 روي أن عليّا سمع ناقوسًا يُضرب، فقال لمن معه: أتدرون ما يقول هذا الناقوس؟ قالوا: لا! قال: فإنه يقول:

نلنا الدنيا فاستهوتنا *** فاستهوتنا وأذلتنا

واستلبتنا لسنا ندري *** فيها إلا لو قد متنا

وفي البيت الثاني زحاف غير مأنوس، يدل على عامية الشاعر، ولعل فيه.

1- أكثر المباريات وقعت في القرن الرابع، وكان لبحر البلاغة في هذا العصر عجيج أي عجيج! وكان ممن ساهم فيها أبو حيان التوحيدي المنحرف عن علي عليه السلام، لتنظر رسالته التي دبجها على لسان أبي بكر رضى الله عنه. (منه).

تحريفًا والبحر من المتدارك بعده:

يا ابن الدنيا زن بالدنيا *** وزنا وزنا وزنًا وزنا

يا ابن الدنيا تفنى الدنيا *** قرنًا قرنا قرنًا قرنا

وكنت عثرت على مثل هـذه النغمـة في مجلـة الكتاب قبل سـنتين ولكنها منثورة نثرًا، ولما قرأتها شـعرت أنها منظومـة، وأعانني الوزن على إصلاح أخطائها، وجهل المستشهد بها أنها شعر!.

وقال في ص 76: ووضعوا - الشيعة - شعرًا كثيرًا فيه إعلاء من شأن علي على ألسنة أعدائهم ...

أقول: لم يضـعوا شـعرًا فقط ولا قصصًا فقط! بل أحاديث ... منها على لسان سعد بن أبي وقاص، الذي كان امتنع عن مبايعة علي (1)، ولي في هذا بحث بعنوان تدريب في نقد الحديث).

ووضعُ تلك الأحاديث إما للاستشـهاد بقول الشاعر (والفضل ما شهدت به الأعداء)، أو لترويجها على الموالين لمن وُضعت على لسانه ... أو لكيلا يقع الاحتجاج بامتناع سعد وهو من أجلاء الصحابة ...

1- ممـا وضـعوه على لسـان أبي بكر: النظر إلى وجه علي عبادة»!!، ومما وضـعوه على لسان أبي بكر أيضًا ما يفيـد أن الصـراط لا يجاز يوم القيامة إلا بإذن علي ...! وكيف يقول مثل هذا في علي من قطع الصـراط على علي؟!. (منه). قلت: بل بايع سـعد عليا عليه السلام مكذوب ولكنه اعتزل الفتنـة. انظر: «خلافة علي بن أبي طالب»؛ للأسـتاذ عبدالحميد فقيهي، (1 / 107) ولا عبرة بما في «الإمامة والسـياسة)، (1) / 52 - 53)؛ لأنه - كما سبق.

وفي ص 81: تكلم على الوليد بن يزيد وأورد البيتين المشـهورين اللذين قالهما عند الاستفتاح بالقرآن ... واستشهد لكذبهما بثلاثة أبيات، فنسبها إلى الوليد، وهي:

أشهد أن الدين دين أحمد *** فليس من خالفه بمهتد

وأنه رسول رب العرش *** القادر الفرد الشديد البطش

أرسله في خلقه نذيرا *** وبالكتاب واعظا بشيرا

والاستشـهاد بهـذه الأبيات لا يلائم خطـة المؤلف في تمحيص الأخبار والـذي أراه أن كلا الشاهـدين،مصـنوع، أحـدهما للطعن، والآخر للتبرئة، وبهذا يستقيم الميزان!

ومما أجاد فيه المؤلف بحث القصـيدة الميميـة التي زعموا أن الفرزدق قالها في مـدح بعض الأئمـة، فقـد أعطى البحث حقه، وزاد على ما كنت أعرف.

كتاب الأدب في ظل التشيع):

كتاب الأدب في ظل التشيع) (1):

بعد كتابة ما تقدم ظفرت بكتاب عنوانه: الأدب) في ظل التشيع)، وهو رد على أثر التشيع ...)، جاء في أول كلمة (التقديم) ما يلي:

في تراثنـا الإسـلامي مناجم أدبيـة مطمورة ... كبرت على التحديـد والتقـدير، وتهب للباحث فيها كثيرًا من صـنوف العطاء والحباء ... بقوة الناحية الفنية وبالفكرة العربية ... وبالتفاعل الثقافي ...».

ص: 244

ونحن نجبيه على هذا برقة أو بغلظة ... إن ما زعمته تراثًا إسلاميًا محبوك بتراث وثني! وما زعمته (فكرة عربية مشتبك بفكرة سبئية شعوبية!

وأما صنوف العطاء والحباء فليست نحلة وثنية محرومة من صنف عطاء وحباء.

فإلياذة هوميروس مثلا فيها صنف من صنوف العطاء الوثني وفيها فن ... وكما للإغريق إلياذة. للهند القدماء،إلياذة، وكلها من عطايا الوثنية، وأما التفاعل الثقافي) فهو مغتفر في كل ناحية من نواحي الحياة، إلا ناحية الشرك المخرج من الإسلام ... والمفرق للجماعة الإسلامية بعد أن وحدها التوحيد.

ثم يعيد النغمة ويقول: ولأنه صورة حية لأدبنا العربي تعبر عن المدى البعيد لحيوية الفن والفكر ص4.

ولو قال (صورة أعجمية دخيلة ... لحيوية الفن والكفر)؛ لكان أقرب إلى الصدق.

بعد هنيهه ...: «على أننا لا ننكر أنه قد تناوله بعض الأدباء المعاصرين فخصص لدراسته كتابًا أسماه أثر) التشيع في الأدب العربي)، لكنه جاء درسًا فاقدًا لأكثر شروط الدراسة من النزاهة والتجرد، وطرح كل الاعتبارات الطائفية والتقليدية ...»

وهذا افتراء أكثر من محسوس فقد كانت طريقة المؤلف المردود عليه أكثر من (تجرد)! وهذا الذي دعاني إلى تسديد خطاه في الحلقات السابقة.

ص: 245

وأما الاعتبارات الطائفيـة والتقليدية)، فلو كان الراد من رواد الإنصاف لما أسـندها إلى المردود إذ كان هو أليق بها وأليق به المثل المشـهور: (رمتني بدائها وانسلت).

ثم أكد المنكوس الإسـناد (المعكوس) بقوله: ولم يتجرد أيضًا من هذه الرواسب التقليدية والمذهبية كما يطلب للباحثين!! وجاءت دراسته (طائفية بغيضة تناول فيها الشيعة ... بالنبز،والطعن وألصق بهم كل أكذوبة وخرافة ...».

مع أن كتابه الذي أعده للرد يشهد بما أنكر!.

على أنا نستطيع أن نقدم له مجلدات ضخمة من الأكاذيب والخرافات.

ونحن لا نتكلف له تعيين اسم كتاب بل نقترح عليه أن يقصـد أي مكتبـة شاء من (مكتباته الأصـلية ... ثم يغمض عينيه ويضع يده على أي كتاب شاء ثم (يفتح عينيه) ويقرأ!

وقد تعجب أو لا تعجب ... من قوله بعد ثرثرة باردة وكان من أبرز ظواهره تحكم السطحية و (الرجعية بروحه، كأننا لا نزال نعيش في متاهات العصور المظلمة ...» ص 5.

ولا يكتفي بذلك، بل يعطف عليه قوله: ولا نريد أن نحاسب المؤلف على هذا كله فإن الحساب للعلم والتاريخ.

ولو كانت هـذه الطريقـة، طريقـة البهت) ... مما اختص به صاحب الرد لما اهتممنا به ولا أعرناه قيمـة ... ولكنَّا وجـدناها طريقة عامة لكل متصد

للمناظرة من فصيلة ابن سبأ ... ولذلك نبهنا عليه للاحتراز منه.

ونحن نستطيع أن نقلب عليه النصائح التالية:

وما أجدر بهؤلاء ... أن يتوخوا الإنصاف والنزاهة – لو أرادوا النزاهة! – وأن يسموا بأنفسهم عن مزالق الهوى والعصبية – وكيف؟ والسمو عنها نزول عن المذهب – فإن أكثر الناقدين – مع التجدد في لفظ أكثر – لا يفسد عليهم بحوثهم شيء كمثل التحيز ...

ولا أنكر أن هناك طائفة من (المضـلين) يعملون على تضليل فئات من المطالعين – بالزور والبهتان ضاربين الحقائق تحت الأقدام، ولا أنكر أيضًا أن فئات غير قليلة تنجرف بهذه الخزعبلات) ... لفراغ جماجمهم!

إلى أن يقول: وحسب هذه الدراسة قيمة أنها دراسة أدب طائفة كبيرة ... لها ثقافتها ومركزها السياسي والاجتماعي والأدبي ...

أما الثقافة والاجتماع فما أدرانا بثقافاتكم واجتماعاتكم ...! وأما الأدب فحسبنا ما نحن فيه ...!

وأما «الأدوار الجسام تتصاعد فيها أمواج الأحداث» ... إلخ. فإنما الافتخار بها لو كانت لمصـلحة المجتمع الإسلامي، لا لمصلحة (أفكار سوداء بثها بين سواد الأمة (المعلم (الشاطر) المعروف ب – (ابن السوداء)!

وأما أنها تبلغ عددًا كبيرًا قرابة (مائة مليون)!! منتشرة على أديم هذه الأرض، فالعبرة للكيف لا للكم!

وهذا العدد الذي ضاعفه بيت الكذب ... كان على حساب الوحدة

الإسلامية بالمكر والغيلة، ونصب الشباك المختلفة الأنواع (1). دع الصراع والقراع وتحكيم السيوف في رقاب الموحدين في فرص مؤاتية ... بحيث أن الدماء التي سُفكت في هذا السبيل أضعاف مضاعفة في جنب ما سفكه الصليبيون ودواوين التفتيش التي أقيمت في بعض البلاد الإسلامية تحت إشراف الدراويش) ... ليست أقل شناعة من دواوين التفتيش التي أقيمت في أسبانيا.

ومن الاتفاقات العجيبة وقوع (التعاصر) بين (المجزرتين)، كأنهما على ميعاد، ثم كان حصول التشابه بين النتيجتين)!!.

ص7: وكفاها شأنا أن تكون درسًا لآداب طائفة - هدامة - كانت في أكثر عصور التاريخ أخصب طائفة في - قتل - الحياة الإسلامية وأكثرها عملًا في حقول - التخريب المادي والمعنوي - وأوفرها عددًا في الرجالات الأدبية» المتقلبة المتلونة حيثما دارت زجاجة المنفعة، تسندها التقية المبرقعة.

وفي ص 11 بحث عن حديث مشهور: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (2) يقول عنده:

والحديث على إطلاقه مفتعل بلا شك لمنافاته للروح العلمية والمنطقية ...

1- من تلك الأنواع (دار التخريب المقامة في مصر ... وسوف يتحقق هذا العدد إن: كتب لها ولأمثالها امتداد العمر ... ومن ورائها القصاص المتاجرون؛ كعبدالعزيز سيد الأهل والعقاد الفحل ...!. (منه).
2- حديث موضوع؛ انظر: السلسلة الضعيفة»، (برقم 58).

فأقول له جيئوني بحديث واحد من أحاديثكم التي تستندون إليها في خزعبلاتكم موافق للروح العلمية والمنطقية، وهذه يدي إليكم!

ثم يقول: على أنه لو ثبت صدوره عن النبي؛ فإنه لا يعني إلا بعض كبار الصحابة، ومن لهم القدم الراسخة في الإسلام.

وخشية أن يقال له: هذا أبوبكر وعمر مثلا (من كبار الصحابة وممن لهم قدم راسخة) هل في ذلك شك؟.

قيد الصحابة بهذا الوصف: الذين امتازوا بالطاقة الإشراقية في لوحات نفوسهم ...».

فنقول له بعد إغماض العين عن هذا التعبير الوثني المظلم: كيف نستطيع التمييز بين ذوي الطاقة المزعومة وغيرهم وليس لنا بذلك طاقة؟ وصاحب الطاقة علمنا أن نقول ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به؟

ثم يقول وما علينا إلا الإكبار و (الانحناء أمامهم ... إعظامًا واحتراما، فإنهم أكرم ...الأمة. وكان عصرهم أكثر العصور خيرًا وبركة وعزا ...».

ولو أنا سألنا عن أسماء هؤلاء الذين كان عصرهم خيرا وبركة ... إلخ، لتلعثم في الجواب وانكشف عواره ...

إلا أنه لا يبالي أن يقول: ومع هذا لا يكون مانعا عن دراستهم في جو علمي وعقلي ...» ص 11.

فأي علم يعني بعد هذا؟ وأي عقل ...؟

واعجب أو لا تعجب من طفرة الباحث بظلفه ... إلى بحث الأستاذ علي

ص: 249

عبدالرزاق عن الخلافة وأصول الحكم قائلا: «فإنه أوغل فيها بجرأة جامحة، ونزع عن الخلافة أكثر أثوابها القدسية، وتركها في ثوبها السياسي ...» ص 12.

ولكنه لما كان على ثقة من أن بحث الأستاذ يؤول إلى حتفه ... (داور) على الطريقة المتبعة) ... قائلا: (وإن كانت بطريقها وقياسها لا تدل على قوة الروح العلمية ...».

فبعد أن أصعد الأستاذ إلى السماء العليا أهبطه إلى الأرض السفلى، نازعا عنه الروح العلمية، بعد أن اتخذه وسيلة لنزع أثواب القدسية عن الخلافة!

فمثل هذه السمكة المتموجة في لجتها لا يمكن القبض عليها إلا برأس حديدة!

إنه ما كان لي أن أعبأ بمثل هذا المؤلف لولا علمي بأنه يمثل طريقة يتساوى فيها أجهل الجهلاء وأعلم العلماء.

إلا أنا استفدنا من هذا الكتاب ما يمس موضوعنا الأصلي، وهو قصيدة تمثل وثنية ابن أبي الحديد الصارخة ... وهي إحدى القصائد السبع الموسومة بالعلويات ص 120(1)، وهي نموذج من دعاويه في أول الكتاب، كما أنها بمنزلة الشرح لديباجة ابن أبي الحديد في شرحه!

يا برق! إن جئت الغري فقل له *** أتراك تعلم من بأرضك مودع

فيك ابن عمران الكليم وبعده *** عيسى يقفيه وأحمد يتبع ...!.

1- سبق نقلها في المقدمة.

بل فيك جبريل وميكال *** وإسرافيل والملأ المقدس أجمع

بل فيك نور الله جل جلاله *** لذوي البصائر يستشف ويلمع

هذا (ضمير العالم الموجود من *** عدم و سر وجوده المستودع

هذا هو النور الذي عذباته *** كانت بجبهة آدم تتطلع

وشهاب موسى حيث أظلم ليله *** رفعت له لألاؤه تتشفع

لولا حدوثك قلت إنك جاعل *** الأرواح في الأشباح والمستنزع

كان عليه ألا يعبأ بالحدوث؛ لأنه من باب (تجسد الكلمة)!!

لولا مماتك قلتُ إنك باسط الأ *** رزاق تقدر في العطاء وتوسع

وأليق منه وألبق تعطي من تشاء وتمنع وما كان له أن يأبه للممات! لأن له توجيها في بعض الملل.

والله لولا حيدر ما كانت الدنيا *** ولا جمع البرية مجمع

من أجله خُلق الزمان وضوئت *** شهب كنس وجن ليل أدرع

وإليه ... في يوم المعاد حسابنا *** وهو الملاذ لنا غدًا والمرجع!

صدر البيت إشارة إلى قوله تعالى: (وإِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَاحِسَابَهُم)! والعجز مبني على أعجاز نخل خاوية، وأحاديث واهية!

ولكن المؤلف يوجه الإفك للآفك قائلا: «ولو لا ضروب التأويل البعيدة ... لكان مستهجنا وكفرًا» ... أي أنه بالتأويل يخرج من دائرة الاستهجان، كما يخرج من دائرة الكفر!

ص: 251

وليس في العالم مستهجن إلا له تأويل والتأويل يُلحق الخنفساء بالفيل، والكراث بالزنجبيل، ومنه قول المشركين: (لَوْ شَآءَ اللهُ ما أَشْرَكْنَا وَلَا اب اونا)!

تعليق على ص 48:

قلت: إن المشرفين على طبع الكتاب ليسوا من رجال الميدان.

ليس من عادتي أن أتحامل على العلماء بل على أشباه العلماء!

إن الكتاب مشحون بالأخطاء، ومنها أخطاء مضحكة، وهاك بعض ما عثرت عليه في الجزء الرابع من المضحكات ...

ص 232: إني لعند أمير المؤمنين إذا أقبح قد جاءه يسعى بكتاب»؛ صوابه إذا فيج، والفيج كلمة فارسية معربة بمعنى ساعي البريد وتكرر الخطأ في صفحة

335: وإذا بقبيج يشتد بصحيفة في يده وما أدري أي الخطأين أقبح؟

338: نصرانيا يقال له الزما حسن بن منصور صوابه (الرماحس)!

343: والدنيا دار مني لها الفناء ... وهي حلوة خضراء» وزاد شناعة الخطأ وقوعه في المتن وهو (دون) كلام الخالق ... مع وجود الصواب في الشرح مرتين!

362 ومن هذا الباب كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكازي)!! ولعل الكتاب يُطبع على نسخة (أعجم طمطم)!.

343: وقوله تعالى: (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا)! فما أحوج هؤلاء إلى تلاوة

ص: 252

(العزائم)؟! وفي ص 14، 21 ج2 طعنه بمعول) ص (بمغول)!

وإذا قدر للطابعين أن يلموا شعث الكتاب بجدول يتضمن الخطأ والصواب وهيهات ... فسيكون الكتاب 21 جزءًا ...!

ولعل الواقفين على الطبع لو وردوا العراق لاستقبلوا بإيمان ... كما استقبل أخوهم ... الذي ورد تحت ستار الزيارة ... والله أعلم بما انطوت عليه أسرار التجارة ...!

الثقافة الإسلامية والقومية

الإسلام الصحيح ثقافة روحية عالية أشار إليها القرآن بقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)تُؤْتَى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

ولا تجد تعبيرًا أتم وأدق من هذه الآية الشريفة في وصف تلك الثقافة المنيفة.

وأخت هذه الآية في وصف من أخذوا بتلك الثقافة من الحاشية المحمدية الأولى، قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) ويسر على المؤمنين ... وبين الشدة على الكفار والغيظ لهم ... رحمة وقوة تعجب أهل الفتوة.

سوى أن تلك الشجرة،ابتليت منذ أينع ثمرها وزهت نضارتها للعالم، برتل خامس (مغيظ) ... يحاول جهده أن يقتلعها مع استظلاله بها وتمتعه بخيراتها، كفرًا وجحودًا ... والآية نص في الموضوع.

ويضع مكانها شجرة أشار إليها القرآن أيضًا بقوله: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أَجْتُثَتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ) فهي مذبذبة متلونة متقلبة تبدو في كل عصر بلهجة ثقيلة أو خفيفة.

كـان أول من برز في قيـادة الرتـل الخامس: المعلم اليهودي) الشاطر المعروف بابن سـبأ أو ابن السوداء، الـذي هو أول من غرس في تاريخ الإسلام النزعة السوداء (1) ... ومن رواسبها ابن أبي الحديد وأضرابه.

كان من عادة ذلك الرتل الخامس أن يكتن بشق غائر من الشـجرة الطيبة الباسـقة مترقبا مترصدًا يوهم الناس أنه جماعة نواطير! فكلما لاحت له فرصـة خرج من الشق ليوقع في تلك الشـجرة ما تحتمله تلك الفرصـة من الأذى ... فهو في فرصة يكسـر،غصـنًا، وفي فرصة يلوي غصـنًا ليمتلخه في فرصة أخرى، وإذا وجد فرصة ملائمة خرجت أفراده وخبطوا الشجرة بالهراوي، فتساقط منها ورق كثير ... وتشعثت أغصان كثيرة ... وربما جرأوا بعض الأوشاب) على رميها بالحجارة، طمعا في الثمر!!

وهو فيما بين ذلك يلتجئ إلى الشق المذكور عند الخوف. فيعبث في جوف الشجرة، ويحدث فيها تخاريب ويوجه المواد السامة إلى عروقها ... وقـد واتته فرصـة غفلة المسـلمين عما يراد بهم ... أن يتخذ له من جوف الشـجرة منافذ وكوى ليتطلع منها إلى الغادين والرائحين؛ ليلقي عليهم نفثات مسـمومة قد غشـيت سـمومها بمصـنوعات سـكرية ذات أصباغ مغرية للجهال، يعدها (مصنع خاص)، له في كل قطر شُعَب وفروع.

هكذا ظل حال الشجرة وحال الرتل الخامس معها، حتى أظللنا هذا.

1- يحسن مطالعـة كتاب: عبد الله بن سـبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسـلام»؛ للدكتور سـليمان بن حمد العودة؛ لمعرفة دور هذا اليهودي» في أحداث الفتنة.

العصر الذي يسمى عصر النور، ثم عصر الذرة، فانقسم الناس في أمر الشجرة إلى ثلاثة أقسام:

قسم قالوا: إن هذه الشجرة كما يقال أي كذا خلقت، وأن ما هي عليه أزلي لا يرفع.

وقسم قالوا: إن هذه الشجرة التي وقع عليها هذا التشويه أصبحت لا تنفع، وتشويهها مؤذ للأنظار، فمن الصواب أن تُقتلع من جذورها وتُتخذ وقودًا ... وإن لم يكن اقتلاعها فعليكم بهذه الفؤوس، فسلطوها عليها من فوق إلى تحت.

وقسم قالوا: إن هذه الشجرة هي! أمنا التي عاش آباؤنا في حضنها، ونحن أبناء أولئك الآباء! فمن الظلم أن نتعدى على ما كان سببا في نشوئنا وترعرعنا، ما دام العلاج ممكنًا، وذلك بأن نطرد عنها السوس والديدان ... ونعقمها بمادة مطهرة ونملأ الفراغ الذي فيها بمادة سالمة، ونوجه إليها الماء الطاهر؛ فتزكو حينئذ وتعود سيرتها الأولى.

ونحن ممن كُتب له أن يكون من أهل هذا الرأي (1)، وإن كان مستبعدًا بالنظر إلى ما نعانيه ونعانيه ...!

ومما لا شبهة فيه: أن بين الثقافة وبين القومية – ما دمنا ندعيها – علاقة وثيقة، لذلك نقول لبعض دعاة القومية: إما أنكم دعاة مخلصون، فما هذا السكوت؟، وإما أنكم أدعياء، ممخرقون تريدون استغلال كلمتي العروبة والإسلام ولستم منهما في شيء، وكيفما كان ... فأنتم بين منافقين وبين جبناء ...!.

1- مع جرأة قادته إلى ما لا تحمد عقباه كما سبق، فغفر الله له.

فهرست المحتويات

المقدمه ...5

المبحث الأول: كتاب «نهج البلاغة»، ومؤلفه ...8

شروح «نهج البلاغة» وطبعاته ...41

هل يلتزم الشيعة بما في نهج البلاغة مما يُخالف معتقداتهم؟! ...45

المبحث الثاني: ترجمة صاحب شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ومذهبه ...56

انحرافات ابن أبي الحديد في «شرحه» ...80

المبحث الثالث: ترجمة الأستاذ محمود الملاح رحمه الله ...86

منهج الملاح في كتاباته ...90

تعقيب حول مقال محمود الملاح؛ للشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله ...94

نقد الأستاذ كمال الخطيب لبعض ما ورد في تشريح «شرح نهج البلاغة» ...97

صورة غلاف الطبعة الأولى من «تشريح شرح نهج البلاغة» للملاح ...106

تشريح «شرح نهج البلاغة» ...107

فهرست المحتويات ...206

مطابع الحميضي، هاتف: 4581000، فاكس: 4592217

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹